الجمهورية التونسية

وزارة التربية

كتاب التاريخ

لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي

شعب علميّة

تأليف

فتحي ليسير
(أستاذ جامعي)

محمد حمدي
(متفقد أول)

محمد الحبيب الجراية
(متفقد)

محمد العفاس
(أستاذ أول)

محمود نعماني
(أستاذ أول)

إنجاز الخرائط : رياض بوعزيز

تقييم

عبد السلام بن حميدة
(أستاذ جامعي)

حسين بن عبد اللّه
(متفقد عام للتربية)

الهادي العثمني
(متفقد)

تنسيق

محمّد حمدي

المركز الوطني البيداغوجي

© جميع حقوق الطبع محفوظة المركز الوطني البيداغوجي. تونس

التصـدير

أردنا من هذا المؤلف الموجه بالدرجة الأولى إلى تلاميذ السنوات الثالثة من الشعب العلمية أن يكون كتاب تاريخ يروي الأحداث و يحللها و يشرحها ليمتلك المتعلم ثقافة تاريخية متينة، ووسيلة عمل توفر مجموعة مستفيضة من الوثائق المتنوعة تمثل موارد تستدعي التلميذ لاستغلالها – بتوجيه من المدرس– لإنجاز أنشطة تدربه على العمل المنهجي وممارسة الفكر النقدي وتطوير ملكة التفكير العلمي لديه.

حرص المؤلفون على أن يكون هذا الكتاب في توافق مع البرنامج الرسمي في صيغته الجديدة وانسجام مع مقاصده والقدرات المستهدفة من تدريس مادة التاريخ.

يتناول هذا المؤلف أبرز التحولات التاريخية في العالم وفي تونس في العصرين الحديث والمعاصر وردت في ثلاثة محاور يشتمل كل منها على : مقدمة، مجموعة دروس ونشاط تقييمي.

يتألف كل درس من المحطات التالية :

- مدخل يثير وضعية تعلمية تعطي معنى للتعلمات و تحفز التلميذ وتستدعيه لطرح إشكالية الدرس.
- مجموعة أنشطة مبنية على موارد مرفقة بتعليمات توجه المتعلم وتمكنه بمساعدة المدرس من بناء المعرفة التاريخية وهيكلتها.
- نص تأليفي تحت عنوان «أستخلص».

لا يكون توظيف هذا الكتاب ناجعا إلا بمساهمة المدرسين الذين تعود إليهم بالدرجة الأولى مسؤولية ضبط أهداف الدروس وتخطيطها وتحديد محتوياتها وانتقاء أنشطة وموارد ممّا يقترحه هذا الكتاب ضمن اختياراتهم وفق وضعيات التعليم والتعلم التي يرونها أكثر نجاعة وملاءمة للفوارق بين المتعلمين.

المؤلفون

المحور الأوّل

التحوّلات الفكريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في أوروبا في العصر الحديث (القرنان الثامن عشر والتاسع عشر)

المحور الأوّل

التحوّلات الفكريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في أوروبا في العصر الحديث (القرنان الثامن عشر والتاسع عشر)

يهتم المحور الأوّل بجانب هام من تاريخ أوروبّا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ويطرح إشكاليّة القطيعة والتواصل في التاريخ الأوروبي الحديث.

- فهو يطرح إشكالية القطيعة من خلال دراسة الثورة الفرنسيّة الّتي قطعت مع «النّظام القديم» وأرست مبادئ جديدة.
- أمّا التّواصل فيبرز من خلال دراسة فكر التنوير الّذي تعود جذوره إلى عصر النهضة والحركة الانسانيّة وكذلك من خلال دراسة الثورة الصناعيّة ونتائجها الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة.

تمثّل كل هذه الأحداث تواصلا لما شهدته أوروبا من تحوّلات في شتّى المجالات منذ القرن السّادس عشر وقد هيّأت بلدان أوروبا الغربيّة خاصّة لفرض سيطرتها على العالم من خلال التوسّع الاستعماري.

عناوين الدروس

الدرس الأول	فكر التنوير.
الدرس الثّاني	الثّورة الفرنسيّة وانتصار المبادئ الجديدة.
الدرس الثّالث	الثّورة الصناعيّة : أهم مظاهرها.
الدرس الرّابع	التحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة بأوروبا الغربيّة في القرن XIX.
الدرس الخامس	التيّارات الفكريّة والسياسيّة في أوروبا في القرن XIX.
الدرس السّادس	التوسّع الاستعماري واقتسام العالم في القرن XIX.

الدرس الأوّل

فكر التّنوير

المدخل

تستمدّ إجمالا النظم الاقتصاديّة والسياسيّة القائمة اليوم في العالم جذورها من فكر التنوير الّذي ظهر في أوروبا خلال القرن الثّامن عشر ممّا يدفعني إلى التّساؤل حول مفهوم التّنوير وأهم أفكاره وأثرها في المجتمع آنذاك.

النشاط الأول

أتعرّف إلى مفهوم التّنوير وإلى جذوره ومبادئه

الموارد

الوثيقة : 1

ما التّنوير ؟

كتب "كانط*" في مقال تحت عنوان «ما التّنوير ؟»

التّنوير هو تحرّر الإنسان من اللاّرشد، واللاّرشد هو عجز الإنسان عن الإفادة من عقله من غير معونة من الآخرين، كن جريئا في إعمال عقلك. هذا هو شعار التّنوير ... لأنّ التّنوير ليس في حاجة إلاّ إلى الحريّة ... إنّها الحريّة في الاستخدام العام للعقل في كل مسألة.

ورد بالمجلّة التونسيّة للدراسات الفلسفيّة عدد 22/23– ص 45.

* **ايمانيال كانط** : مفكّر ألماني من مفكّري التّنوير (1724–1804).

الوثيقة : 2

عرّف ديدرو الفيلسوفَ على النحو التّالي :

الفيلسوف* هو [إنسان] يتجاسر أن يفكّر تفكيرا ذاتيا ويرجع إلى المبادئ العامّة الأكثر وضوحا، ولا يقبل شيئا إلاّ بشهادة الحواس والعقل بعد أن داس بقدميه الأحكام الخاطئة والتقليد والقديم والموافقة الشّاملة والسلطة.

ورد في كتاب ألبيرسو بول «تاريخ الثورة الفرنسيّة» ص 55
منشورات عويدات – بيروت – باريس.

* **الفيلسوف** في القرن 18 هو المفكّر بصفة عامّة.

إضاءات

حول تعريف «النظام القديم» :

هو النّظام السائد في جلّ البلدان الأوروبيّة خلال القرن الثّامن عشر، فرض قيودا كثيرة على السكان في كل المجالات. تميّز بـ :

– في المجال السّياسي : مَلَكية الحق الإلاهي المطلقة أي أنّ الملك يستمدّ سلطته من اللّه ولا يشاركه فيها أحد.
– في المجال الدّيني : هيمنة الكنيسة على المجتمع والتعصّب الدّيني.
– في المجال الاجتماعي : وجود أقليّة أرستقراطيّة تتمتّع بامتيازات وأغلبيّة غير محظوظة عليها واجبات وليس لها حقوق.
– في المجال الاقتصادي : سيطرة الدولة على الحياة الاقتصاديّة وفرضها للقيود على الإنتاج والمنتجين.

التعليمات

- حدّد مفهوم التّنوير من خلال الوثيقتين 1 و2.
- بيّن من خلال الوثيقتين 1 و2 والإضاءات أوجه الاختلاف بين فكر التّنوير ومميّزات النّظام القديم.

الوثيقة : 3

وضع ديكارت* مجموعة من القواعد يرتكز عليها التّفكير : «....أوّل قاعدة أن لا أتلقّى على الإطلاق شيئا على أنّه حق مادام لم أتبيّن بالبداهة أنّه كذلك أي أن أعنى بتجنّب التعجّل والتشبّث بالأحكام المسبقة. وأن لا أدخل في أحكامي إلاّ ما يتمثّل لعقلي في وضوح وتميّز لا يكون لديّ معهما أي مجال لوضعه موضع الشكّ ...»

روني **ديكارت** – مقالة الطريقة ورد في كتاب
«الفلسفة في البكالوريا» شعب علميّة م.ق.ب.ص 22،

* **ديكارت** : مفكّر فرنسي عاش ما بين 1596–1650.

الوثيقة : 4

«لقد كان المجتمع [في أوروبا في القرن الثامن عشر] أرستقراطيّ الجوهرأساسه امتياز الولادة والثروة العقاريّة ولكن هذه البيئة التقليديّة اهترأت بفعل تطوّر الاقتصاد [منذ القرن السادس عشر] الّذي زاد من أهميّة الثروة المنقولة ومن قوّة البورجوازيّة».

ألبيرسوبول «تاريخ الثورة الفرنسيّة من الباستيل إلى الجيروند»
ترجمة جورج كوسي ورد في كتاب «أثر الثورة الفرنسيّة في فكر النهضة»
مؤلّف جماعي – دار محمد علي الحامي للنشر 1991 ص 8

الوثيقة : 5

مقتطفات من الرسائل الفلسفيّة لفولتار (Voltaire)
«... إنّ الأمّة الانقليزيّة هي الوحيدة على هذه الأرض الّتي استطاعت تحديد سلطة الملوك بأن قاومتهم والّتي تمكّنت بعد لأْيٍ وجُهدٍ من اقامة هذا الحكم الحكيم حيث تطلق الحرية للأمير عندما يبغي الخير وتقيّد يداه عندما ينوي الشرّ ... وحيث يشارك الشعب في الحكم بلا فوضى ...».

ذكره فولغين فلسفة الأنوار
تعريب هنريات عبودي،
دار الطليعة – بيروت 1981.ص 34

التعليمات

- استخرج بالاعتماد على الوثائق (3 – 4 – 5) وعلى مكتسباتك جذور حركة التّنوير.

الوثيقة : 6

العقل أساس المعرفة

«هذا الفكر المعمّق، والمعتمد على العقل، والّذي نشره كثير من المفكّرين في كتاباتهم، وفي مناقشاتهم ساهم في تثقيف الأمّة وتهذيبها. فقد قضى نقدهم على كلّ الأفكار المسبّقة الّتي كانت تعفّن المجتمع مثل تكهّنات المنجّمين، وتنبّؤات السّحرة، ومختلف أنواع الشّعوذة، والمعجزات والأعاجيب المزيّفة، والعادات المبنيّة على خرافات باطلة ...»

فولتار (Voltaire)، «الموسوعة» ص 73.

الوثيقة :7

«... لم يحصل أي إنسان من الطبيعة على حق التحكم في الآخرين. فالحريّة هي هبة من السّماء وكل فرد له الحقّ في أن يتمتّع بها طالما أنّه يتمتّع بالعقل.

ديدرو «الموسوعة» ص 58.

الوثيقة : 8

«... أن يكون المرء حرّا وأن يكون مساويا للجميع فتلك هي الحياة الحق، حياة الإنسان الطبيعيّة. وكل حياة أخرى لا تعدو أن تكون خدعة حقيرة وملهاة رديئة يؤدّي فيها أحدهم شخصيّة السيّد والآخر دور العبد...».

فولتار ذكره فولغين، فلسفة الأنوار،
تعريب هنريات عبودي، دار الطليعة بيروت 1981 ص 29،

التعليمات

- أبرز، انطلاقا من الوثاق (1 – 6 – 7 – 8) ، أهمّ مبادئ التّنوير.
- استخرج من الوثيقتين (7 و 8) المصدر الّذي استلهم منه مفكّرو التّنوير هذه المبادئ.

النشاط الثاني أتعرّف إلى أبرز مفكّري التّنوير ونقدهم «للنّظام القديم»

الموارد

الوثيقة : 9

تفريق السّلط

«توجد في كلّ دولة ثلاثة أنواع من السّلط وهي :
السّلطة التشريعيّة، والسّلطة التّنفيذيّة والسّلطة القضائيّة ... وعندما تدمج السّلطة التشريعيّة مع السّلطة التّنفيذيّة تنعدم الحريّة، لأنّ الشّخص أو المؤسّسة، الّذين تقلّدا مثل هذه السّلطة المزدوجة، قد يسنّان قوانين جائرة ويعملان على تطبيقها بطريقة تعسفيّة ...

مُونْتَسْكِيُو Montesquieu (روح القوانين).
ورد في كتاب التاريخ 6 ثانوي، م. ق.ب ص 158،

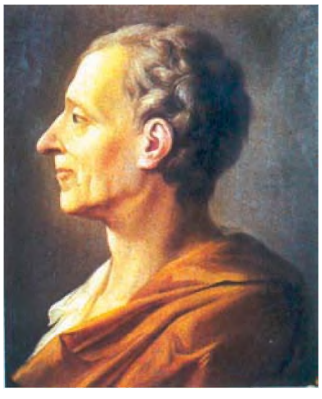

مونتسكيو (1689– 1755) مفكّر فرنسي، ينتمي إلى عائلة نبيلة من أهم آثاره :
– الرّسائل الفارسيّة (1721)
– روح القوانين (1748)

الوثيقة : 10

الإستبداد النيّر

«الملك الطيّب [المتشبّع بالأفكار النيّرة] هو خير هديّة تقدّمها السّماء إلى الأرض ...
إنّ الديمقراطيّة، على ما يبدو، لا تناسب إلاّ بلدا صغيرا... ومهما كان صغره، فإنّه سيرتكب الكثير من الأخطاء، علما بأنّه يتكوّن من بشر ولذلك سيعمّه الشّقاق كما لو كان دير رهبان...»

فولتار (الأعمال الكاملة) المصدر السابق
ص 159.

فولتار (1694-1778)
ينتمي إلى عائلة ثريّة من البرجوازيّة الفرنسيّة.
من أبرز مؤلّفاته :
– رسالة حول التسامح (1763)
– القاموس الفلسفي (1764)
بالإضافة إلى عدّة مسرحيات.

الوثيقة : 11

«.... إنّ الإرادة العامّة وحدها تستطيع توجيه قوى الدولة وفق الغاية الّتي أنشأت من أجلها وهي الخير المشترك ...
إنّ السلطة التشريعيّة تعود إلى الشعب ولا يمكن أن تعود إلاّ إليه ...»

ج.ج. روسو «في العقد الاجتماعي»
تعريب : عمّار الجلاصي وعلي الاجنف
دار المعرفة للنشر – تونس 1980. ص 26–51،

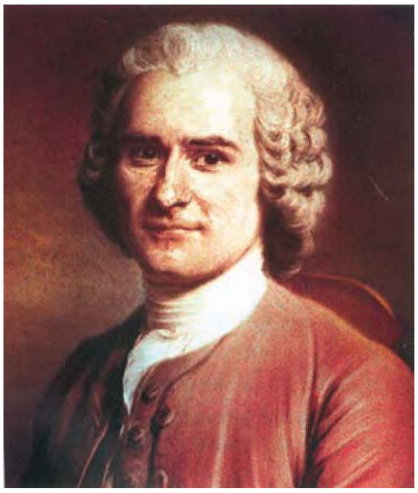

روسو (1712–1778)
مفكر فرنسي، ينتمي إلى عائلة فقيرة. أبرز مؤلّفاته :
– مقال في أصول وأسس اللاّمساواة بين البشر (1755)
– العقد الاجتماعي (1762).

التعليمات

- بيّن موقف مفكري التّنوير من الحكم المطلق.
- حدّد البدائل الّتي اقترحوها.
- اقرأ التعريف بالمفكرين وابحث عن سبب اختلاف هذه البدائل.

الوثيقة : 12

«عندما اعترف الفارس – لابار – La Barre بأنّه غنّى أغنيات ملحدة ومرّ أمام موكب ديني دون أن ينزع قبعته أمر قضاة محكمة – أبفيل – (Abbeville) بأن يقلع لسانه وتقطع يده ويحرق جسمه رويدا رويدا ... ولم تقع هذه الحادثة في القرن الثالث عشر أو القرن الرابع عشر بل وقعت في القرن الثامن عشر ...».

فولتار، القاموس الفلسفي،
نشر : فلاماريون. Edit. Flammarion ص 370

الوثيقة : 13

«... إنّ المتعصّبين هم الّذين يقضون بإعدام أولائك الّذين لا جرم لهم سوى أنّهم لا يفكّرون مثلهم. وعندما يفسد التعصّب العقول فإنّ المرض يكاد يكون غير قابل للشّفاء ...

فبماذا تردّ على شخص يقول لك إن طاعته للّه دون البشر تجعله متيقّنا من فوزه بالجنّة إذا ما ذبحك ؟ ...».

... ما هو التسامح ؟ إنّه من ميزات البشر وإنّنا كلّنا نقائص وأخطاء فلنغفر لبعضنا بعضا حماقاتنا ... فمن الواضح أنّ كل شخص يضطهد أخاه الانسان لأنّه لا يشاطره الرأي لهو متوحش ...

فولتار، القاموس الفلسفي

نفس المصدر (ص 190–363–364)

التعليمات

- حدّد من الوثيقة (12) مفهوم التعصّب عند فولتير.
- أبرز من الوثيقتين (12 و13) موقف فولتار من هيمنة الكنيسة والتعصّب الديني.

الوثيقة : 14

«... إنّ جميع الحقوق الطبيعيّة هي من حقّ الأمير والبستاني على حدّ السّواء، فمن المفروض أن يكون لكليهما حقّ متماثل في التصرّف بشخصهما وبأسرتهما وبأملاكهما. (إن) البشر متساوون إذَنْ في الجوهر ...».

فولتار، ذكره فولغين، فلسفة الأنوار

تعريب هنريات عبودي دار الطليعة بيروت 1981 ،ص 32

الوثيقة : 15

«... واذا تتبعنا استفحال اللاّمساواة في مختلف مراحل تطورها ... نجد أن إقرار ... حق الملكيّة كان عنصرها الأوّل ... انّ اللاّمساواة الّتي كانت منعدمة تقريبا في حالة الفطرة أصبحت في آخر الأمر قارة ومشرّعة بإقرار الملكيّة والقوانين ...»

روسو، مقال حول أصول وأسس اللاّمساواة بين البشر

منشورات فلاماريون (ص 234–235–282)

Discours sur les Origines et les Fondements de l'Inégalité parmi les Hommes Edit. Flammarion

التعليمات

- بيّن موقف مفكرّي التّنوير من اللامساواة الّتي ميّزت مجتمع «النّظام القديم» في أوروبا بالإعتماد على الوثيقتين (13-14)

الوثيقة : 16

مقتطفات من ثروة الأمم لـ – أدام سميث – (Adam Smith)

«... انّ إقرار نظام الحريّة الطبيعيّة يجعل كل شخص ... حرّا تماما لتحقيق مصلحته الشخصيّة وَيُمَكِّنه في نفس الوقت من المشاركة بنشاطه وبرأس ماله في المنافسة مع غيره ...

إنّ مصلحة أمّة ما في علاقاتها التجاريّة مع الأمم الأخرى تتمثّل في أن تستورد بأقلّ ثمن ممكن وأن تصدر بأرفع ثمن ممكن. ويتسنّى لها أن تشتري البضائع بأسعار منخفضة عندما تفتح بمقتضى حريّة التّجارة أسواقها أمام بضائع كل الأمم الأخرى. كما يتسنّى لها أن تبيع بأسعار مرتفعة عندما يكثر المشترون الأجانب في أسواقها ...».

عن الكتاب المدرسي «الموروث الأوروبي»

نشر هاشات Hachette ص 182.

التعليمات

■ وضّح السبيل الّذي دعا إليه أدام سميث لتطوير الحياة الاقتصاديّة في أوروبا في القرن الثامن عشر.

النشاط الثّالث

أتبيّن عوامل انتشار فكر التنوير وأثره في المجتمع

الموارد

الوثيقة : 17

جمع من المفكّرين والمثقّفين من بينهم «روسو» (رقم 1 على الصورة) وديدرو (رقم 5) يحضرون في الصالون الادبي للسيّدة «جيوفران» (رقم 7 على الصورة) قراءة كتاب لفولتير الحاضر بتمثاله (رقم 3 على الصورة).

صالون السيّدة «جيوفران»، لوحة «فابريال لومونياي» (1743–1824) روان، متحف الفنون الجميلة.

الوثيقة : 18

مقهى بباريس في القرن 18

الوثيقة : 19

أعلن "ماليرب*" في خطاب قبوله في الأكاديميّة الفرنسيّة سنة 1775 :

«في عصر يستطيع فيه كل مواطن أن يخاطب الأمّة كلّها بصوت الطباعة، إنّ أولئك الّذين يمتلكون موهبة تعليم النّاس أو مقدرة تحريك عواطفهم وبكلمة واحدة رجال الأدب، هم، وسط الشعب المنتشر في كل مكان، مثل ما كان خطباء روما وأثينا وسط الشعب المتجمّع في مكان واحد».

ورد في كتاب البيرسوبول "تاريخ الثورة الفرنسيّة
منشورات عويدات –بيروت– باريس ص58

* "ماليرب" مفكر فرنسي اضطلع في عهد لويس السّادس عشر بمهام رئيس دائرة المطبوعات.

الوثيقة : 20

ديدرو يعرّف بالموسوعة وبدورها

«إنّ هذا العمل الّذي بدأناه، والّذي نأمل أن نتمّه له غايتان : فهو يسعى كموسوعة أن يعرض قدر الإمكان نظام المعارف الانسانيّة وتسلسلها، ويسعى كقاموس عقلاني للعلوم والفنون والحرف إلى أن يحوي كلّ المبادئ العامّة الّتي تكون قاعدة كلّ علم وفنّ، وعلى أهمّ التّفاصيل الّتي تتعلّق بشكلهما ومضمونهما ...»

ديدرو (الموسوعة) ورد بكتاب السادسة ثانوي
م.ق.ب. ص 157

ديدرو (1784–1713) مفكّر فرنسي، من أب حرفي، برز بإشرافه على إصدار "موسوعة العلوم والفنون والحرف" وتحرير العديد من فصولها.

التعليمات

- تأمّل الوثيقة (18) ، ماذا تلاحظ على الطاولات ؟ ماذا تستنتج عن دور المقهى في القرن الثامن عشر؟
- استخرج من الوثائق (17–18–19–20) عوامل انتشار الأفكار الجديدة.
- هل تعتقد أنّ هذه العوامل ساهمت في نشر فكر التّنوير في عمق المجتمع الأوروبي ؟ علل إجابتك.

الوثيقة : 21

أصدر الملك لويس الخامس عشر القرار التّالي في 16 أوت 1757 :

«... يعاقب بالإعدام كل الّذين ثبت أنّهم ألفوا ونشروا كتابات تهدف الى التهجّم على الدّين أو الى الْمَسِّ من نفوذنا وإدخال الفوضى على النّظام والاستقرار في دولتنا ... كما يعاقب بالإعدام أيضا كل من طبع هذه المؤلّفات وكل من روّجها من أصحاب المكتبات والباعة المتجوّلين وغيرهم ...».

أخذ من Documents d'histoire Vivante de l'antiquité à nos jours ed. Sociales
وثائق التاريخ الحي من العصر القديم الى اليوم – المنشورات الاجتماعيّة
ورد بكتاب التّاريخ، السّادسة ثانوي، م ق ب 1987. ص 160

الوثيقة : 22

تأثّر بعض ملوك أوروبّا بفلسفة التّنوير

«إنّ امبراطورة روسيا، وملك بولونيا، وملك بروسيا ... وعدّة ملوك آخرين يرفعون (اليوم) راية فلسفة (التّنوير). ولقد حصلت ثورة في العقول منذ اثنتي عشرة سنة. وما من شك أنّ الأنوار تنتشر أيّما انتشار في كلّ مكان ...»

فولتار – رسالة إلى هَلْفَيتِيُوسْ Helvétius من كتاب أ. سوبول و.ج. ليمارشان : قرن الأنوار
ورد بكتاب التّاريخ، السادسة ثانوي، م ق ب 1987، ص 160 .

الوثيقة : 23

استغلال مبادئ التّنوير من طرف سكّان المستعمرات الثلاثة عشر

«إنّنا نؤمن بأن النّاس جميعا خلقوا سواسيّة وأن خالقهم قد وهبهم حقوقا لا تقبل المساومة، منها حقّ الحياة، وحقّ الحريّة، والسّعي لتحقيق السّعادة. وتقوم الحكومات بين النّاس لضمان هذه الحقوق ... وإنّه إذا ما أخلّت الحكومة بهدف من هذه الأهداف، أصبح من حقّ الشّعب أن يغيّرها ... وبناء على ذلك، فإنّنا، ممثّلو الولايات المتّحدة الأمريكيّة، المجتمعون، في مؤتمرنا العام، نعلن رسميّا أنّ المستعمرات ولايات حرّة، ومستقلّة، ومتحرّرة من كلّ تبعيّة للتّاج البريطاني.»

وثيقة إعلان استقلال الولايات المتّحدة الأمريكيّة، كتاب كُومَاجِرْ Commager
وثائق عن تاريخ أمريكا، ورد بكتاب التّاريخ، السادسة ثانوي، ص 155

التعليمات

- بيّن أثر الأفكار الجديدة في مجتمع القرن الثّامن عشر.

أستخلص

المقدمة :

ظهر التّنوير في أُورُوبّا خلال القرن الثّامن عشر وهو حركة فكريّة، لها جذور عميقة، أثّرت في المجتمعات الغربيّة وأسست للدولة الحديثة وللمجتمع المدني.

I – التّنوير : فكر جديد، جذوره عميقة ومبادئه إنسانيّة :

مثّلت حركة التّنوير في أوروبا في القرن الثّامن عشر فكرا جديدا سعى إلى تقويض أسس "النّظام القديم" السّائد آنذاك في أغلب بلدان أوروبا. دعا إلى إعمال العقل وا هتمّ بالإنسان وحاول تخليصه من القيود المفروضة عليه [1–2].

1 ـ جذور التّنوير عميقة :

لئن برزت حركة التّنوير في القرن الثامن عشر فإنّ جذورها تعود إلى بداية العصر الحديث وإلى التحوّلات الّتي شهدتها أوروبا منذ القرن السّادس عشر والمتمثّلة في :

أ– **حركة الأنسنة والتّيار العقلاني** : اهتمّت حركة الأنسنة في القرن السادس عشر بالإنسان وبسعادته. كما بدأ في البروز تيار عقلاني ينازع سلطة الكنيسة ويدعو إلى إعمال العقل وإلى التجربة وقد تدعّم في القرن السّابع عشر مع المفكّر الفرنسي ديكارت [3].

ب– **التطوّر الاقتصادي والاجتماعي في أوروبا منذ القرن السادس عشر** [4]

عرفت أوروبا منذ القرن السادس عشر وعلى إثر الرحلات الكبرى والاكتشافات الجغرافيّة تطوّرا اقتصاديا هامّا تمثّل خاصّة في ازدهار التّجارة البحريّة وتراكم رؤوس الأموال. أدّى هذا التّطوّر إلى تراجع أهميّة الثّروة العقاريّة وتزايد أهميّة الثّروة المنقولة وإلى تحوّل اجتماعيّ تمثّل في بروز فئة اجتماعيّة جديدة هي البرجوازيّة كانت تبحث عن مكانة سياسيّة تتلاءم وثروتها الماديّة وعن إطار من الحريّة يساعدها على الرّقيّ والتقدّم، فتبنّت الفكر الجديد.

ج– **المثال الانقليزي** : أدّت الثّورة الانقليزيّة لسنة 1688 وإعلان وثيقة الحقوق لسنة 1689 إلى الحدّ من السلطة المطلقة للملك فظهرت الملكيّة الدستوريّة بأنقلترا وراقبت البرجوازيّة سياسة الملك عن طريق البرلمان [5].

أصبح هذا النّظام مثالا يحتذى لمفكّري التّنوير والبرجوازيّة الصاعدة في أوروبا الّتي سعت إلى تقويض "النّظام القديم" إستنادا إلى مبادئ جديدة.

2 ـ مبادئ التّنوير : دعوة للتّناغم مع طبيعة الانسان.

مثّل التّنوير فكرا جديدا، استند إلى مبادئ مستلهمة من طبيعة الانسان غايتها النّهوض به ومساعدته على التقدّم وبلوغ السّعادة. من أبرزها :

أ- **العقل وسيلة المعرفة** : أكّد مفكّرو أوروبا في القرن الثامن عشر أن على الانسان أن يستعمل مؤهلاته الذهنيّة استعمالا نقديا في مواجهة الأفكار المسبقة والخرافات والعادات والتقاليد السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة حتّى يتخلّص من قيودها ويحقق الرّقيّ والتقدّم عن طريق المعارف المكتسبة [6].

ب- **الايمان بالحرّية والمساواة** : أكّد مفكّرو التّنوير على أنّ الحرّية والمساواة من الحقوق الطبيعيّة للانسان الّذي يولد حرّا ومتساو مع الآخرين، وبالتالي لا يحقّ لأحد تجريده من طبيعته [7-8].

وجدت هذه المبادئ والأفكار وعاء حاملا لها في البرجوازيّة الصّاعدة الّتي تبنّت الفكر الجديد للقضاء على ضغوطات "النّظام القديم" في شتّى الميادين.

II- التّنوير : ثورة على "النّظام القديم" :

ظهر الفكر الجديد عن طريق ثلّة من المفكّرين الأوروبيين الّذين نعتوا بفلاسفة التّنوير، وكان أبرزهم من فرنسا، انتقدوا الأوضاع السّائدة واقترحوا حلولا لأهم مشاكل عصرهم في شتّى المجالات.

1- في المجال السّياسي : نقد الحكم المطلق :

أدان كل المفكّرين الملكيّة المطلقة المستندة إلى الحق الإلاهي أي أنّ الملك يستمد نفوذه من إرادة إلاهيّة فلا يشاركه أحد في سلطاته ويؤول حكمه إلى الاستبداد الّذي يتنافى مع مبدإ الحرّية. إلاّ أنّهم اختلفوا حول النّظام البديل المقترح باختلاف انتماءاتهم الاجتماعيّة :

- **فولتير** : ينتمي إلى البرجوازيّة، عبّر عن إعجابه بالملكيّة الدستوريّة الانقليزيّة [5] إلاّ أنّه لا يريد منح النخب الارستقراطيّة المزيد من النّفوذ في فرنسا، فاقترح نظام الاستبداد النيّر أي الإبقاء على كل السلط بيدي الملك على أن يستنير بآراء مفكّري التّنوير [10].

- **مونتسكيو** : ينتمي إلى الارستقراطيّة، دعا في كتابه "روح القوانين" إلى ضرورة الفصل بين السّلطات الثلاث لتجنّب الحكم المستبدّ [9] واقترح كبديل للملكيّة المطلقة نظام الملكيّة البرلمانيّة على النمط الانقليزي.

- **روسو** : ينتمي إلى وسط شعبي، اقترح كبديل للملكيّة المطلقة النّظام الديمقراطي [10] أي أنّ الشعب هو صاحب السّيادة، يسنّ القوانين ويُعيّن حكومة لتطبيقها استنادا إلى عقد اجتماعي يربط بين الشعب والحكومة.

2- في المجال الديني : نقد هيمنة الكنيسة والتعصّب الديني :

آمن جُلّ المفكّرين بوجود إلاه خالق للكون باستثناء البعض مثل ديدرو الّذي كان ملحدا. لكنّهم أجمعوا على مقاومة سيطرة الكنيسة على المجتمع والتعصّب الدّيني ونادوا بالتّسامح تطبيقا لمبدإ حريّة الرأي وحرّية المعتقد، كما ندّدوا بامتيازات رجال الدّين انطلاقا من مبدإ المساواة. وقد برز في هذا المجال المفكّر فولتير بجهوده في الدعوة إلى التّسامح الدّيني [12-13].

3- في المجال الاجتماعي :

ندّد مفكّرو التّنوير، انطلاقا من مبدإ المساواة، بالامتيازات والحقوق الاقطاعيّة الّتي تتمتّع بها الارستقراطيّة وطالبوا بإلغائها ونادوا بالمساواة المدنيّة بين جميع النّاس أي المساواة أمام القانون وبحق الجميع في الوظائف حسب الكفاءة [14]. إلاّ أنّ روسو ذهب إلى أبعد من ذلك وطالب بالمساواة الاجتماعيّة معتبرا الملكيّة الخاصّة أساس التّفاوت الاجتماعي [15].

4- في المجال الاقتصادي :

عارض اقتصاديو القرن الثامن عشر مثل الفرنسي "كيناي" والانقليزي "آدم سميث"، تدخّل الدولة في الحياة الاقتصاديّة عن طريق التّنظيمات المفروضة على الحرفيين والمنتجين عامّة وعن طريق الضرائب المرتفعة والحواجز الجمركيّة بدعوى حماية الاقتصاد الوطني، وطالبوا بتطبيق مبدإ الحرّيّة في مستوى الملكيّة والانتاج والتّجارة، واعتمدوا مبدأ «دعه يعمل، دعه يمرّ» [16].

من خلال استعراض أهم أفكار مفكّري التّنوير في شتّى المجالات، نلاحظ أنّهم كرّسوا جهودهم للقضاء على "النّظام القديم" ولإرساء أسس الدولة الحديثة من خلال المطالبة بالفصل بين السلط وبلورة فكرة "العقد" بين الحاكم والمحكوم، فبدأت تبرز الملامح الأولى للمجتمع المدني الّذي تحكمه القوانين ويقوم على أساس مبدإ المساواة أمام القانون والتّسامح والحريّة.

III- انتشار الفكر الجديد وأثره في المجتمع :

رغم القمع وقرارت منع ترويج بعض الكتب وحتّى حرقها [21] انتشرت حركة التّنوير في المجال الأوروبي.

1- عوامل انتشار الفكر الجديد :

أ- دور الصالونات والمقاهي والنّوادي : ثلاثة مخابر للافكار الجديدة

لعبت ظاهرة الصالونات الّتي أقامها بعض الاثرياء المثقّفين في منازلهم خاصّة من النّساء الفرنسيّات، دورا هامّا في نشر الأفكار الجديدة من خلال النقاشات الّتي كانت تجري داخلها بين المفكّرين والمثقّفين من البرجوازيّة والنبلاء المتعطّشين لهذه الأفكار. كما لعبت المقاهي الّتي تعدّدت في المدن مثل مدينة باريس، نفس الدور بالنسبة للطبقات المتوسطة اذ كانت تُقرأ بها الصحف والكتب [17-18]، أمّا نوادي القراءة والمناقشة فهي ظاهرة انقليزيّة انتشرت في القرن الثامن عشر في بعض البلدان الأوروبيّة مثل فرنسا وساهمت في نشر الأفكار الجديدة.

ب- تطوّر حركة الطباعة والنّشر ودور الموسوعة [19-20]

ازدهرت حركة الطّباعة والنّشر في أوروبا خلال القرن الثامن عشر فساهمت في انتشار الأفكار الجديدة من ذلك مثلا أنّ كتاب "روح القوانين" لمونتسكيو طُبع 22 مرّة متتالية في ظرف سنة ونصف. كما صدرت "موسوعة العلوم والفنون والحرف" بأجزائها الخمسة والثلاثين ما بين 1751 و1772 تحت إشراف المفكّر الفرنسي "ديدرو" وساهم في إنجازها عدد كبير من المفكّرين واحتوت المعارف الانسانيّة منذ القديم حتّى القرن الثامن عشر، كما تميّزت بنقدها اللاّذع والمبطّن للنّظام القديم وخاصّة للكنيسة. ساهمت الموسوعة في نشر الافكار الجديدة وفي إشباع نهم المثقّفين للقراءة الّذي برز منذ عصر النهضة.

2- أثر الفكر الجديد : انتشار مجالي دون عمق :

أثّرَ الفكر الجديد في المجتمع الأوروبّي وفي المستعمرات الانقليزيّة بأمريكا الشماليّة ويبرز ذلك التأثير من خلال :

- بداية ظهور رأي عام مناصر للأفكار الجديدة ومتأثر بها إلاّ أنّه لم يشمل سوى الفئات العليا المثقّفة من الارستقراطيّة والبرجوازيّة.

– ظهور ملوك الاستبداد النيّر الّذين سعوا إلى تطبيق بعض الأفكار الجديدة في سياساتهم مثل فريدريك الثّاني ملك بروسيا (1740–1786) الّذي شجّع التعليم وألغى التعذيب، وجوزاف الثّاني امبراطور النّمسا (1741–1790) الّذي ألغى القنانة وأعلن المساواة أمام الضرائب [22].

– ثورة المستعمرات الانقليزيّة في أمريكا الشماليّة ضدّ بريطانيا وإعلانها الاستقلال في 4 جويلية 1776. فتكوّنت جمهوريّة الولايات المتّحدة الامريكيّة وأصدرت دستورا يعتمد مبدأ الفصل بين السلطات، تضمّن في مقدّمته الإعلان عن حقوق الانسان [23].

الخاتمة

التّنوير فكر جديد هاجم أسس «النّظام القديم» بأوروبا ولئن شمل جغرافيا العديد من البلدان الاوروبيّة، فظهرت عبارة «أوروبا التّنوير» إلاّ أنّه لم ينتشر بعمق في مختلف طبقات المجتمع الاوروبي بسبب نسب الأميّة المرتفعة واقتصر تأثيره في أغلب الأحيان على النخب المثقّفة من البرجوازيّة والارستقراطيّة، ورغم ذلك كان عاملا من العوامل الّتي هيّأت لاندلاع الثورة الفرنسيّة سنة 1789.

الدرس الثاني

الثورة الفرنسيّة وانتصار المبادئ الجديدة

المدخل

اندلعت الثورة الفرنسية في ماي 1789 وامتدّت على عقد كامل شهدت خلاله أحداثا هامة لعلّ أبرزها الاستيلاء على حصن الباستيل يوم 14 جويلية 1789 الذي مثّل انهيار النظام القديم وبداية تشكّل نظام جديد.
سأتبيّن أسباب الثورة وأدرس التحوّلات السياسية والاجتماعية التي أحدثتها لأتعرّف إلى المبادئ الجديدة التي كرّستها.

النشاط الأول

أتبيّن أسباب الثورة الفرنسيّة

الموارد

إضاءات

إضاءات حول تركيبة المجتمع الفرنسي وتوزيع الأراضي قبل الثورة

الهيئات الاجتماعية	النسبة من مجموع		بعض الامتيازات
	السكان	الأراضي الممتلكة	
رجال الدين	% 0.5	% 8	الاعفاء من دفع الضرائب
النبلاء	% 1.5	% 22	الاعفاء من دفع الضرائب
الهيئة الثالثة (Tiers Etat)	% 98 منهم % 85 ريفيين	% 70	ليس لها أي امتياز

الوثيقة : 1

سيايَّاسْ يعرّف الهيئة الثالثة في كتيّب بعنوان «ما هي الهيئة الثالثة».
«ما هي الهيئة الثالثة ؟ إنها كل شيء. من يجسر على القول إن الهيئة الثالثة لا تملك كل ما يلزم لتشكيل أمة تامّة؟ إنّها الرجل القوي والمتين الذي ما تزال ذراع منه مكبّلة. فإذا نزعت الهيئة صاحبة الامتيازات لا تخسر الأمّة شيئا بل إنها تزداد غنى. وهكذا ما هي الهيئة الثالثة ؟ هي كل شيء إنما كل شَيْءٍ معطل ومقسور. ماذا تصبح بدون الهيئة المحظوظة ؟ كل شيء إنما كل شيء حر مزدهر. لا شيء يسير بدونها وكل شيء يسير بنوع أفضل بما لا نهاية له بدون الآخرين».

ألبارسوبول ـ **تاريخ الثورة الفرنسية** ـ
ترجمة جورج كوسي ـ منشورات عويدات ـ بيروت ـ باريس
ص 29

الوثيقة : 2

إستياء البرجوازية

كانت البرجوازية في باريس والمدن الكبرى متفوقة في ثرواتها ومواهبها وكفاءاتها (على النبلاء) وهي على وعي بتفوقها إلاّ أنها كانت مهانة إذ كانت مبعدة عن تولي المناصب العليا في المجالات العسكرية والقضائية والدينية...»

من مذكرات المركيز دي بوبي 1801 وردت بكتاب التاريخ 2 ث
هاشات للتربية 1993 ص 63.

الوثيقة : 3

تصريح الملك لويس الخامس عشر سنة 1770

«نحن لا نتلقّى تاجنا إلا من الله، فإلينا وحدنا يعود حقّ إصدار القوانين التي بموجبها نقود رعايانا ونحكمهم، دون ارتباط ولا مشاركة».

ألبارسوبول المصدر السابق ـ ص 66

الوثيقة : 4

التقسيمات الإداريّة المعقّدة بفرنسا قبيل الثورة

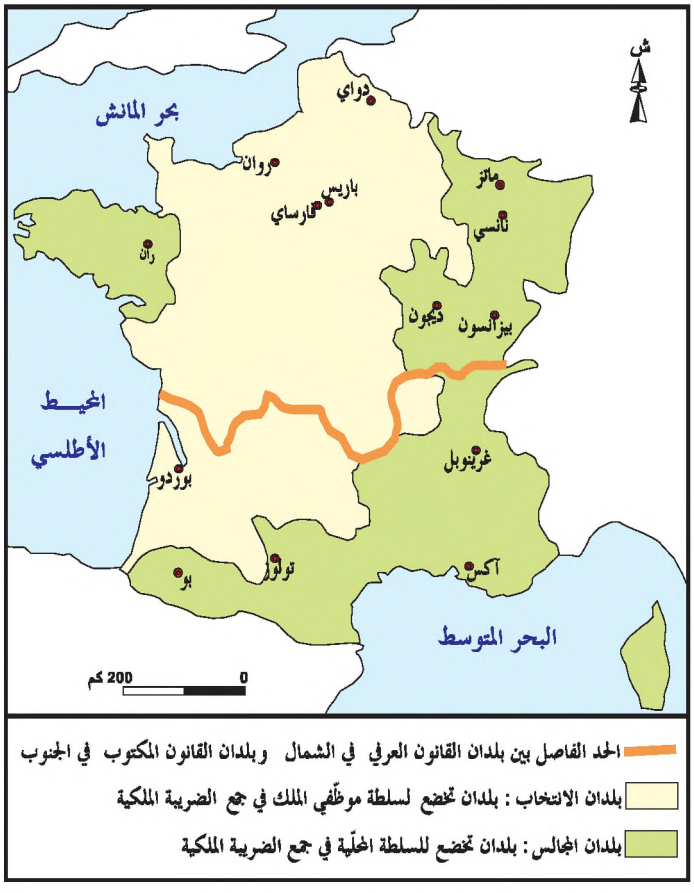

التعليمات

استخرج الأسباب العميقة للثورة الفرنسية

الوثيقة : 5

ملاحظات دوّنها رجل الدين رونار على سجلاّته :

«أدّت الأمطار المتواصلة في شتاء 1787 و1788 إلى انقطاع الأعمال الفلاحية وإلى بقاء جزء من الأراضي بدون زراعة. وفي 14 جويلية 1788 أصاب إعصار عنيف مصحوب ببَردٍ شديد كامل المنطقة بالدمار. فأتلف ربع حصادها.»

من كتاب : جان تولار ـ الثورات ـ منشورات فايار 1989. ص 31

الوثيقة : 6

ميزانيّة فرنسا سنة 1788 بالمليون ليرة

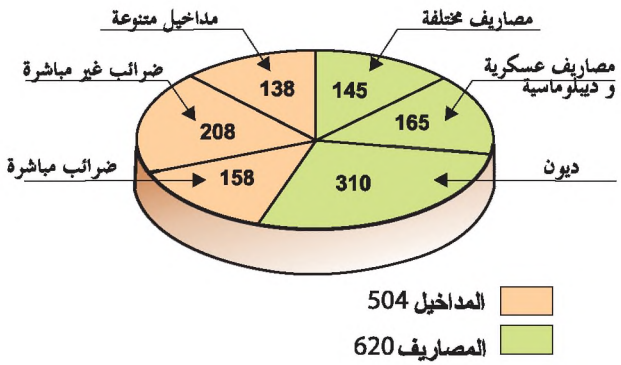

إضاءات

حول البرامج الإصلاحية لبعض الوزراء المصلحين

تركّزت مشاريع الاصلاح لبعض الوزراء المصلحين مثل تيرقو ونيكر وبريان الذين دعاهم الملك لإصلاح الأوضاع المالية والإدارية على النقاط التالية :

- أن توزّع الضرائب بشكل عادل
- أن تطهّر الإدارات الحكومية من مظاهر الفساد
- أن تتحرّر التجارة الداخلية والخارجية
- أن يقع الحد من نفوذ الكنيسة.

الوثيقة : 7

معارضة الأرستقراطية للإصلاحات

«... نُعلن عدم قبولنا المطلق باضمحلال الحقوق التي ميّزت إلى يومنا هذا هيئة النبلاء والتي ورثناها عن أسلافنا ونطلب من نائبنا في مجلس الهيئات العامة أن يُعارض كل ما من شأنه أن يمسّ ما يرتبط بأراضينا من منافع ماديّة وشرفية ونقصد من وراء هذا أنّه لا يمكنه القبول بأي تغيير أو تعويض مهما كانت طبيعته بدون موافقتنا الحرّة والفرديّة».

من كرّاس مطالب نبلاء مُونتارجيس 1789

ورد بالموقع الرقمي : http://perso.wanadoo.fr/gatinais.histoire/doleances noblesse.htm

إضاءات

حول مجلس الهيئات العامّة

هو مجلس يتكوّن من نوّاب منتخبين عن الهيئات الاجتماعية الثلاث، يدعوه الملك للانعقاد عند الأزمات الشديدة. فتتقدّم آنذاك كل هيئة اجتماعية بكراسات رغباتها تُعبّر فيها عن مطالبها وعن مواقفها من القضايا المطروحة على المجلس. وقد جرت العادة أن يجتمع نوّاب كل هيئة على انفراد ويكون التصويت داخل المجلس حسب الهيئات وليس فرديا، مما يساعد الأرستقراطية على الحفاظ على امتيازاتها لذلك طالبت الملك عند اشتداد الأزمة في 1789 بِدَعْوَةِ المجلس للانعقاد.

إضاءات

حول أهم رغبات الهيئة الثالثة الواردة في عرائضهم

- ألاّ تفرض على الأمّة ضريبة إلا بعد أن توافق عليها
- أن يشمل نظام الضرائب جميع الهيئات
- أن يسمح للهيئة الثالثة بالارتقاء إلى الوظائف
- أن يلغي الملك الرسائل المختومة لسجن من يشاء دون محاكمة وأن تمنح الحريات الفردية
- أن يكون الاقتراع على المشاريع حسب التصويت الفردي

التعليمات

استخرج من الوثائق والإضاءات الأسباب المباشرة للثورة الفرنسية.

النشاط الثاني

أتعرّف إلى التحوّلات السياسيّة والاجتماعيّة الّتي نتجت عن الثورة الفرنسيّة

الموارد

الوثيقة : 8

قسم أعضاء الجمعية الوطنية* (20 جوان 1789)

«إننا نُقسم ألاّ نتفرّق وألاّ ينفرط عقد الجمعية الوطنية وأن نجتمع في أي مكان تدعو إليه الظروف إلى أن يتمّ وضع دستور للمملكة وتركيزه على دعائم ثابتة».

عن «**التوثيق الفوتوغرافي الفرنسي**» جوان 1980

ورد أيضا بالموقع الرقمي : http://revolution.1789.free.fr/page-2.htm

* الجمعية الوطنية هي التسمية التي أطلقها نوّاب الطبقة الثالثة على أنفسهم داخل مجلس الهيئات العامّة في 17 جوان 1789 ثم أصبحت الجمعية الوطنية التأسيسيّة في 9 جويلية 1789 مهمتها سنّ دستور للبلاد.

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقة (8) وبالرجوع إلى الوثيقة (1) وإلى الإضاءات حول تركيبة المجتمع الفرنسي :

- بيّن مُبرّرات إعلان نوّاب الهيئة الثالثة أنفسهم جمعية وطنية.
- وضح التحوّل السياسي الهام الذي مثّله هذا الإعلان.

الوثيقة : 9

دعوة كاميي دي مولان* إلى الجماهير الشعبية بباريس

«أيها المواطنون ليس لدينا وقت نضيعه، و لم يكن خلع نيكر** إلاّ نذيرا بمذبحة هائلة... في هذه الليلة ستقوم الفرق السويسرية والألمانية من ثكناتها ليذبحونا جميعا. لم يبق أمامنا الا طريق واحد، ذلك أن نحمل السلاح».

وردت بكتاب حسن جلال «**الثورة الفرنسية**» سلسلة المعارف العامّة مطبعة الاعتماد مصر الطبعة الثانية 1930 ص 110

* **كاميي دي مولان** : أحد قادة الجماهير الشعبية أثناء الثورة.

** **نيكر** : وزير مصلح عزلهُ الملك لويس 16 اثر بروز الجمعية الوطنية التأسيسية.

الوثيقة : 10

«الأرياف الفرنسية في بداية أوت 1789»

«... يبدو من خلال الرسائل الوافدة من كل الجهات أن الأملاك مهما كان نوعها صارت فريسة أبشع أعمال اللصوصية. ففي كلّ مكان تحرق القصور وتهدّم الأديرة وتباح الضيعات للنّهب. فالضرائب والحقوق الإقطاعية وكل [ما هو من هذا القبيل] يقضى عليه. وصارت القوانين من دون فاعلية والقضاة من دون سلطة وأمست العدالة شبحا يبحث عنه في المحاكم سدى».

مداخلة أحد نوّاب الطبقة الثالثة في الجمعية الوطنية التأسيسيّة يوم 3 أوت 1789

وردت في كتاب التاريخ ـ سادسة ثانوي ـ م.ق.ب. ص 175

الوثيقة : 11

الاستيلاء على حصن الباستيل* من طرف الجماهير الشعبية في باريس يوم 14 جويلية 1789

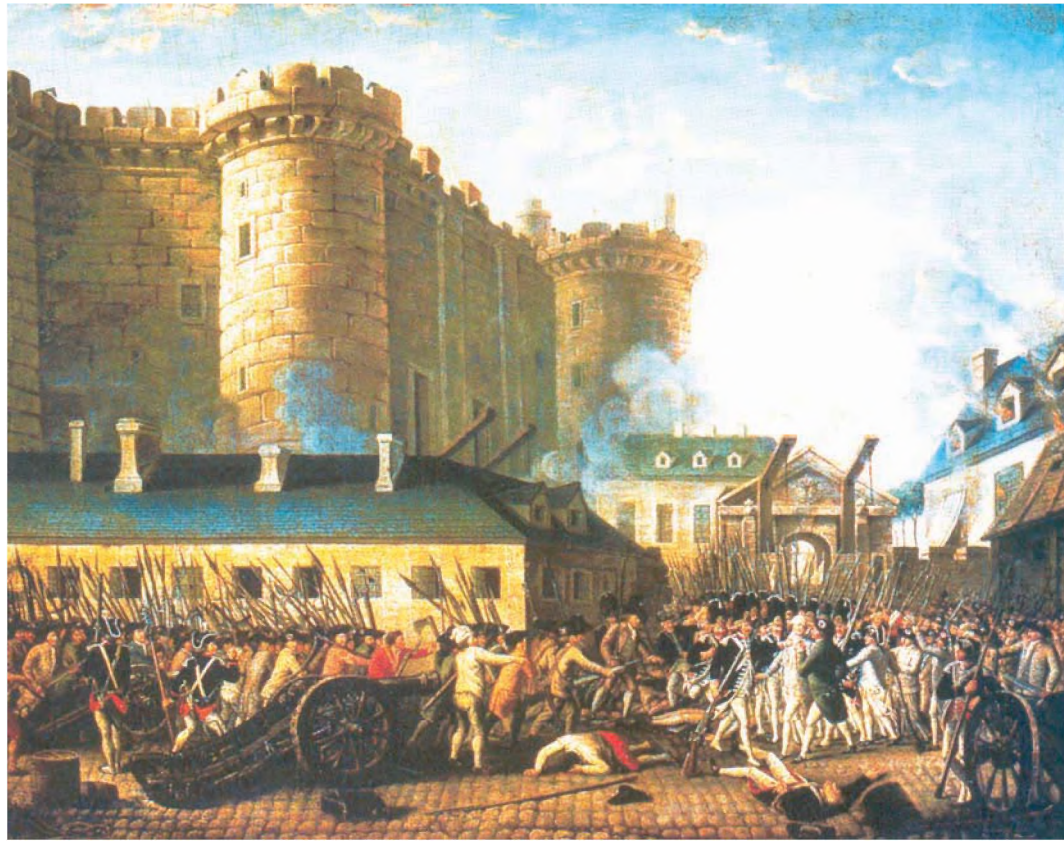

لوحة زيتية من متحف كارنفالي ـ باريس

*حصن الباستيل هو سجن ملكي ورمز للملكية المطلقة وللاستبداد، هاجمته الجماهير الشعبية للاستحواذ على الأسلحة المخزونة به.

الوثيقة : 12

قرارات الجمعية الوطنية التأسيسية ليلة 4 أوت 1789

«... تقرر الجمعية الوطنية :

الفصل 1 : إنهاء النظام الإقطاعي وإلغاء الحقوق والواجبات الإقطاعية المسلطة على الأشخاص... دون تعويض... وجعل بقية الحقوق قابلة للشراء.

الفصل 4 : إلغاء المحاكم الإقطاعية دون تعويض.

الفصل 5 : إلغاء العشر بجميع أشكاله.»

من ملف «التوثيق الفوتوغرافي الفرنسي» جوان 1980

ورد أيضا بالموقع الرقمي : http://fr.wikipedia.org/wiki/Nuit du 4 août

التعليمات

- بيّن من خلال الوثيقة 12 التحوّل الاجتماعي الهام الذي أفرزته الثورة الفرنسية.
- فسّر هذا التحوّل من خلال الوثائق (9 – 10 – 11).

الوثيقة : 13

روبسبيير ومحاكمة لويس السادس عشر

«انقضى عهد لويس الملك* وبدأ عهد الجمهورية**. أطاحت بلويس السادس عشر جرائمه، كان لويس يرى أن الشعب الفرنسي متمرد فاستعان عليه بجلادي أوروبا (ملوك الحكم المطلق) إلاّ أن الشعب انتصر عليه واعتبره هو المتمرد الحقيقي...».

روبسبيير 3 ديسمبر 1792

ورد بالموقع الرقمي : http://membres.lycos.fr/discours/discours.htm

* تم عزل الملك لويس السادس عشر يوم 10 أوت 1792 وأعدم يوم 21 جانفي 1793.

** ألغيت الملكية يوم 21 سبتمبر 1792 وتم الإعلان عن قيام الجمهورية يوم 22 سبتمبر 1792.

الوثيقة : 14

سلم زمني حول تطوّر النظام السياسي بفرنسا أثناء الثورة من 1789 إلى 1799

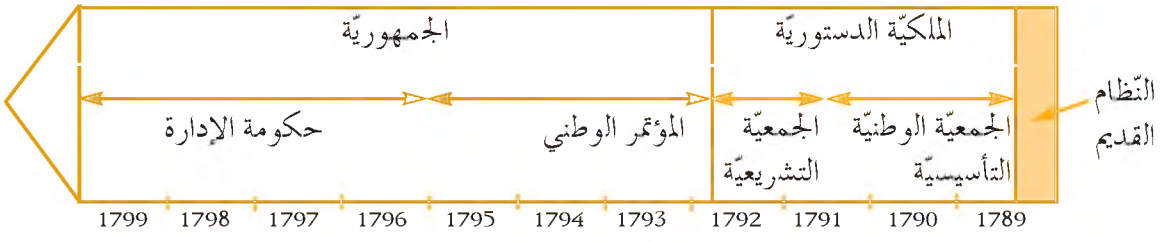

– الجمعية التشريعية هي الجمعية الوطنية التي انتخبت إثر إصدار الجمعية التأسيسية لدستور 1791.

– المؤتمر الوطني هو الجمعية الوطنية التي انتخبت إثر الإطاحة بالنظام الملكي.

الوثيقة : 15

«مارا» أحد قادة الجماهير الشعبية يبرز أضرار نظام الانتخاب على الجماهير الشعبية

«وعلى هذا النحو يجعل التمثيل الذي أصبح متناسبا مع الضريبة المباشرة*، الإمبراطورية بين يدي الأغنياء، وليس بالإمكان تحسين مصير الفقراء أبدا بوسائل سلمية، فهم أبدا خاضعون محكومون مضطهدون. وفي ذلك برهان صارخ دون شك على تأثير الثروات على القوانين...».

ألبار سوبول ـ المصدر السابق ـ ص 163

* يشير «مارا» إلى نظام الاقتراع الذي أقرّه الدستور في 1791 ويتمثّل في الاقتراع المليئ وهو نظام انتخابي يقضي بأن يكون المواطن دافعا لقيمة محدّدة من الضرائب ليحق له الاقتراع وهو عكس الاقتراع العام الذي يضمن حقّ الاقتراع لكل المواطنين.

الوثيقة : 16

من خطاب لأحد قادة المؤتمر الوطني في جوان 1795

«يجب أن يحكمنا الأفاضل، والأفاضل هم الأكثر ثقافة والأكثر اهتماما بالمحافظة على القوانين. والحال، مع بعض الاستثناءات القليلة، لن تجدوا أمثال هؤلاء الرجال إلا من بين الملاّكين الذين يتعلقون ببلادهم لأن فيها ممتلكاتهم ويتعلّقون بالقوانين التي تحمي ملكيتهم، والاستقرار الذي يحافظ عليها...».

ألبار سوبول ـ المصدر السابق ـ ص 430

التعليمات

- حدّد من خلال الوثيقتين (13 ـ 14) تطور النظام السياسي بفرنسا إثر انهيار النظام القديم.
- بيّن من خلال الوثيقتين (15 و16) الفئة الاجتماعية التي سيطرت على النظام السياسي الجديد وأبرز مبرّرات تلك السيطرة حسب أحد قادة المؤتمر الوطني.

النشاط الثالث أتعرّف إلى المبادىء الجديدة الّتي كرّستها الثورة الفرنسيّة

الموارد

الوثيقة 17

إعلان حقوق الإنسان والمواطن

إن ممثلي الشعب الفرنسي المجتمعين في هيئة جمعية وطنية يعتبرون أن ما يلحق المجتمع الإنساني من الشقاء ومن ظهور الحكومات الفاسدة، يرجع إلى تجاهل حقوق الإنسان، لذا قرروا أن يصدروا إعلانا عاما لحقوق الإنسان المقدسة التي لا يمكن التخلي عنها أو المساس بها ويكون هذا البيان راسخا في أذهان جميع أفراد المجتمع يذكرهم على التوالي بحقوقهم وواجباتهم...

فصل 1 : يولد الناس أحرارا ويعيشون أحرارا ومتساوين في الحقوق، والامتيازات الاجتماعية لا تبنى إلا على المنفعة العامة.

فصل 2 : إن هدف أي جمعية سياسية هو الحفاظ على حقوق الإنسان الطبيعية والتي لا يمكن التنازل عنها، وهذه الحقوق هي : الحرية وحق الملكية والشعور بالأمن ومقاومة الظلم.

فصل 3 : الأمة هي صاحبة السيادة وليس لأي هيئة أو شخص أن يمارس السلطة إلا إذا استمدها من الأمة.

فصل 4 : الحرية هي أن للإنسان الحق في أن يقوم بكل ما لا يضرّ بغيره فممارستها لا تحدّ منها إلاّ حرية الغير، والقانون وحده وهو الذي يحدّ تلك الحرية ويحميها ولا يمنع القانون إلاّ الأعمال الضارة بالمجتمع، وكل شيء لا يحجره القانون لا يعتبر ممنوعا ولا يجبر إنسان على عمل شيء لم يأمر به القانون.

فصل 6 : القانون هو تعبير عن إرادة المجتمع قاطبة ولكل المواطنين الحق في أن يشاركوا في سَنّه بصفة مباشرة أو بواسطة نوابهم، وتنفذ القوانين على سائر النّاس بدون ميز وهم متساوون كذلك في اشتغال الوظائف والمناصب العامة، لا تشترط فيهم غير الكفاءة والاستقامة.

فصل 7 : لا يقبض على أي شخص أو يحبس إلا طبقا للحالات التي نص عليها القانون.

فصل 9 : المتهم يظل برئيا حتى تثبت إدانته.

فصل 10 : لا يمكن أن يقع التعرض لإنسان من أجل آرائه حتى ولو كانت دينية على شرط أن لا تتسبب ممارسته لها في الإخلال بالنظام العام الذي أقره القانون.

فصل 11 : إن حرية التعبير عن الآراء والأفكار هي من أثمن حقوق الإنسان فلكل مواطن الحق في أن يقول وأن يكتب وأن ينشر آراءه بحرية لكنه يكون مسؤولا عن الإفراط في استعمال هذه الحرية حسب الحالات التي يضبطها القانون.

فصل 13 : للقيام بأمر القوة العامة ولتوفير نفقات الإدارة يجب مساهمة جميع المواطنين ويجب أن تحدد هذه المساهمة حسب مقدرة كل مواطن.

فصل 17 : حق الملكية حق مقدس لا يجوز أن يحرم منه أي إنسان إلاّ إذا كان ذلك للمصلحة العامة حسب ما يبينه القانون وعلى شرط أن يدفع له تعويض مناسب.

عن التوثيق الفوتوغرافي الفرنسي جوان 1980

الوثيقة : 18

تصريح ميرابو* أمام الجمعية التأسيسية

«أود تقسيما [إداريا] ماديا واقعيا متلائما مع الأمكنة والظروف وليس تقسيما رياضيا مثاليا تقريبا ولكن تنفيذه يبدو لي غير قابل للتطبيق...».

ألبار سوبول ـ المصدر السابق ص 174

* **ميرابو** : مفكر فرنسي وعضو في الجمعية التأسيسية.

الوثيقة : 19

قرار 22 ديسمبر 1789

«فصل 1 : تُقسّم المملكة تقسيما جديدا إلى مقاطعات تمثل كل واحدة منها دائرة انتخابية وإدارية ويتراوح عددها بين 75 و85 مقاطعة».

من ملف «التوثيق الفوتوغرافي الفرنسي» جوان 1980
ورد في كتاب التاريخ ـ خامسة آداب ـ م.ق.ب ـ 1987 ص 175

الوثيقة : 20

قرار 2 نوفمبر 1789

«... تعلن الجمعية الوطنية أن جميع أملاك رجال الدين تصبح تحت تصرّف الأمّة التي تتولّى تسديد مصاريف إقامة الشعائر الدينيّة ودفع مرتّبات القائمين عليها».

المصدر السابق ص 177

الوثيقة : 21

قرار 17 مارس 1791

«فصل 7 : بداية من غرّة أفريل القادم يسمح لكل شخص بأن يتعاطى أيّة تجارة وأن يمارس أيّة حرفة أو مهنة يختارها بكل حرّية...».

المصدر السابق ص 177

الوثيقة : 22

«إن المبادئ العامّة التي اعتمدتها البورجوازيّة التأسيسية لإعادة خلق المؤسسات كانت هي أيضا أساسا لإصلاح الضرائب وهي إحدى الأماني الجوهرية التي عبّرت عنها العرائض أي المساواة بين الجميع أمام الضرائب وتوزيعها العَقْلاني المماثل في سائر أنحاء البلاد، المتناسب مع المداخيل الشّخصية والسنوية».

ألبار سوبول : «تاريخ الثورة الفرنسية من الباستيل إلى الجيروند»
ورد في كتاب «أثر الثورة الفرنسية في فكر النهضة»
دار محمد علي ـ للنشر ـ 1991 ـ ص 26

الوثيقة : 23

قانون لوشابليي 17 جوان 1791

«فصل 2 : يمنع على الذين يتعاطون نفس الحرفة وعلى أصحاب الأعمال وعلى العمّال والصنّاع في أية مهنة كانت أن يكوّنوا تجمّعات مهنية أو نقابات... وأن يتخذوا قرارات بدعوى الدفاع عن مصالحهم المشتركة.
فصل 8 : كل تجمّع ينظّمه أو يحرّض عليه حرفيون أو عمّال أو صنّاع ضدّ حريّة الشغل يعتبر تمرّدا».

من ملف «التوثيق الفوتوغراقي الفرنسي» جوان 1980

ورد أيضا بالموقع الرقمي : http://fr.wikisource.org/wiki/Loi Le Chapelier

الوثيقة : 24

مكانة المرأة في الثورة

لوحة زيتية بعنوان «نادي النساء الوطنيّات» للأخوين »لوسيور« ـ متحف كارنافالي ـ باريس.

رغم المشاركة النشيطة للفرنسيات في الثورة، لم تتحصّل المرأة على حق الانتخاب. لذلك أسّست إحدى الفرنسيات «جمعية النساء الثوريات» لمحاولة الحصول على حق المشاركة في الحياة السياسية. تمثل اللوحة أحد اجتماعات هذه الجمعية.

التعليمات

- أبرز من خلال الفصلين(1 و3) من إعلان الحقوق أهمّ المبادئ التي قام عليها هذا الإعلان.
- ابحث من خلال بقية الفصول عن الأبعاد المختلفة لهذه المبادئ.
- حدد من خلال الوثائق (18 إلى 22) أهم الإصلاحات الناتجة من تطبيق المبادئ الجديدة.
- بيّن من خلال الوثيقتين(23 و24) وبالعودة إلى الوثيقة(15) حدود تطبيق المبادئ الجديدة.

أستخلص

المقدمة :

في سنة 1789 شهدت فرنسا ثورة عميقة تعدّدت أسبابها وأحدثت تحوّلات سياسية واجتماعية جذرية، تجسّدت في انهيار «النظام القديم» وإرساء نظام جديد كرّس انتصار المبادئ التي جاء بها فكر التنوير.

I – أسباب الثورة :

يمكن تصنيفها إلى أسباب عميقة وأخرى مباشرة.

1 ـ الأسباب العميقة للثورة : أزمة النّظام القديم

أ– أزمة النّظام الاجتماعي القديم :

تميّز النظام الاجتماعي القديم في فرنسا بالتمايز الاجتماعي وانعدام المساواة، إذ احتوى ثلاث هيئات اجتماعية منفصلة عن بعضها بعض [1 ـ 2].

ـ هيئة رجال الدين : تضطلع بالمهام الدينية وتهيمن على المجتمع.

ـ هيئة النبلاء : يشغل بعض أفرادها المناصب العليا في الجيش والإدارة.

تكوّن الهيئتان مجموعة الارستقراطية التي لا تمثّل سوى أقلية في المجتمع إلاّ أنّها تتمتّع بالعديد من الامتيازات كالإعفاء من أداء الضرائب وكحقّ فرض بعض الضرائب على القرويين في إطار الحقوق الإقطاعية.

ـ الهيئة الثالثة : تمثّل الأغلبية في المجتمع الفرنسي، تتكوّن من الجماهير الشعبيّة العاملة والمنتجة والمرهقة بالضرائب في المدن وفي الأرياف ومن البرجوازيّة الصاعدة التي أصبحت القوّة المحرّكة لاقتصاد البلاد وصاحبة الثروات الكبيرة إلا أنّها تفتقر إلى النفوذ السياسي ولا تشارك في تسيير شؤون البلاد لذلك كانت تسعى إلى القيام بدور سياسي ملائم لثرواتها وكفاءاتها يساعدها على تأمين مصالحها والدفاع عنها.

ب – أزمة النظام السياسي والإداري القديم :

■ أزمة الملكية المطلقة : كان الحكم الملكيّ في فرنسا مطلقا، إذ يعتقد الملك أنّه يستمدّ سلطته من الإلاه وهو بالتالي مصدر جميع السلطات، ينفق الأموال دون رقابة ويصدر الرسائل المختومة لسجن من يشاء بدون محاكمة [3].

بدأ هذا الحكم يلاقي معارضة متزايدة ويتعرّض إلى النقد نتيجة انتشار فكر التنوير.

■ الفوضى الإدارية : وصف ميرابو ـ وهو مفكر فرنسي عاش في القرن 18 ـ المملكة الفرنسية بـ «تجمّع غير منظّم لشعوب لا رابطة بينها» نتيجة انقسام البلاد إلى ولايات تخضع لنظم وقوانين متباينة وتفصل بينها حواجز جمركية، كما أنّ النّظام القضائي لم يكن موحدا ففي الجنوب يطبّق القانون الروماني وفي الشمال يسود القانون العرفي [4].

يتنافى هذا الوضع الإداري الفوضوي مع مبادئ فكر التنوير ومع مصالح البرجوازية التي تقتضي وحدة الأمّة ووحدة السوق.

عرف إذا النظام القديم أزمة حادّة وشاملة جعلت الوضع في فرنسا قابلا للانفجار الثوري.

2 ـ الاسباب المباشرة للثورة :

توفّرت في 1788 و1789 ظروف ملائمة لاندلاع الثورة :

أ – الازمة الاقتصادية والمالية (1788–1789)

شهدت فرنسا انطلاقا من 1788 أزمة اقتصادية حادّة تمثّلت في :

– نقص كبير في المحاصيل الفلاحية أدّى إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية، خاصّة الخبز، وبروز شبح المجاعة في المدن والأرياف [5].

– تراجع استهلاك المنتوجات الصناعيّة بسبب ضعف القدرة الشرائية للسكان فأفلست عدّة مؤسسات صناعية وارتفع عدد العاطلين عن العمل في المدن.
نتج عن الازمة الاقتصادية انتشار البؤس والغضب الاجتماعي في الأرياف والمدن تزامنت الازمة الاقتصادية مع أزمة مالية خانقة اذ تجاوزت نفقات الدولة سنة 1788 مداخيلها [6].

ب– تشبث الأرستقراطية بامتيازاتها ورفضها للإصلاحات [7] :
دعا الملك لويس السادس عشر بعض الوزراء المصلحين لوضع حدّ للأزمة المالية، إلا أنّ محاولات الإصلاح التي قاموا بها والمتمثّلة في ضرورة إلغاء الامتيازات الضرائبية لدعم مداخيل الدولة باءت بالفشل بسبب المعارضة الشديدة للأرستقراطيّة المتمسّكة بامتيازاتها وكحلّ بديل طلبت الأرستقراطيّة من الملك دعوة مجلس الهيئات العامّة للانعقاد والنظر في الأزمة المالية. وافق الملك على هذا الطلب ودعا المجلس للانعقاد يوم 5 ماي 1789 ومن داخل هذا المجلس انطلقت الثورة الفرنسية.

II – الثورة :

تمثّلت الثورة الفرنسية في القضاء على النظام القديم وفي إقامة البرجوازية لنظام سياسي واجتماعي مستوحى من مبادئ فكر التنوير. وقد تمّ هذا التحوّل الهام على مرحلتين أساسيتين.

1 ـ الثورة السياسية أو انهيار النظام السياسي القديم :
بدأ اجتماع مجلس الهيئات العامّة بجدل طويل بين نوّاب الأرستقراطية ونوّاب الطبقة الثالثة حول كيفية التصويت، فالأرستقراطية تريد التصويت حسب الهيئات بينما تطالب الهيئة الثالثة بالتصويت الفردي. أمام هذا المأزق أعلن نوّاب الهيئة الثالثة التي تمثّل أغلبية الأمّة أنفسهم جمعية وطنيّة في 17 جوان 1789 وأقسموا أن لا يتفرّقوا إلا بعد الاعلان عن دستور للبلاد [8].
عارض الملك في البداية هذه الإرادة الشعبية إلا أنّه سرعان ما رضخ للأمر الواقع، فأصبحت الجمعية الوطنية في 9 جويلية جمعية وطنية تأسيسيّة، مهمّتها سنّ دستور للبلاد وهذا يعني أن السلطة الشعبية عوّضت السلطة الملكية المطلقة وبالتالي انهار النظام السياسي القديم.

2 ـ الثورة الشعبية أو انهيار النظام الاجتماعي القديم :
إثر الثورة السياسية، اندلعت الثورة الشعبية بباريس ثم بالأرياف بسبب :
– تشبّث الأرستقراطية بامتيازاتها وسعي الملك إلى استعمال القوّة لحلّ الجمعية الوطنية التأسيسية [9].
– استمرار الأزمة الاقتصادية التي أدّت إلى تزايد عدد العاطلين عن العمل وارتفاع الأسعار.
– عزل الوزير نيكر الذي كان يتمتّع بشعبيّة كبيرة وبتفكير إصلاحي تحرّري.
أمام هذه التحدّيات وللدفاع عن الثورة، كوّنت البرجوازية حرسا وطنيّا بقيادة لافايات، كما تدخّلت الجماهير الشعبية بباريس فحاصرت حِصْنَ الباستيل، رمز الظلم والاستبداد، واستولت عليه في 14 جويلية 1789 [11]. وكان لهذا الحدث أهميّة كبرى اذ هو يكرّس فشل الملك في استعمال القوّة ضدّ الجمعية الوطنيّة ويمثّل انتصار البرجوازية بفضل تحالفها مع الجماهير الشعبية في باريس.
انتقلت الثورة الشعبية إلى مختلف المقاطعات الفرنسية حيث هاجم القرويون قصور النبلاء وأحرقوا بعضها وسادت الفوضى وعمّ الخوف مختلف المناطق. [10]
أمام هذا الضغط الشعبي أعلنت الجمعية الوطنية ليلة 4 أوت 1789 إلغاء الامتيازات الضرائبية والحقوق الإقطاعية وبذلك انهارت أسس النظام الاجتماعي القديم [12].

أفضت الثورة إثر انهيار النظام القديم إلى بروز نظام ملكي دستوري يقوم على مبدأ الفصل بين السلط فاحتفظ الملك بالسلطة التنفيذية ومارست السلطة التشريعية جمعية تشريعية منتخبة. تواصل النظام ملكيّا دستوريا إلى سبتمبر 1792 ثم سرعان ما تحوّل إلى نظام جمهوري [13–14] تحت ضغط الجماهير الشعبيّة وبعض الأحزاب مثل الجبليين والجيروندين.

تميّز النظام الملكي الدستوري ثم النظام الجمهوري إلى حدود 1799 بصبغته البرجوازية اذ سيطر عليه البرجوازيون الاثرياء عن طريق نظام الاقتراع المليء المستند إلى الثّرْوَة. [15–16]

III –انتصار المبادئ الجديدة :

أدّت الثورة الفرنسية إلى انتصار المبادئ الجديدة التي أفرزها فكر التنوير. ورغم بعض الانتكاسات، ترسّخت هذه المبادئ وطبعت الحياة السياسية في فرنسا وفي العالم المعاصر بصفة عامّة.

1 ـ المبادئ الجديدة [17] :

وردت هذه المبادئ في إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي صدر عن الجمعية التأسيسيّة في 26 أوت 1789 ومثّل تحوّلا جذريا في علاقة الفرد بالدولة فبعد أن كان يخضع لواجبات فقط تجاه الدولة، أصبحت له حقوق تضمنها له الدولة.

أ – مبدأ الحريّة : مثّلت الحرية مبدأ أساسيا من مبادئ فكر التنوير، اندلعت من أجله الثورة الفرنسية وأكّدته في إعلان حقوق الانسان والمواطن من خلال إقرار :

– الحريّة الفردية.
– حريّة المعتقد والرأي والتعبير.
– حريّة التجمّع.

أدّى تطبيق هذه الحريّات إلى تنشيط الحياة الفكرية والاجتماعيّة فتعدّدت الصحف المعبّرة عن المواقف والآراء المختلفة حول القضايا المطروحة أثناء الثورة.

ب – مبدأ المساواة : هو مبدأ أساسي ثان من مبادئ فكر التنوير أكّده إعلان حقوق الإنسان والمواطن من خلال إقرار:

– المساواة أمام القانون.
– المساواة أمام الضرائب.
– المساواة في الشغل.

وقد كرّست الثورة ذلك فقضت على النظام الاجتماعي القديم وألغت الامتيازات والإعفاءات التي كانت تتمتّع بها الأرستقراطية.

ج– مبدأ سيادة الأمّة : أصبحت السلطة تستمدّ شرعيتها من الشعب بعد أن كانت تستند إلى نظرية الحق الالاهي وتحوّلت السياسة من الخضوع لأهواء الحاكم إلى الخضوع للقانون الصادر عن الإرادة العامّة. وبذلك برزت الدولة الحديثة التي تقوم على إرادة الأمّة وحقّ الشعب في تقرير مصيره.

د– عقلنة المؤسسات وتوحيدها : يعني هذا المبدأ أن تتوضّح للعقل العلاقات التي تحكم مختلف مؤسسات الدولة وكذلك التي تربط بينها وبين المواطن في إطار سيادة القانون. وقد تجلّى ذلك في الإصلاحات التي أقرّتها الثورة في شتى المجالات :

* في المجال الإداري : تمّ تقسيم البلاد تقسيما إداريا جديدا وأنشئت هياكل جهوية منتخبة لتسيير شؤون الجهات وبذلك تمّ القضاء على الفوضى الإدارية .[18–19]

* في المجال الجبائي : تم تطبيق مبدأ المساواة بين جميع المواطنين أمام الضرائب وأصبحت الضريبة متناسبة مع الدخل الفردي. [22]

* في المجال القضائي : تمّ توحيد القانون المطبّق في مختلف أنحاء البلاد وأقرّت الضمانات للمتهمين تطبيقا لمبدأ الحريّة الفردية.
* في المجال الديني : أصبح رجال الدين موظّفين لدى الدولة يُختارون عن طريق الانتخاب وصُودرت أملاك الكنيسة فتحوّلت إلى أملاك الدولة [20].
* في المجال الاقتصادي : تم تطبيق مبدأ الحريّة فألغيت كل الإجراءات والحواجز والعراقيل التي كانت تُعيق حريّة الإنتاج والمُنتجين كما أقر حق الملكية للجميع [19].

2- حدود تطبيق المبادئ الجديدة أثناء الثورة [23] - [24] :

عرف تطبيق المبادئ الجديدة بعض الانتكاسات أثناء الثورة وقد تجلّي ذلك في :
– إبعاد الجماهير الشعبية عن المشاركة في الحياة السياسية إذ اقتصر حق الانتخاب وحق الترشح على دافعي مقدار معيّن من الضرائب [15].
– حرمان العمّال من حقّهم في تكوين نقابات ومن حقّهم في الإضراب [23].
– حرمان المرأة من حقوقها السياسية (حق الاقتراع وحق الترشح) [24].
– الإبقاء على الرقّ والعبودية في المستعمرات الفرنسية إلى غاية 1848 مع تواصل ظاهرة استعمار الشعوب.
تبرز هذه الانتكاسات حدود تطبيق مبدأي الحريّة والمساواة في الثورة الفرنسية وفق ما اقتضته مصالح البرجوازية آنذاك.

خاتمة :

قطعت الثورة الفرنسية مع «النظام القديم» ومثّلت منعرجا حاسما لا في تاريخ فرنسا فحسب بل في تاريخ البشرية. فقد أرست تنظيمات سياسية واجتماعية جديدة تستند إلى مبادئ فكر التنوير، كان لها تأثير كبير في أنحاء مختلفة من العالم.

الدرس الثالث الثورة الصناعيّة : أهم مظاهرها

المدخل

لم يشهد تاريخ البشريّة ثورة اقتصاديّة منذ اكتشاف الزراعة في العصر الحجري الحديث مثل الثورة الصناعيّة الّتي شهدتها أوروبا الغربيّة منذ أواخر القرن الثامن عشر والّتي تمثّل قطيعة مع الاقتصاد الزّراعي والحرفي مُؤَسِّسَةً مَعَالِمَ نظام اقتصاديٍّ جديد تهيمن فيه الآلة والصناعة : سنتدارس الظروف الّتي ساعدت على الثورة الصناعيّة ونتعرّف إلى أبرز مظاهرها.

النشاط الأول أدرس الظروف المساعدة للثورة الصناعيّة

الموارد

الوثيقة 1

تطور عدد سكان أوروبا بحساب المليون ساكن		
السنة	كامل القارة الأوروبيّة	انقلترا
1750	136	—
1800	200	10
1850	265	21

المصدر : كتاب التاريخ س2، ص 188، ناتان 1987

إضاءات

– اكتشف الطبيب الانقليزي : ادوارد جنّر E. Jenner التلقيح ضد الجدري سنة 1796.

– أمكن بفضل أعمال العالم الفرنسي : لويس باستور مقاومة الأمراض الجرثوميّة ووضع التّلقيح ضدّ مرض الكلب سنة 1885.

الوثيقة : 2

قوّة الفلاحة البريطانيّة

«يمكن أن تنازعنا أُمَمٌ أخرى التفوق في الصناعة والتّجارة ... لكن العالم بأسره يأتي ليتعلّم الفلاحة في مدرستنا ... لا يمكنكم إيقاف الامطار الطوفانيّة ولكنكم قادرون على تصريف الرطوبة الزّائدة – لا يمكنكم تَوقّع الجفاف ولكنكم تَرْوُون الأرض بآلات الرّش وتسمّدون المزروعات ... لقد ناديتم البُخار فاستجاب لكم، وفي كلمة واحدة لقد نزعتم عن الفلاحة صبغتها التقليديّة لتجعلوا منها أُولى العلوم وأُولى الفنون وجمعتم تحت لواء إدارة واحدة وفي انسجام تام عمل الكيميائي وعمل الفيزيولوجي وعمل الميكانيكي.»

المصدر : من خطاب أحد اللوردات بمناسبة معرض فلاحي مجلة العالمين 1853.

الوثيقة : 3

التجارة البحريّة وتراكم رأس المال

«فرضت أوروبا على الكون هيمنتها الاقتصاديّة منذ الاكتشافات الكبرى فكانت تنقل على سفنها منتوجات البلدان البعيدة وتجلب الى موانيها المواد المداريّة كما راكمت في بنوكها أرباح التّجارة لتُوظّفها في استغلال المناطق العذراء وتنتج في مصانعها البضائع الّتي كانت تبيعها لكل الدول ...»

المصدر : ديمنجون Deamangeon

ورد بكتاب التاريخ س 2 هاشات 1981 ص 330

التعليمات

■ انطلاقا من الوثائق (1-2-3)، صنّف المجالات الّتي شهدت تطورات منذ بداية القرن الثامن عشر بأوروبا الغربيّة ثمّ بين علاقة تطور تلك المجالات بالصناعة والتصنيع.

النشاط الثّاني

أتبيّن أهم سمات الثّورة العلميّة

الموارد

الوثيقة : 4

تقدّم العلوم

«... لا يتمّ تقدم العلوم إلاّ بتضافر جهود كل العقول، غير أنّه يتحتّم على كل منها التخصّص في مجال علمي معيّن حتّى يقوم نشاطه بأكثر فاعليّة ...

إذن نستطيع أن نقول بدون أن يعارضنا في ذلك أحد أن المرتبة الأولى في العالم المتحضر سوف تكون من نصيب الأمم الّتي تكرّس أقصى جهدها لتثقيف العقل البشري والّتي تفرض على نفسها أكبر التّضحيات لفائدة العلوم، لأنّ الإنسان لا يستطيع غزو العالم والسيطرة عليه إلاّ بعقله.»

المصدر : كلود برنار، العلوم التجريبيّة 1878.

الوثيقة : 5

مخبر الكيميائي فون ليبيق J. Von Liebig (1840) كان له دور رئيسي في تدريس علم الكيمياء بالجامعات الألمانيّة

الوثيقة : 6

العلم في نظر رينان

«ليس من المبالغة القول بأنّ مستقبل الإنسانيّة مرتبط ارتباطا كليّا بالعلم، والعلم هو الّذي سيحكم العالم لا السّياسة ... لذا يتعيّن أن يستهدف العلم الحديث تنظيم البشريّة تنظيما محكما ...»

المصدر : ارنيست رينان Ernest Renan مستقبل العلم 1848 الفصل الرّابع

التعليمات

أبرز بالاعتماد على الوثائق (4- 5- 6):

- العوامل الّتي ساهمت في تطوير العلوم.
- مكانة العلم بالنسبة للإنسان.

الوثيقة : 7

المنهج التجريبي

«... يمكننا القول أنّ أي علم من علوم الملاحظة إنّما هو علم سلبيّ، أمّا في العلوم التّجريبيّة فيلاحظ الإنسان ويتصرّف في المادّة ويحلّل خاصّياتها ويُحدث لفائدته بروز الظّواهر الّتي تجري بلا شكّ حسب القوانين الطبيعيّة لكن في ظروف لا تتوفر عادة في الطبيعة، فبواسطة العلوم التّجريبيّة النّشيطة يصبح الإنسان مُبتكرا للظواهر ومُبدعا فيها، ولا يُمْكن حسب هذه المعادلة تعيين حدود القوّة الّتي يمكن له اكتسابها على الطبيعة بواسطة التّطوّرات المقبلة للعلوم التّجريبيّة ...».

كلود برنار

كتاب التّاريخ س 1 هاشات 1964 ص 34

الوثيقة : 8

تطور علم الكيمياء

«للكيمياء العضويّة نفس أسس الكيمياء المعدنيّة – فقد ثبت أنّه يُمكننا اصطناعيا إعادة إنتاج القواعد الّتي تتكوّن منها الكائنات الحيّة وذلك باعتماد التّفاعلات الكيميائيّة ... فأي كيميائي كان يعتقد أنّه انطلاقا من عناصر الماء والهواء والحامض الكربوني والأكسجين والأزوط يمكن اصطناعيا تركيب الكحول وعطورات الفواكه والمرفين والنيكوتين ...؟ فالكيميائي أصبح اليوم يخلق كلّ هذه المواد حسب إرادته ...»

مجلّة العالمين 1861

إضاءات

أهم الاختراعات في مجال الكيمياء

السّنة	الاختراع وصاحبه
1840	صنع الأسمدة الكيميائيّة : ليبيق Liebig
1856	تحليل الأنيلين : بركين H. Perkin
1860	تحويل الصلب الى فولاذ : بسمار Bessemer
1860	إثبات تركيب أي مادّة عضويّة في المخابر مثل تركيب الكحول : برتولو Berthelot
1860	ترتيب العناصر الكيميائيّة حسب تركيبها : مندلياف Mendeleiev
1863	السودا : سولفاي Solvay
1867	المتفجّرات : نوبل Nobel

أهم الاختراعات في مجال الفيزياء

السّنة	الاختراع وصاحبه
1800	فولتا Volta
1869	المولد الكهربائي : قرام Gramme
1876	الهاتف : قراهام Grahame
1895	الأشعّة السينيّة : رونتغن Rontgen
1896	الإشعاع الذّاتي : باكرال Bequerel
1900	الراديوم : بيار وماري كوري P.M. Curie
1900	نظريّة الكميات : بلانك Plank
1905	النظريّة النسبيّة : انشتاين Enstein

إضاءات

- بيّن الفيزيائي الفرنسي فريسنيل Fresnel 1819 أنّ تنقّل الضوء يتمّ حسب تموجات.
- أسّس العالم الفرنسي أمبار Ampère سنة 1827 علم الكهرومغناطيس.
- أسس العالمان الفرنسي سادي (1824) والانقليزي جول (1845) علم الديناميكيّة الحراريّة.
- اكتشف الفيزيائي الفرنسي كايوتيه Cailletet (1832–1913) طريقة التبريد بواسطة ضغط الغازات وسرعة تمدّدها كما توصّل إلى تسييل غازي الأكسجين والأزوت.

التعليمات

- بيّن بالاعتماد على الوثيقتين 7 و8 والإضاءات خصوصيّة المنهج التجريبي ودوره في تطوّر العلوم التجريبيّة.
- دعم إجابتك بأمثلة تؤكّد ارتباط التّطور التّقني بالتّطور العلمي.

النشاط الثّالث

أتعرّف إلى أبرز تجلّيات الثّورة التّقنيّة

الموارد

الوثيقة : 9 الآلة البخاريّة لجيمس واط.

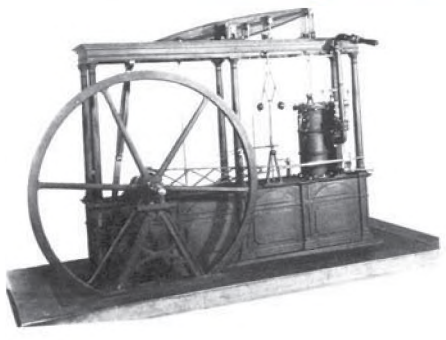

جيمس واط James WATT : (1736–1819)

مهندس وميكانيكي إنقليزي أدخل تعديلات على آلة نيوكومان (Newcomen) نذكر منها بالخصوص المكثّف (le condensateur) توّجت باختراع الآلة البخاريّة سنة 1769 الّتي تمّ استعمالها على نطاق واسع بداية من سنة 1775. واصل جيمس واط إدخال التحسينات على الآلة البخاريّة فعمّ استعمالها مختلف القطاعات الصناعيّة والاقتصاديّة في القرن التاسع عشر وأصبحت تمثّل أهمّ إنجاز للثورة الصناعيّة الأولى.

الوثيقة : 10

انتشار الآلة البخاريّة بأوروبا في القرن XIX (الوحدة : 1000 حصان بخاري)

البلد / السنة	1840	1860	1888
بريطانيا العظمى	350	700	2200
فرنسا	34	178	796
ألمانيا	20	200	2000
مجموع أوروبا	450	1350	6350

المصدر : ج.ب. ريو، الثورة الصناعيّة 1971 ص 67

إضاءات

أهم الاختراعات التقنيّة

في صناعة النسيج		في صناعة التعدين	
السّنة	الاختراع وصاحبه	السّنة	الاختراع
1733	المكوك الطّائر : جون كاي	1709	الفحم الحجري : مصدر طاقة جديد يعوض الخشب
1767	جهاز غزل آلي يشتغل بالطاقة المائيّة لأركورايت Arkwright	1783	اضافة الفحم الحجري (فحم الكوك) في الأفران العاليّة لصهر المعادن
1779	جهاز غزل آلي يشتغل بالطاقة البخاريّة لكرومبتون Crompton	1829	المنفخة الكبيرة la soufflerie
1785	النول الآلي : كارتورايت	1842	المطرقة الآليّة le marteau pilon
1793	محلجة القطن (لويلناي) Egreneuse	1855	محول بسمار لتحويل الصلب إلى فولاذ جيّد
1837	آلة الخياطة تيمونيي Thumonier	1862	محول مارتان لمزيد تنقية الشّوائب وإنتاج فولاذ أكثر صلابة وأكثر جودة
1851	تحسينات لآلة الخياطة سنجار		

الوثيقة : 11

تطور الكيمياء الصناعيّة

«... جرّب الكيميائي هوفمان بعد 1856 مفعول ثاني كلورير الكربون على الأنيلين فتحصّل على مادّة حمراء ذات تأثير جذّاب ... فعمّ استخدام هذه المادّة في صباغة الخيوط والأنسجة وأصبحت تجارتها تدرّ سنويّا مبلغا لا يقلّ عن 30 مليون فرنك فرنسي.»

مجلّة العالمين 1867

الوثيقة : 12

اقتران المصنع بالمخبر

«... تفتح طريقة السيّد بسمار (Bessemer) سبلا جديدة في صناعة الفولاذ وتقتصد الوقود الى درجة غير معهودة الى حدّ الآن وهي طريقة تقتصر على تمرير تيار هوائي في الصّلب المنصهر الّذي يمكننا أخذه مباشرة عند خروجه من الفرن العالي، وهي طريقة تمكّن في ظرف ربع ساعة من تحويل 2000 كغ من الصلب إلى فولاذ.

جاءت هذه الطريقة لإنتاج الفولاذ بوفرة وبكلفة منخفضة وبنوعيّات تتماشى مع حاجيات الصناعات المختلفة– أصبح الفولاذ كثير الاستعمال لأنّه معدن أشتهر بمزايا قلّ أن تتوفّر دفعة واحدة في معدن غيره.»

المصدر : ميشال شوفاليي M. Chevalier

هاشات 1964 ص 340

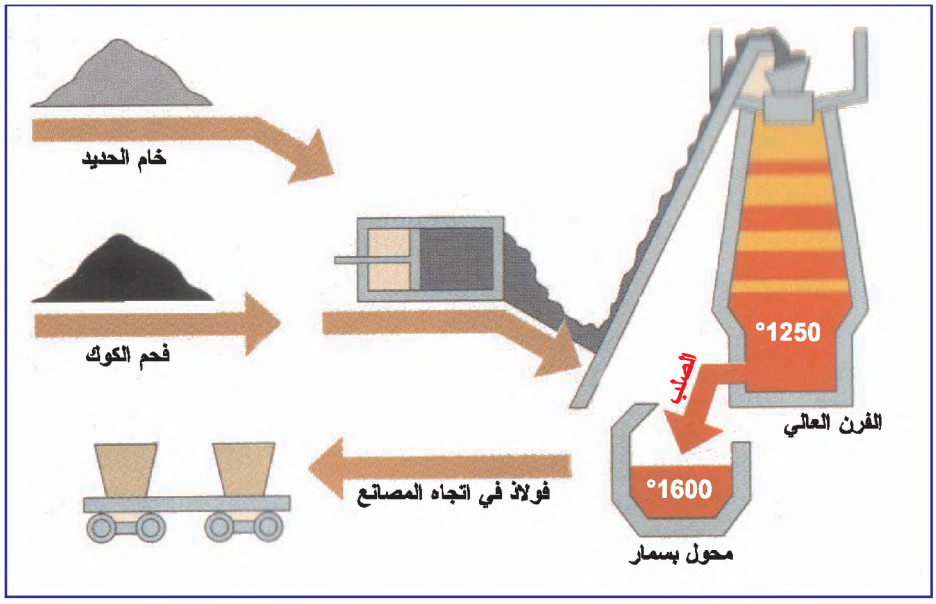

الفرن العالي

التعليمات

بيّن بالاعتماد على الوثائق (9- 10 - 11 - 12) والإضاءات :

- مزايا مصدر الطاقة الجديد : الفحم الحجري.
- أثر اختراع جيمس واط على قطاعي صناعة النسيج والتعدين.

النشاط الرّابع

أستكشف أهم إنجازات ثورة وسائل النقل المائي والنقل الحديدي

الموارد

الوثيقة : 13

سفينة بخاريّة في منتصف القرن XIX
(مواصلة استعمال الأشرعة عندما تكون الرّياح مواتية)

إضاءات

من مزايا استعمال السفن البخاريّة :
انخفاض تكلفة نقل البضائع. مثال : انخفاض ثمن نقل قنطار قمح من نيويورك إلى الهافر بفرنسا (Le Havre)

1850 ← 180 فرنك.
1913 ← 22 فرنك.

مع اختصار مدّة الرّحلة
1820 ← 800 ساعة.
1910 ← 100 ساعة.

قناة السويس :
تمّ حفر قناة السويس ببرزخ السويس بمصر للربط بين البحر الأحمر والمحيط الهندي من جهة والبحر الأبيض المتوسّط من جهة أخرى من قبل شركة أسسها دي ليسابس Ferdinand de Lesseps. انطلقت الأشغال منذ 1859 وتمّ تدشين القناة سنة 1869 طولها آنذاك 161 كم وعرضها 190 مترا وعمقها 20 مترا. لها نتائج اقتصاديّة هامّة منها :

– اختصار المسافة بين أوروبا والشرق الأقصى بنسبة 40 %
– انخفاض ملحوظ لتكلفة نقل طن من البضائع من مرسيليا إلى سايغون :
* 1869 قبل فتح قناة السويس 950 فرنك.
* 1885 عبر قناة السويس 86 فرنك.

الوثيقة : 14

قاطرة ستيفنسن

الوثيقة : 15

تطوّر شبكات السكك الحديديّة في العالم بحساب الكم

البلد القارّة / السنة	1850	1870	1900
المملكة المتّحدة	10 500	24 500	33 000
ألمانيا	6 000	19 500	43 000
فرنسا	3 000	17 500	36 500
أوروبا	23 500	104 000	282 000
أمريكا الشماليّة	14 800	90 000	357 000
إفريقيا	-	1 800	20 000
آسيا	-	8 400	60 000

ج.ب. ريو، الثورة الصناعيّة1971ص 80

الوثيقة : 16

انتشار شبكة السكك الحديديّة بأوروبا بين 1840 و1880

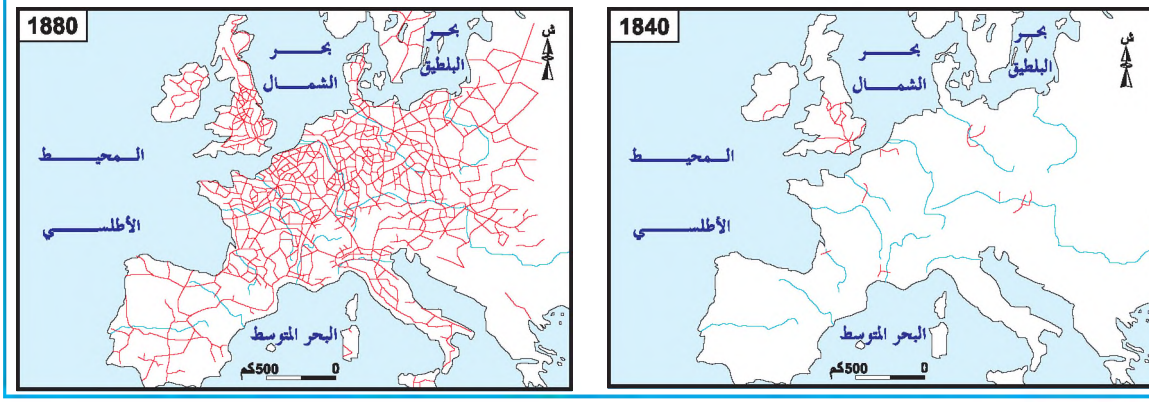

التعليمات

■ ابرز انطلاقا من الوثائق (14–15–16) أهم إنجازات ثورة وسائل النقل المائي والنّقل الحديدي وانعكاساتها الاقتصاديّة والمجاليّة.

أستخلص

المقدمة :

شهدت أوروبا الغربيّة منذ أواخر القرن الثّامن عشر تحوّلات جذريّة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي سُمّيت بالثورة الصناعيّة الّتي انطلقت من انقلترا ثمّ انتشرت خلال القرن التّاسع عشر ببعض بلدان أوروبا الغربيّة والولايات المتّحدة الأمريكيّة. فحلّت الآلة محلّ الأيدي العاملة بفضل الثّورة العلميّة والثّورة التّقنيّة وثورة وسائل النّقل والمواصلات.

I – الظروف الملائمة للثورة الصّناعيّة :

1ـ نموّ ديمغرافي سريع هيّأ ظروفا مشجّعة للتصنيع : [1]

عرفت أوروبا الغربيّة منذ بداية القرن الثّامن عشر نموّا ديمغرافيا سريعا ترتب عنه :

* تضاعف عدد السكّان فارتفع الاستهلاك وارتفعت الأسعار مما حثّ المنتجين على تطوير طرق ووسائل العمل لتلبيّة رغبات السّوق المتزايدة والتّمتّع بأرباح هامّة.
* توفّر يد عاملة شابّة نشيطة وكثيرة العدد لأصحاب المشاريع الصّناعيّة.

2ـ من الثّورة الزّراعيّة إلى الثّورة الصّناعيّة : [2]

شهدت بلدان أوروبا الغربيّة وخاصّة انقلترا منذ بداية القرن الثّامن عشر ثورة زراعيّة من أهم سماتها : تقسيم الأراضي الجماعيّة – تسييج الضيعات – اعتماد دورة زراعيّة رباعيّة – استعمال مكثّف للآلات الفلاحيّة والأسمدة الكيميائيّة، وقد ترتّب عن ذلك :

* ارتفاع طلب الفلاحين على المنتجات الصّناعيّة
* تدهور مداخيل صغار الفلاّحين الّذين نزحوا نحو المدن موفرين يدا عاملة بخسة الأجور لأصحاب المصانع.
* استثمار كبار الفلاّحين لجزء من أموالهم في إنشاء المصانع.

3ـ ازدهار التّجارة البحريّة وفّر الاستثمارات اللازمة للتّصنيع [3]

أدّى ازدهار التّجارة البحريّة ونموّ حجم المبادلات بين بلدان أوروبا الغربيّة ومستعمراتها إلى تكديس المرابيح والثّروات بأيادي كبار التجّار ومجهزي السفن الّذين استثمروا أموالهم في تطوير طرق ووسائل الإنتاج وإنشاء المصانع لمجابهة الطلبات المتزايدة ولتنميّة ثرواتهم.

تضافرت كل هذه العوامل ووفرت ظروفا ملائمة لإحداث الثّورة الصناعيّة الّتي اعتبرت قبل كل شيء : ثورة علميّة وثورة تقنيّة وثورة وسائل النّقل والمواصلات.

II – الثّورة العلميّة والثّورة التقنيّة :

1ـ القرن التّاسع عشر قرن العلوم :

شهد القرن التّاسع عشر تطوّرات علميّة هامّة [4–5–6] بفضل انتشار التّعليم وبناء المخابر المجهّزة بالمعدّات والوسائل الدقيقة [6] وقيام النّدوات والملتقيات العلميّة على الصّعيدين الوطني والدّولي وتبادل العلماء للخبرات والنّتائج ... فتعدّدت الاختراعات العلميّة القائمة على أساس التّجربة العلميّة [7] وشملت هذه التّطوّرات مختلف المجالات العلميّة نخصّ بالذكر منها علم الفيزياء والكيمياء [8]

لئن جاءت أولى الاختراعات التقنيّة نتيجة ابتكارات الحرفيين المهرة استجابة لحاجاتهم فإنّ الاختراعات التقنيّة في القرن التّاسع عشر قامت على التّطبيقات التّقنيّة لنتائج البحث العلمي [11–12] ممّا مكّن من تحقيق ثورة تقنيّة في مَجَالَيْ الطّاقة والصّناعة.

2ـ الثورة التقنيّة : عصر الآليّة.

تركّزت الاختراعات التّقنيّة في مجال : الطّاقة وصناعة النّسيج وصناعة التّعدين.

أ– التّقدّم التّقني في مجال الطّاقة : عصر البخار [9–10].

* الآلة البخاريّة : اعتبر اختراع جيمس واط للآلة البخاريّة سنة 1769 أهم اختراع وأهمّ إنجاز من إنجازات الثّورة الصّناعيّة خاصّة بعد أن أدخلت عليها عدّة تحسينات وانتشر استعمالها على نطاق واسع أثناء القرن التّاسع عشر مستغلّة مصدر الطّاقة الجديد (الفحم الحجري) لتسخين الماء وتوفير الطّاقة البخاريّة اللاّزمة لتشغيل شتّى أنواع الآلات في مختلف القطاعات الصناعيّة حتّى أصبحت الآليّة السمة المميّزة للانتاج الصناعي في هذا القرن.

* الكهرباء والنفط : منافسان للطّاقة البخاريّة :

أدّت التطبيقات التقنيّة للاكتشافات العلميّة إلى بروز منافسين للطاقة البخاريّة منذ أواخر القرن التّاسع عشر : بفضل اختراع العالم البلجيكي (غرام Gramme) للمولّد الكهربائي سنة 1869 وتمكّن العالم (برجاس Berges) من إنتاج الطّاقة الكهرمائيّة سنة 1870 وتوصّل العالم (ديبراز Deprez) من نقل الطّاقة الكهربائيّة عبر خطوط التوتر العالي سنة 1883 وحفر أول بئر بتروليّة في بنسلفانيا بالولايات المتحدّة وخاصّة بعد اختراع (دملار وبنز Daimler et Benz) للمحرّك الانفجاري سنة 1885.

بقي الفحم الحجري يمثّل المصدر الرّئيسي للطاقة طوال القرن التّاسع عشر طور الثّورة الصّناعيّة الأولى فاسحا المجال لمنافسيه الكهرباء والنفط في النّصف الأوّل من القرن العشرين طور الثورة الصناعيّة الثّانيّة.

ب– التقدّم التقني في صناعة النّسيج :

لئن عرف قطاعا الغزل والنّسيج أهم الاختراعات التقنيّة منذ أواخر القرن الثّامن عشر (المكوك الطّائر جهاز الغزل الآلي النول الآلي) فقد شهدت هذه الاختراعات عدّة تحسينات كما أضيفت إليها اختراعات جديدة بفضل تطوّر الكيمياء الصناعيّة بالخصوص [11] الّتي وفّرت مواد التلوين والصباغة وانتشر استعمالها على نطاق واسع خلال القرن XIX .

ج التّقدّم التّقني في صناعة التعدين :

برزت كذلك أهم الاختراعات في صناعة التعدين منذ القرن الثّامن عشر : مصدر الطاقة الجديد الفحم الحجري والأفران العاليّة لصهر المعادن ثمّ تتالت التّطبيقات التقنيّة بفضل اقتران المصنع بالمخبر لتحسين الاختراعات الأولى وظهور اختراعات جديدة انتشر استعمالها انتشارا واسعا خلال النصف الثّاني من القرن XIX بالخصوص مثل المنفخة الكبيرة La soufflerie – المطرقة الآليّة Marteau Pilon... أو استعمال طريقة بسمار Bessemer[12] لإنتاج فولاذ أكثر نقاوة وأكثر جودة في وقت قصير وبأقل كلفة.

غيرت هذه الاختراعات التقنيّة تغييرا جذريا طرق وأساليب العمل في الصّناعة وأصبحت تمثّل السّمة المميّزة للثّورة الصّناعيّة.

III – ثورة وسائل النّقل والمواصلات :

غيّرت ثورة وسائل النّقل والمواصلات المشهد العالمي على إثر استخدام الآلة البخاريّة في مجالي النّقل المائي والحديدي على وجه الخصوص.

1ـ النّقل المائي : [13]

عرفت الملاحة البحريّة والنهريّة عدّة تطوّرات تقنيّة هامّة نذكر منها :

* استعمال الطّاقة البخاريّة ممّا أفضى إلى ظهور أولى السفن البخاريّة سنة 1822 للمربط بين لندن وباريس.

* استعمال الحديد ثمّ الفولاذ لصناعة السّفن الضخمة الّتي يصل طولها إلى 250 مترا وحمولتها إلى 60 ألف طنة (1طنة = 2.83 م3. وحدة قيس لحمولة البواخر)

* اختراع المروحة (L'hélice)
* حفر القنوات واختصار المسافات : قناة السويس.
* تأسيس الشركات العملاقة مثل الشركة الانڤليزيّة : La Cunard
* ظهور السفن المتخصّصة مثل السفن المبرّدة (Bâteau frigorifique) بداية من 1876 لنقل لحوم الأرجنتين مثلا إلى أسواق القارة الأوروبيّة.
* تأسيس الموانئ المجهّزة مثل ميناء : لندن، ليفربول، أنفارس، هنبورغ، روتردام ...

أدّت كلّ هذه التطوّرات الهامّة إلى ارتفاع حمولة السّفن ونموّ سرعتها وانخفاض تكلفة نقل البضائع والمسافرين وساهمت في الربط بين القارّات وتحقيق حركة تجاريّة عالميّة نشيطة ومنتظمة. كما أصبح المحيط الأطلسي يمثّل مركز ثقل المبادلات التّجاريّة البحريّة ولندن المتحكّم الرّئيسي فيه.

2ـ النّقل الحديدي : عصر السّكك الحديديّة.

كاد يقتصر النّقل الحديدي في البداية على المناطق المنجميّة مستعملا الطّاقة البشريّة أو الحيوانيّة لدفع أو جذب العربات المحمّلة بالفحم الحجري أو خامات المعادن نحو المناطق الصّناعيّة المتاخمة للمناجم إلى أن جاء اختراع ستيفنسن للقاطرة البخاريّة [14] محدثا ثورة في مجال النّقل الحديدي. لقد تمّ تدشين أوّل خطّ حديدي بين مدينتي ليفربول ومنشستر سنة 1830 ثمّ سرعان ما انتشرت شبكات السّكك الحديديّة بمختلف أنحاء البلدان الصناعيّة وحتّى خارجها خلال القرن التّاسع عشر [15–16] حتّى أصبح النّقل الحديدي يمثّل المحرّك الأساسي للثّورة الصّناعيّة خاصّة بين سنتي 1840–1880. وساهم في فكّ عزلة المناطق الدّاخليّة والقاريّة وتوحيد السّوق على المستوى الوطني والدولي كما ساهم في انخفاض تكلفة النّقل إذ نزل مثلا سعر نقل الطن الواحد من الفحم الحجري من ليفربول الى مانشستير من 40 شيلينغ الى 6 شيلنغات.

كان لثورة وسائل النّقل المائي والنّقل الحديدي بالغ الأثر على المشهد العالمي :

– تضخّم حجم المبادلات (تضاعف حجم التّجارة العالميّة 6 مرّات بين سنتي 1830 و1880) وتضاعفت قيمتها 20 مرّة بين سنتي 1830 و1913.

– تمّ توحيد السّوق العالمي في إطار نظام الاقتصاد–العالم مع بروز تقسيم عالمي للعمل : أوروبا الغربيّة مصنع العالم تصدّر بضائعها المصنوعة وتستورد الخامات والمنتوجات الفلاحيّة.

خاتمة :

لئن نعت القرن الثّامن عشر بقرن الأنوار فقد عرف القرن التّاسع عشر بكونه : عصر : العلوم – الآليّة – البخار – السكّة الحديديّة ... وهي أبرز إنجازات الثّورة الصّناعيّة الأولى الّتي كانت لها نتائج اقتصاديّة واجتماعيّة بالغة الأهميّة أرست معالم المجتمعات المعاصرة بالعالم الغربي.

الدرس الرابع

التحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة بأوروبا الغربيّة في القرن التاسع عشر

المدخل

أفضت الثورة الصناعيّة إلى تحوّلات اقتصاديّة واجتماعيّة جذريّة رسمت منذ القرن XIX أهم معالم الحضارة المعاصرة الّتي تركّزت بأوروبا وأدّت إلى تفوقها على بقيّة أجزاء العالم : لذلك سأستجلي نتائج الثورة الصناعيّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

النشاط الأول

أتعرّف إلى ظروف تركيز الرأسماليّة الصناعيّة وإلى أهم أسس النّظام الرأسمالي

الموارد

الوثيقة : 1

نشأة الرأسماليّة

« ... في القرن السّادس عشر تزايدت كميّة الذهب والفضة المتداولة في أوروبا على إثر اكتشاف مناجم أمريكا الغنيّة والسّهلة الاستخراج ... وكان ذلك من الظروف الّتي ساعدت نمو رأس المال وصعود البورجوازيّة منذ ذلك القرن ...»

كارل ماركس، العمل المأجور ورأس المال، نشر دار التقدّم، موسكو 1982. ص. 82

الوثيقة : 2

«... إن التجهيزات الّتي ما انفكّت تزداد تعقيدا وعدد العاملين الّذي يزداد ارتفاعا وتنظيما يشكّلون المؤسسات الضخمة ... إنّ وراء هذا النّشاط الهائل رأس المال الّذي يحرّكه قانونه الخاصّ، قانون الربح الّذي يحثّه على مواصلة الإنتاج بدون انقطاع لتحقيق الأرباح أكثر ما يمكن من الأرباح ...»

بول مانتو P. Mantoux، الثورة الصناعيّة في القرنXVIII الباب الثّاني 1906

الوثيقة : 3

يحدّد سعر كل بضاعة معيّنة وفق العلاقة الموجودة بين الكميّة المعروضة في السّوق من تلك البضاعة وحجم طلب القادرين فعلا على شرائها آنذاك ... لذلك ستتوفر السّلع في الأسواق بالكميّات الّتي تناسب حجم الإقبال عليها...

لكل فرد ما لم يتجاوز القانون الحرّية المطلقة لاستثمار أمواله لإنشاء أيّ مشروع يضمن له تحقيق أوفر الأرباح في كنف المنافسة مع الآخرين ... هكذا تعفى الدولة من عبء القيام بمهمّة لا يمكن لها أن تنجح في أدائها وهي مهمّة توجيه إنشاء مشاريع الرأسماليين الصناعيّة حسب ما تقتضيه المصلحة العامّة للمجتمع ...»

آدم سميث A. Smith، ثروة الأمم 1776، الجزء IV
نشر ڤاليمار، ص 63.

التعليمات

بالإعتماد على الوثائق (1-2-3) وعلى مكتسباتك

- وضح الظروف الّتي أدّت إلى تكوين الثّروات والأموال بيد كبار التجار الأوروبيين.
- حدّد المجال الاقتصادي الّذي استقطب استثمارات الرأسماليين منذ القرن الثّامن عشر.
- استخرج من الوثائق أهم المبادئ الّتي قامت عليها الرأسماليّة الصناعيّة.

الوثيقة : 4

المصنع : رمز الثورة الصناعيّة

«إنّنا نشاهد كل يوم انقراض المعامل الصغيرة واضمحلال العمل المشتت هنا وهناك وكذلك الصناعات المنزليّة في نفس الوقت الّذي نشاهد فيه تنظيم الصناعات الكبرى في شكل مصانع فسيحة تشبه الثكنات ... مزودة بأجهزة ضخمة وبمحركات لا حَدَّ لقوتها ويزدحم في هذه المصانع مئات أو آلاف العمال المعرضين لجميع التقلبات الناتجة عن تغييرات العرض والطلب.»

أدولف بلانكي، الطبقات العماليّة بفرنسا 1848

الوثيقة : 5

الشركات خفيّة الإسم

«كم ندّدنا بهذه الشركات وكم من مرّة أعلنّا وكررنا أنّها تمثّل نوادي قمار ومهالك، والحقيقة أنّ بدونها ما كانت لنا السكك الحديديّة ولا المؤسّسات العصريّة الّتي غيّرت وجه العالم فالأفراد لا تكفي ثرواتهم للقيام بهذه الأعمال ولا يقبلون المخاطرة بها إنّ الأخطار في هذه الشركات اختياريّة وموزعة على عدد لا يحصى من الأشخاص وهي كذلك متفاوتة ومحدودة حسب ثروة كل مساهم وجرأته.»

أميل زولا* E. Zola ، النقود 1891. نشر لاتاس Lattès 1994. ص. 223

* اميل زولا : أديب فرنسي عاش بين 1840–1902 كتب عدّة روايات حول الأوضاع الاجتماعيّة في القرن 19.

الوثيقة : 6

الشركات المساهمة

«لقد أصبح تأسيس الشركات المساهمة أي تحويل المؤسسات الخاصّة الضخمة إلى شركات محدودة المسؤوليّة ظاهرة مميّزة في السنوات العشر الماضيّة فمن مستودعات بضائع مانشستر الكبرى إلى مصانع الحديد ومناجم الفحم في بلاد الغال وشمال انقلترا إلى مصانع لونكشاير كل شيء تحوّل أو يتحوّل إلى شركات مساهمة ...
إذن هذه هي النتيجة : التطوّر الاقتصادي لمجتمعنا الرّاهن يتّجه أكثر فأكثر نحو تركيز الإنتاج وتجميعه في مؤسسات ضخمة لا تعود الإمكان إدارتها من قبل رأسماليين أفراد.»

من رسائل كارل ماركس وانجلس، بصدد الثورة الاشتراكيّة سنة 1881 دار التقدّم موسكو 1983. ص 292

الوثيقة : 7

مؤسسة تيسان وشركائه

«أسّس أوقيست تيسان Auguste Thyssen سنة 1871 مصنعا بمدينة ميلهايم الألمانيّة Mulheim sur Rhur مثّل قاعدة مؤسسة تيسان وشركائه كانت البداية متواضعة بـ70 عاملا ثمّ اشترى سنة 1884 مصنعين مجاورين للتعدين وآخر لصنع الآلات أصبحت المؤسسة بعد 40 سنة ضخمة تطبّق فيها كل التقنيات الجديدة تشغّل 7000 عاملا و800 موظفا وتوزع منتجاتها في كل أنحاء العالم زيادة على ذلك فَهِمَ تيسان أنّ اكتساب القوّة في المجال الصّناعي الّتي يصبو إليها يستوجب ملكيّة مناجم الفحم وقد تحقق له ذلك سنة 1887 ثمّ أنشأ ميناءين على نهري الراين والرور لخدمة مصانعه كما توجّهت اهتماماته للبحث عن مناجم الحديد في كل البلدان فساهم سنة 1910 مع رأسماليين فرنسيين في استغلال مناجم الحديد بمنطقة النورمندي والأفران العاليّة بمدينة كان وأخيرا أسّس بنك رينانيا بمدينة ميلهايم.

ف. كمبون V. Cambon، التطوّرات الأخيرة 1909 ورد بهامش س2 1981. ص 155

إضاءات

تتكتّل المؤسسات الصناعيّة والاقتصاديّة لمجابهة مخاطر المنافسة :
- التكتّل الأفقي : وهو اندماج بين مؤسسات لها نفس الإنتاج لتكون مؤسسة واحدة.
- التكتّل العمودي : اندماج يتمّ بين مؤسسات ذات إنتاج متكامل
- تؤدّي ظاهرة التركز والتكتّل إلى تكوين مؤسسات عملاقة بإمكانها أن تتحكّم في الأسواق كما تشاء.

التعليمات

بالإعتماد على الوثائق (4-5-6-7) والإضاءات
- حدّد الخصائص المميزة للإطار الجديد للإنتاج الصناعي.
- عرّف بالشركات المساهمة وبيّن مزاياها.
- حدّد نوع التكتّل الّذي شهدته مؤسسة تيسان وشركائه.
- عدّد هياكل النّظام الرأسمالي الصّناعي الّتي تضمّنتها الوثائق.

النشاط الثاني أتبيّن مظاهر النهضة الاقتصاديّة لأوروبا الغربيّة

الموارد

الوثيقة : 8

تطوّر الأرياف الفرنسيّة في القرن XIX

أملك ضيعة كريتايي منذ 1835 الّتي كانت تمسح 235 هكتارا ومقسّمة إلى 348 مستغلّة كانت الدورة الزراعيّة المتداولة تعتمد استراحة الأرض كل سنتين (الدورة الزراعيّة الثنائيّة) وكان مردود القمح لا يتجاوز 15 هل/هك و1200 كغ/ هك بالنسبة للّفت السكري واشتمل قطيع الماشية على 13 حصانا و5 بقرات و300 رأس من الأغنام وخنزيرين. أمّا اليوم فقد بلغ مردود القمح 30 هل/هك و2000 كغ/هك للفت السكري ونما عدد المواشي : 27 رأسا من الخيول 31 رأسا من الأبقار و500 رأسا من الأغنام و40 خنزيرا كنت أعمل على تحديد خصوبة الأرض بفضل الحراثة العميقة وتنويع الزراعات (قمح – لفت – سكري – زراعات علفيّة ...)
أصبحت ضيعتي تمسح 248 هكتارا مقسّمة إلى 70 مستغلّة فقط ،اشتريت 1839 آلة بذر و5 آلات أخرى في وقت لاحق.

من مذكرات J.C Potel Lecouteux 1867.

ورد بكتاب التاريخ س2 هاشات التربيّة 1993 ص 163

الوثيقة : 9

تطور إنتاج ومردود القمح

السنة / البلد	الإنتاج بالمليون قنطار			المردود : قنطار/هك		
	1831	1850	1895	1831	1850	1895
فرنسا	51.3	66	92.4	8.2	11.4	13.2
ألمانيا	15	15.9	31.7	—	13	16.2

المصدر : كتاب التاريخ سنة ثانيّة، هاشات التربيّة 1993. ص. 163

الوثيقة : 10

لوحة إشهاريّة : أزهار غلال وباكورات فرنسيّة في اتجاه لندن

التعليمات

بالإعتماد على الوثائق (8-9-10) وعلى مكتسباتك ، استعرض مظاهر تطوّر الفلاحة بأوروبا الغربيّة.

الوثيقة : 11

إنتاج الخيوط القطنيّة

القيمة بحساب الألف جنيه استرالني

البلد \ السّنة	1830	1850	1860
بريطانيا العظمى	250	588	1140
الولايات المتّحدة الأمريكيّة	77	288	390
فرنسا	68	140	226
ألمانيا	16	46	140

المصدر : جون بيار ريو : الثورة الصناعيّة
نشر سوي 1971 ص 93

الوثيقة : 12

ارتفاع الصادرات النسيجيّة بانقلترا

الفترة	النسبة المائويّة للتصدير معدل سنوي
1797_1795	% 37
1871_1869	% 67
1881_1879	% 74

المصدر : كتاب مدرسي، س 2. ناتان 1987 ص 158

الوثيقة : 13

نمو إنتاج الفحم الحجري (بحساب مليون طن)

البلد \ السّنة	1800	1870	1900	1913
بريطانيا العظمى	10	110	230	290
ألمانيا	1	26	100	190
فرنسا	1	13	33	40

ج. ب. ريو : الثّورة الصناعيّة، نشر سوي 1971 ص 95

الوثيقة : 14

نمو إنتاج صناعة التعدين (بحساب مليون طن)

الأقطار \ السنوات	الصّلب			الفولاذ	
	1800	1840	1900	1840	1900
انقلترا	0.2	1.4	9.1	0.6	6
ألمانيا	0.04	0.17	7.5	0.1	7.3
فرنسا	0.06	0.35	2.7	0.24	1.9

ج.ب. ريو : الثّورة الصناعيّة، نشر سوي 1971 ص 96

التعليمات

استنادا إلى الوثائق (11_12_13_14) صف نسق نمو صناعتي النّسيج والتعدين وبيّن أسبابه.

الوثيقة : 15

تطوّر أساليب التّجارة الدّاخليّة : ظهور المغازات الكبرى

«لقد جهّز صاحب مغازة «سعادة السيّدات» مغازته بمصعدين كهربائيين لتجنيب السيّدات مشقّة صعود المدارج ثمّ أنّه فتح مشربا تقدّم فيه المشروبات والحلويات مجانا لهنّ ... كان يستوقف الأمّهات عند مرورهنّ (بين رفوف مغازته) مهديا الأطفال الصّغار صورا وكرات ... لقد كان الإشهار قوّة بالغة .. إذ يدّعي أنّ المرأة لا تقاوم الإشهار ... وكان يقوم بتخفيض أسعار السّلع الّتي لم يقع بيعها .. ثمّ ابتكر فِكْرة إرجاع البضاعة إذا لم تنل إعجاب الحريفات ...»

إميل زولا سعادة السيّدات، نشر فلاماريون، ص 258.

الوثيقة : 16

تطوّر قيمة التّجارة العالميّة بحساب المليون جنيه استرليني

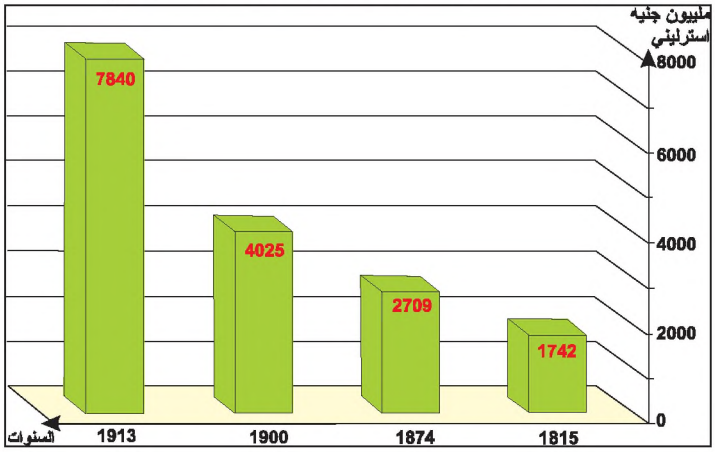

الوثيقة : 17

هيمنة الدول الصناعيّة على التّجارة العالميّة

«حاليا توجد في العالم بلدان أصبحت بمثابة المصارف للكرة الأرضيّة بأسرها، إنّها انقلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا وبلجيكا فهي تقوم بدور الرأسماليين بين الأمم ... إنّها خمسة شعوب أو ستة تتحكّم في القسط الأعظم من الأموال المتداولة بالمعمورة»

المصدر : لوروا بولي Leroy Beaulieu ، مجلّة العالمين، 1846

الوثيقة : 18

الأزمات الدوريّة

«...إنّ مجموع العالم الصّناعي والتّجاري ومجموع الإنتاج والمبادلة بين سائر الشّعوب يتعرّض للإضطراب والتفكّك ... إنّ التّجارة تتجمّد والأسواق تتخم والمنتجات تتكدّس، وهي موفورة بقدر ما هي كاسدة، والنقد يختفي ... والمصانع تغلق أبوابها وجماهير العمّال تعوزهم وسائط المعيشة لأنّهم أنتجوها بمقادير كبيرة جدّا، والإفلاس يأتي في أعقاب الإفلاس ... ويستمرّ الركود عدّة سنوات وذلك حتّى يستأنف الإنتاج والمبادلة حركتهما بصورة تدريجيّة .. ويتكرّر هذا الأمر مرّة بعد مرّة ...»

أنجلس، أنتي دوهرينغ، دار دمشق للطباعة والنشر 1981 ص 332

التعليمات

- حدّد بالاعتماد على الوثيقة (15) الطرق الحديثة المعتمدة في التّجارة الدّاخليّة.
- أبرز من خلال الوثيقة (16) تطوّر المبادلات الخارجيّة وبيّن عوامله.
- استنادا إلى الوثيقة (17) حدّد من المستفيد أكثر من تطور التّجارة الخارجيّة وفسّر أسباب ذلك.
- بالاعتماد على الوثيقة (18) بيّن أسباب حدوث الأزمات الاقتصاديّة الدوريّة.

النشاط الثّالث أدرس التحوّلات الاجتماعيّة لأتبيّن التركيبة الجديدة للمجتمع الصّناعي

الموارد

الوثيقة : 19

تطوّر سكّان بعض الأقطار الأوروبيّة بحساب المليون ساكن

الأقطار / السّنوات	1800	1900
انقلترا	15	38
فرنسا	27.3	39
ألمانيا	23	56.3
قارّة أوروبا	187	420

المصدر : ج. ب. ريو الثورة الصناعيّة نشر سوي 1971 ص 26

الوثيقة : 20

عدد المدن التي يفوق عدد سكّانها 100 ألف ساكن

الأقطار / السّنوات	1800	1850	1913
انقلترا	2	12	50
أوروبا	22	45	184

كتاب التاريخ س 2 ناتان 1987 ص 187

الوثيقة : 21

تطوّر عدد سكان فرنسا وباريس بحساب المليون ساكن

السّنة	1830	1880
فرنسا	34	37
باريس	1	2.27

كتاب التاريخ س 2 ناتان 1987 ص 193

الوثيقة : 22

من خصائص البورجوازيّة

«إنّ حياة أرباب المؤسسات الصناعيّة والتجاريّة تشبه إلى حدّ كبير حياة الأمير إنّهم يملكون رأس المال والطموحات الكبيرة، يتحمّلون المسؤوليّة ويركبون المخاطر ... ويتباهون بقوّة الجاه والنفوذ – على غرار الأمير، لهم نوابهم في كلّ أنحاء العالم – إنّهم حريصون يوميا على معرفة أوضاع ومدّخرات البلدان المجاورة أو البعيدة ويتحمّلون المخاطر بتوظيف مكاسبهم في المشاريع العظيمة ... إنهم قادة العمل البشري وحُكّامه.»

تان Taine، ملاحظات حول انقلترا 1872

وردت بكتاب التاريخ س 2 هاشات 1981 ص 183

التحوّلات الاجتماعيّة

الوثيقة : 23

«... انقلترا بلد لا نظير له اليوم، تعد عاصمتها مليوني نسمة وبها مدن صناعيّة عظيمة، تزود صناعتها كل أنحاء العالم، وتتكوّن من طبقات اجتماعيّة مختلفة عن التركيبة الاجتماعيّة القديمة. أدّت الثّورة الصناعيّة واستعمال الآلات إلى بروز البروليتاريا الّتي تكونت من الأفواج الغفيرة للريفيين النّازحين نحو المدن الصناعيّة.»

ف . انجلس، أوضاع الطبقات الشغيلة بانقلترا 1845

ورد بكتاب التاريخ س 2 هاشات ص 235

الوثيقة : 24

«... تبعا لتطوّر البورجوازيّة، تتطوّر البروليتاريا، طبقة العمال العصريين الّذين لا يعيشون إلاّ إذا وجدوا عملا ولا يجدون هذا العمل إلاّ إذا كان ينمي رأس المال هؤلاء العمال المجبرون على بيع قوّة عملهم هم بضاعة تخضع لكل تقلّبات المزاحمة وكل تغييرات السّوق ....»

بيان الحزب الشيوعي، 1848، نشر دار التقدّم موسكو ص 49

الوثيقة : 25

كتب الدكتور Villermé عن حالة الطبقة العاملة الفرنسيّة إبّان الثّورة الصناعيّة (1840)

«إنّ ظروف تشغيل النّساء والأطفال في فرنسا بلغت من القسوة حدّا لا يمكن السكوت عنه، فالعمل الّذي يقومون به ليس عملا بمعنى الكلمة إنّما وسيلة تعذيب يتعرّض لها أطفال يتراوح أعمارهم بين ستّ وثماني سنوات، يتعرّضون لسوء المعاملة ويشكون من سوء التّغذيّة وقذارة الملبس، مضطرّين إلى قطع مسافات طويلة تفصل بين الأحياء الّتي يتكدّسون فيها وبين المصانع الّتي يعملون بها منذ السّاعة الخامسة فجرا حيث يستمرّون في العمل إلى ساعة متأخّرة من اللّيل ليعودون من حيث أتوا ممّا يؤدّي لارتفاع نسبة الوفاة بين الأطفال بشكل ملحُوظ.»

ورد بكتاب **الثورة الصناعيّة لأحمد حسن البرعي**، دار الفكر العربي، ص. 295 و296.

إضاءات

حول أجور العمال بفرنسا

السنة	الأجر اليومي (بالفرنك)	سعر الخبز (بالفرنك)
1856	1.7	0.495
1880	3.34	0.425
1900	4.39	0.334

معدّل الأجر اليومي سنة 1869

بباريس : 4.98 فرنكا.

بالجهات : 2.65 فرنكا.

التعليمات

انطلاقا من الوثائق : (19-20-21-22-23-24 و25.)

- حدد نسق تزايد عدد سكان أوروبا واذكر نتائجه الاقتصاديّة
- قارن بين نسق نموّ سكان فرنسا ونسق نمو سكّان عاصمتها : باريس – علل اجابتك.
- حدد الطبقات الاجتماعيّة المميّزة للمجتمع الرأسمالي الصّناعي ثمّ أبرز أوْضاعَ كلّ منها.

أستخلص

المقدمة :

أحدثت الثّورة الصناعيّة تحوّلات اقتصاديّة جذريّة تمثّلت في اختفاء الاقتصاد الزراعي المعروف بقلّة الإنتاج ليحلّ محلّه نمط إنتاج جديد هو الرأسماليّة الصناعيّة الّذي حقّقت بفضله بلدان أوروبا الغربيّة نهضتها الاقتصاديّة الشّاملة وأفضى إلى تحوّلات عميقة في تركيبة المجتمع.

I – التحوّلات الاقتصاديّة بأوروبا الغربيّة في القرن XIX :

1– من الرأسماليّة التجاريّة إلى الرأسماليّة الصناعيّة :

أدّى ازدهار التّجارة البحريّة في أعقاب الرحلات الكبرى والاكتشافات الجغرافيّة وتكوين الإمبراطوريّات الاستعماريّة الأولى إلى تكديس ثروات طائلة بيد كبار التجّار ومجهزي السفن الأوروبيين. ومنذ نهاية القرن الثامن عشر وخلال القرن التّاسع عشر، عهد الثّورة الصناعيّة الأولى، تمّ استقطاب جلّ هذه الثّروات لتستثمر في المجال الصّناعي فتحوّلت الرأسماليّة التجاريّة أو المركنتيلية إلى رأسماليّة صناعيّة الّتي تقوم على الحريّة الاقتصاديّة المطلقة تطبيقا لمقولة آدم سميث "دعه يعمل ودعه يمر" دون تدخّل الدولة في الشؤون الاقتصاديّة والاجتماعيّة [1].

أ– أهم مبادئ الرأسماليّة الصناعيّة :[2–3]

– الملكيّة الخاصّة : حق الرأسماليين في ملكيّة وسائل الإنتاج.

– الربح : يمثّل المحرّك الأساسي للانتاج الّذي يهدف بالأساس إلى تنميّة ثروات الرأسماليين.

– العرض والطّلب : يتمّ ضبط الأسعار والأجور وفق قانون السوق.

– المنافسة الحرّة : تعني حريّة المنافسة بين المؤسسات الصناعيّة المتشابهة وهي بمثابة حرب اقتصاديّة غير متكافئة تنتهي عادة باضمحلال المؤسسات الصغرى أو اندماجها في المؤسسات الكبرى.

ب– التنظيم الرأسمالي الصّناعي :[4–5–6–7]

– المصنع : أدّى انتشار استعمال المحرّك البخاري إلى التركّز التقني والمالي والجغرافي للأنشطة الصناعيّة، وإن لم تضمحل طرق الإنتاج التقليدي في دكاكين الحرفيين أو العمل المنزلي في الأرياف فقد برز في القرن التّاسع عشر المصنع الحديث كإطار جديد للإنتاج الصناعي الّذي يخضع لقواعد تقسيم العمل وتوحيد نمط الإنتاج لتحسين الإنتاج والإنتاجيّة.

– الشركات خفيّة الإسم والبنوك : أصبح إنشاء المشاريع الضخمة يتطلّب تمويلات هائلة يعسر توفيرها من قبل الأفراد أو العائلات لذلك تأسست الشّركات خفيّة الإسم في القطاع الصّناعي والمالي وفتحت أمام الرأسماليين آفاقا جديدة للاستثمار.

– تكتل المؤسسات : أمام اشتداد المنافسة بين المؤسسات الصناعيّة ممّا المؤدّي إلى انخفاض أرباحها أو حتّى انهيار بعضها أخذت المؤسسات تتكتّل وتتّحد خاصّة منذ الربع الأخير من القرن التّاسع عشر ممّا أدّى إلى ظهور شركات عملاقة احتكاريّة أصبحت تتحكّم في الأسواق وتحدّد الأسعار كما تشاء.

2- أوروبا الغربيّة تحقق الإقلاع الاقتصادي :

حقّقت بلدان أوروبا الغربيّة بفضل انتشار استعمال الآلة وثورة وسائل النقل والمواصلات نهضة اقتصاديّة شاملة:

أ- نمو الفلاحة : [8-9-10]

بدأت الفلاحة تتخلّص بصورة تدريجيّة من قيودها التقليديّة كالدورة الزراعيّة الثنائيّة وانتشار الملكيّة الجماعيّة للأراضي الفلاحيّة، وذلك بظهور حركة التسييج وتقسيم الأراضي واعتماد الدورة الزراعيّة الثلاثيّة أو الرباعيّة منذ أواخر القرن السابع عشر وتدعّمت هذه التحسينات في القرن التاسع عشر أبّان الثورة الصناعيّة والثورة العلميّة فتوفرت طرق ووسائل إنتاج جديدة أكثر نجاعة. كما استفادت الفلاحة من ثورة وسائل النّقل والمواصلات الّتي قرّبت المنتج من المستهلك وسمحت بظهور فلاحة متخصّصة وذات صبغة تجاريّة اتسع نطاق هذه التطوّرات في النّصف الثّاني من القرن التاسع عشر فتحسّن المردود وارتفع الإنتاج وتنوّع واختفت أزمات الإنتاج الغذائي وارتفعت مساهمة الفلاحة في المبادلات التجاريّة وساهمت نهضة الفلاحة في تنميّة القطاع الصّناعي.

ب- تطوّر الصناعة : [11-12-13]

من أهم إنجازات الثّورة الصناعيّة الأولى ازدهار قطاعي صناعة النّسيج والتعدين :

* تطوّر الصناعات النسيجية : تعتبر الصناعات النسيجيّة أولى الصناعات الّتي شهدت نموّا كبيرا نتيجة الاختراعات التقنيّة الّتي أدّت إلى تضخّم الإنتاج مع الضغط على التكلفة وارتفاع الاستهلاك إثر التزايد الديمغرافي السّريع وتحسين القدرة الشرائيّة وانفتاح الأسواق الخارجيّة.

* صناعة التعدين : أصبحت منذ النّصف الثّاني من القرن XIX الأكثر حيويّة بسبب الطلب المتزايد على المعادن لصنع مختلف أنواع الآلات ومد السّكك الحديديّة خاصّة إثر الاختراعات التقنيّة الّتي سمحت بإنتاج معادن أكثر جودة وبأقل تكلفة.

* الصناعات الجديدة : لئن كانت الأسبقيّة لإنقلترا في تطوير الجيل الأوّل من الصناعات فقد لعبت ألمانيا منذ 1870 دورا رئيسيا في تطوير الصّناعات الكيميائيّة لتقطير الفحم وتكرير النفط وصنع مواد التّلوين ... والصّناعات الميكانيكيّة بفضل اختراع المحرّك الانفجاري (1886) ومحرّك الديزال سنة 1893 واضعة بوادر الثّورة الصناعيّة الثّانيّة.

ج- ازدهار التّجارة : [14-15-16]

سمحت ثورة وسائل النّقل والمواصلات ترويج الإنتاج الفلاحي والصّناعي الضخم والمتنوّع بأكثر سرعة وأقل تكلفة ممّا أدّى إلى ازدهار التّجارة الدّاخليّة والخارجيّة.

* التّجارة الدّاخليّة : أدّى التّزايد الديمغرافي وانتشار وسائل النّقل الحديدي الّذي أدمج مختلف المناطق في الدورة الاقتصاديّة إلى ارتفاع حجم الاستهلاك فنشطت التّجارة وتعدّدت محلاّت البيع وظهرت المغازات الكبرى الّتي تعتمد طرق ترويج جديدة تمثّلت بالخصوص في الإشهار ...

* التّجارة الخارجيّة : أفضى تضخّم الإنتاج وتنوّعه من ناحية وتطوّر وسائل النقل الحديدي والبحري من ناحيّة ثانيّة إلى تزايد حجم المبادلات التجاريّة على المستوى العالمي ممّا ساهم في تدعيم تكوين سوق عالميّة موحّدة في إطار نظام الاقتصاد-العالم كانت البلدان الصناعيّة المستفيد الأكبر من هذه المبادلات والمحرّك الأساسي لها ممّا أحدث تسابقا بين هذه الدول (دُول المركز) للحصول على مناطق نفوذ وامتيازات في بقيّة أجزاء العالم (الأطراف)

لم تخل هذه النّهضة الاقتصاديّة الشاملة في إطار النّظام الرأسمالي الصّناعي من تعثّرات من حين لآخر إذ تخلّلتها بصورة دوريّة [16] أزمات اقتصاديّة بسبب تزايد الإنتاج بنسق أسرع من نمو الاستهلاك فيختلّ التوازن بين العرض والطلب وتنهار الأسعار وتغلق المؤسّسات الصغرى أبوابها وتنتشر البطالة فيعمّ الكساد وتنتشر الأزمة بمختلف البلدان المصنّعة مثل أزمة 1873 الّتي انطلقت من ألمانيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة لتشمل بقيّة البلدان الصناعيّة نظرا للعلاقات الماليّة الّتي تربط هذه الدول بعضها ببعض.

II – التحوّلات الاجتماعيّة بأوروبا الغربيّة في القرن XIX :

أحدثت التحوّلات الاقتصاديّة تغييرات عميقة في تركيبة المجتمع الأوروبي لعلّ من أبرز مظاهرها : الانفجار الديمغرافي، تراجع نفوذ النبلاء وبروز طبقتين اجتماعيتين جديدتين :

1– الانفجار الديمغرافي ونمو المدن : [18-19-20]

تميّز الوضع الدّيمغرافي الأوروبّي منذ القرن الثّامن عشر وخلال القرن التّاسع عشر بظاهرتين بارزتين :

– النّمو السّريع للسكّان : ويعود خاصّة إلى استقرار نسبة الولادات المرتفعة والانخفاض الكبير لنسبة الوفيات. أدّى هذا التزايد الديمغرافي السّريع إلى توفير اليد العاملة وارتفاع حجم الاستهلاك.

– نمو المدن : يعود ارتفاع سكان المدن إلى النّمو الطّبيعي ثمّ إلى أفواج الريفيين النّازحين على إثر تطوّرات الفلاحة من ناحية وحاجة المصانع المتزايدة لليد العاملة من ناحيّة ثانيّة.

2– تراجع نفوذ النبلاء :

لئن جرّدت الثّورات السياسيّة طبقة النبلاء من امتيازاتهم الإقطاعيّة فقد أثبتت الثورة الصناعيّة أن الأرض ليست المصدر الوحيد للثروة، لذلك قلّ شأن النبلاء إلاّ أنّ العديد منهم تأقلموا مع الأوضاع الجديدة واستثمروا أموالهم في الصّناعة والبنوك والمناجم وقطاع النقل كما حافظوا على مكانة مرموقة في المجال السياسي والاداري.

3– طبقتان اجتماعيتان جديدتان :

يتميّز المجتمع الرأسمالي الصّناعي ببروز طبقتين جديدتين : البورجوازيّة وطبقة العمّال.

– البورجوازيّة : [22]

مكّنت الثّورة الصناعيّة كبار التجار وأصحاب البنوك وعائلات جديدة مثل عائلة كروب الألمانيّة وشنايدر الفرنسيّة وروتشيلد الانقليزيّة ... من تنميّة ثرواتهم بصورة هائلة بفضل استثمار أموالهم في إنشاء المؤسسات الصناعيّة والمشاريع الرأسماليّة، أصبحت البورجوازيّة لا تهيمن فقط على المجال الاقتصادي بل حتّى على المجال السّياسي والثّقافي. تتمتّع بمستوى عيش راق وتسكن الأحياء الفاخرة بالمدن.

– طبقة العمّال البروليتاريا : [23–24–25]

ظهرت بظهور المصانع وتكاثر عددها بتكاثرها وبالانتشار السّريع لاستعمال الآلات. تكوّنت من الحرفيين وَمِنَ الرّيفيين النّازحين نحو المدن الصّناعيّة، يتقاضون أجورا زهيدة ويقومون بأعمال شاقّة ويعيشون في ظروف قاسيّة ويسكنون الأحياء الفقيرة (الأحياء القصديريّة)، كانوا مهددين بالطرد والبطالة خاصّة زمن الأزمات الاقتصاديّة وكانت الدولة تواجه غضبهم ومظاهراتهم بالتعسف والقتل.

الخاتمة

منحت الثّورة الصناعيّة البلدان الصناعيّة بأوروبا الغربيّة (دول المركز) إمكانيات ضخمة من الأموال والخدمات سمحت بتدعيم هيمنتهم على بقيّة أجزاء العالم (الأطراف) كما أدّت إلى انتصار الرأسماليّة الصناعيّة وتحقيق نهضة اقتصاديّة شاملة بأوروبا الغربيّة جنت جلّ ثمارها الطبقة البورجوازيّة على حساب البروليتاريا الّتي عَوَّلت على نضالها المهني والسّياسي للدّفاع عن مصالحها.

الدرس الخامس

التيارات الفكريّة والسياسيّة بأوروبا الغربيّة في القرن التاسع عشر

المدخل

شهدت أوروبا في القرن التّاسع عشر تحوّلات سياسيّة وفكريّة تجسّمت في التّيّارات الليبرالي والقومي والاشتراكي والحركات السياسيّة المنبثقة عنها.
لذلك أدرس هذه التّيّارات لأتبيّن مبادئ كلّ منها وأتعرّف إلى مسيرتها خلال القرن التّاسع عشر.

النشاط الأول

أتعرّف إلى مبادئ الليبراليّة

الموارد

الوثيقة : 1

الليبراليّة السياسيّة

«نظريّة سياسيّة تدعو إلى تقويّة استقلال السلطة التشريعيّة والسلطة القضائيّة إزاء السلطة التنفيذيّة، وإلى إعطاء المواطنين أكثر الضمانات الممكنة ... كما تدعو إلى احترام حريّة الآخرين وإلى التّسامح ...»

أندري لالاند، المعجم التقني ونقد الفلسفة، المنشورات الجامعيّة الفرنسيّة 1992، . 557–558

الوثيقة : 2

الليبراليّة الاقتصاديّة

«... يبقى لكل فرد مطلق الحريّة لاتباع طريق مصلحته ... في نظام الحريّة الطبيعيّة ليس للحاكم سوى ثلاثة واجبات ... أمّا الواجب الأوّل فهو الدّفاع عن المجتمع من أي اعتداء خارجي، أمّا الثّاني فحماية كل فرد من المجتمع من الظّلم الّذي يمكن أن يسلّطه عليه فرد آخر من ذلك المجتمع أمّا الثّالث فهو إنجاز الأشغال العامّة وصيانتها ...»

آدم سميث*، ثروة الأمم 1776، نشر غاليمار Gallimard الجزء الرّابع، ص 63

* آدم سميث : ولد بانقلترا سنة 1723وتوفّي سنة 1790، منظّر ومؤسس الليبرالية الاقتصاديّة

الوثيقة : 3

تفسير ليبرالي لتطوّر الأجور

«... لا ينبغي للسلطة أن تتدخّل في مسألة الأجور ... الّتي ينبغي أن تعبّر عن العلاقة الموجودة بين العرض والطلب، فهي ترتفع في أوقات ازدهار الصّناعة لأن هناك طلبًا كبيرًا عن السواعد في حين تنخفض الأجور عندما تتباطأ الصّناعة لأنّ الطّلب على اليد العاملة يتقلّص ... فَسِّرُوا هذه الحقائق الأساسيّة للعمّال ...»

من منشور لوزير الداخليّة الفرنسي إلى الولاّة في فيفري 1849.

ورد بكتاب التّاريخ للسّنة الثّانيّة، هاشات 1993. . 195

التعليمات

اعتمادا على الوثائق (1-2-3) بيّن أهم مبادئ الليبراليّة السياسيّة والاقتصاديّة.

النشاط الثاني

أتبيّن أهداف التيار القومي ومسيرته في بعض دول أوروبا

الموارد

الوثيقة : 4

مازيني* ينتقد وضع إيطاليا سنة 1845

«نحن شعب يعد 22 مليون نسمة، نحمل منذ وقت بعيد إسم الشعب الايطالي وُجِدْنا على أرض خطّط اللّه لها حدودها الطبيعيّة الدقيقة ... ونتكلّم نفس اللّغة ... ولنا نفس المعتقدات ونفس العادات. ونحن فخورون بماضينا السياسي والعلمي والفنّي الزاخر ... (لكن) ليس لنا عَلَمٌ ولا إسم سياسي وليست لنا مكانة بين الأمم الأوروبيّة. ليس لنا مركز مشترك ولا سوق موحدة ... نحن منقسمون إلى ثماني دول مستقلّة عن بعضها البعض ولا يجمع بينها حلف ولا اتصالات متبادلة ومنتظمة. تقع أكبر هذه الدول تحت هيمنة النّمسا بينما تخضع البقيّة لتأثيرها سواء بسبب الرّوابط العائليّة أو بسبب ضعفها ...»

مازيني* : إيطاليا، النّمسا والبابا، وردت بالمجلّة المستقلّة سبتمبر 1845

(موقع رقمي : cliotexte)

* جيوسيبي مازيني (1805–1872) قومي وجمهوري إيطالي ناضل من أجل وحدة إيطاليا

الوثيقة : 5

من صعوبات التنقّل في ألمانيا قبل الوحدة

«... توجهّت من ماغدبورغ نحو هانوفر لكن مررت بصعوبات عديدة ... فكل أمير كانت له حدوده وعُمْلَتُهُ الخاصّة. فقد حدث أن غيّرت في يوم واحد نقودي ثلاث مرّات ... وكل ميل تقطعه تقع على حاجز ... كان هناك على الطريق مَضِيفٌ وكان الطقس حارا فأردت ان أتناول مشروبا باردا وفي القاعة الكبرى اقترب منّي أحد المسافرين وسألني عن وجهتي فأجبته إنّي أريد أن أذهب إلى هامبورغ لكن كلّما استظهرت بجواز سفري البروسي إلاّ وتمّ إرجاعي على الحدود. ضحك وقال «إنّ حكومتي أحسن، فأنا أسافر إلى حيث شئت» سألته عن حكومته، فأجابني إنّها الحكومة الفرنسيّة وأضاف إنّه يقطن ستراز بورغ ...»

كارل شول ، "يوميات حرفي" ذكره جاك دروز في تاريخ ألمانيا الجزء 1 1789–1871. هاتي Hatier 1970 (الموقع الرقمي السابق)

الوثيقة : 6

من مساوىء التجزئة بألمانيا

«... إنّ نظام المقاطعات بألمانيا بتَشريعاته التجاريّة والحرفيّة المتعدّدة يقف عائقا أمام تطوّر الصّناعة ... والتجارة. فكلّ عشرة أو عشرين كيلومتر تعترضك قوانين وشروط مختلفة لممارسة نفس المهنة ... علاوة على وجود تشريعات اجتماعيّة محليّة متنوّعة مع تحديد مدّة الإقامة ممّا يمنع الرأسماليين من استخدام العدد الكافي من قوى الإنتاج اللازمة ... [فالمطلوب] توحيد التشريع الصناعي والتجاري إضافة إلى حريّة الإقامة لكل مواطني الإمبراطوريّة فذلك شرط ضروري لوجود الصّناعة ...»

فريدريك أنجاز ، دور العنف في التّاريخ، المنشورات الاجتماعيّة، باريس 1971 (الموقع الرقمي السّابق)

التعليمات

اعتمادا على الوثائق (4 ـ 5 ـ 6) :

- بيّن تشابه الأوضاع بكل من إيطاليا وألمانيا.
- حدّد الجدوى الاقتصاديّة من تحقيق الوحدة في البلدين. علّل إجابتك.

الوثيقة : 7

مقتطفات من رسالة كافور إلى ملك البيومنت جويلية 1858

«...لقد وافق الإمبراطور الفرنسي نابليون الثّالث على أنّه من الضروري طرد النمساويين من إيطاليا نهائيّا ... سيشكّل حوض البو Pō وروماني Romagne مملكة إيطاليا العليا (الشماليّة) ... وتُتْرَكُ روما وما جاورها للبابا. أمّا بقيّة ممالك البابا وتوسكانيا فتؤلّف مملكة إيطاليا الوسطى في حين تبقى حدود نابولي على حالها. وتكوّن هذه الدول الأربعة كنفيدراليّة على منوال الكنفيدراليّة الألمانيّة ...»

المرجع : الموقع الرقمي السّابق

إضاءات

كافور

هو الكونت كاميو بترو كافور 1810–1861. اضطلع بمهام رئيس وزراء مملكة البيومنت الواقعة بشمال ايطاليا وعاصمتها تورينو منذ 1852 وهو يعتبر صانع الوحدة الإيطاليّة، أعلن سنة 1860 بعد انتصاره على النّمسا قيام مملكة إيطاليا. لم تتوقف عمليّة التوحيد بعد وفاته إذ تمّ سنة 1866 ضمّ البندقيّة وفي سنة 1870 اكتملت الوحدة بضمّ روما الّتي أصبحت عاصمة إيطاليا الموحّدة.

الوثيقة : 8

« لم أكن أشك في أنّ وحدة ألمانيا ليست سوى مسألة وقت وإنّ قيام كنفيدراليّة ألمانيا الشماليّة * تمثّل مرحلتها الأولى ...
كنت مقتنعا بخَوْض الحرب ضدّ النّمسا ولكنّني عملت على تأخيرها إلى حين استكمال بناء قوّاتنا العسكريّة ... كنت متيقّناً من وجوب خوض تلك الحرب من أجل تطوّرنا القومي ...»

من ذكريات بيسمارك، ورد بكتاب التّاريخ سنة 2. هاشات 1981. ص 228

* كنفيدراليّة ألمانيا الشماليّة تكوّنت إثر هزم الجيش البروسي القوّات النمساويّة في سادوا سنة 1866. تألّفت من 22 دويلة برئاسة ملك بروسيا وبيسمارك مستشار لها.

إضاءات

قامت مملكة بروسيا الواقعة شمال ألمانيا وهي أكثر الممالك الألمانيّة تصنيعا وأقواها عسكريا بمهمة توحيد ألمانيا، وكان صانع هذه الوحدة رئيس وُزرَائها (المستشار) في عهد الملك "غليوم الأوّل" أوتوفون بيسمارك" الّذي تولّى هذا المنصب سنة 1862 فأعاد تنظيم الجيش البروسي ممّا مكّنه من الانتصار على النمسا سنة 1866 ثمّ على فرنسا سنة 1870 محققا بذلك الوحدة الألمانيّة.

الوثيقة : 9

«ركّزت البورجوازيّة وسائل الإنتاج وركّزت الملكيّة لدى عدد قليل من الأشخاص وكانت النتيجة الحتميّة لهذه التغييرات نشوء التمركز السّياسي. فالمقاطعات المستقلّة الّتي كانت لها مصالح وقوانين وحكومات وتعريفات جمركيّة مختلفة إنّما جمعت كلّها ودمجت في أمّة واحدة مع حكومة واحدة وقوانين واحدة ومصلحة قوميّة واحدة ...»

ماركس وأنجلس، المختارات، دار التّقدّم موسكو، ص 36

التعليمات

اعتمادا على الوثائق (7-8-9) والإضاءات بيّن أوجه الشبه بين المسيرة نحو تحقيق الوحدة القوميّة في كل من إيطاليا وألمانيا.

النشاط الثالث أدرس التيّارات الاشتراكيّة والحركة النقابيّة لأتبيّن مبادئها

الموارد

الوثيقة : 10

الاشتراكيّة المثاليّة

«أمّا النظم الاشتراكيّة الّتي جاء بها سان سيمون وفورييه وأوين وسواهم فقد ظهرت في المرحلة الأولي غير المتطوّرة للنّضال بين البروليتاريا والبورجوازيّة. صحيح أنّ مبتدعي هذه النّظم يدركون التّناقض والتناحر بين الطبقات (...) غير أنّهم لا يرون للبروليتيريا أيّة مبادرة تاريخيّة أو أيّة حركة سياسيّة خاصّة بها (...) ومستقبل العالم في نظرهم يتقرر بالدعايّة لبرامجهم عن المجتمع وتطبيقها (...) لذا لايَكْتفون بالتوجُّهِ بندائهم إلى المجتمع بأسره بل يتوجّهون حتّى إلى الطبقة الحاكمة المسيطرة ... وفي مكان الشروط التاريخيّة للتحرير يضعون شروطا خياليّة ....»

ماركس وانجلس، البيان الشيوعي، دار التقدّم موسكو 1976 ص 79–80

إضاءات

الاشتراكيّة المثاليّة : اعتبرها الماركسيون مثاليّة لأنّ أصحابها حسب رأيهم لم يستندوا إلى تحليل موضوعي لأسباب التّفاوت داخل المجتمع البورجوازي ولأنهم اقترحوا حلاّ مثاليّا لتحقيق العدالة الاجتماعيّة عَبْرَ إقناع البورجوازيّة والحكام بذلك ومن بين روّادها :

سان سيمون

ينحدر من طبقة ثريّة عاش بين 1760 و1825، يعدّ من روّاد الفكر الاشتراكي في فرنسا وهو يعتقد أن جميع المنتجين من عمال وأصحاب مؤسسات ذوي مصلحة مشتركة لذلك لا بدّ من إقامة علاقات إخاء وتعاون وتوزيع عادل للثروة بينهم

روبرت أوين

من روّاد الفكر الاشتراكي بانڤلترا عاش بين 1771 و1858 اقترح بديلا عادلا للمجتمع الرأسمالي وحاول تطبيقه في ممتلكاته لكنّه أفلس.

التعليمات

اعتمادا على الوثيقة (7) والإضاءات حدّد البديل الّذي اقترحه سان سيمون وأوين للنّظام الرأسمالي وبيّن وسائل تحقيقه.

■ هل كانت أفكارهم قابلة للتحقيق ؟

الوثيقة : 11

دور صراع الطبقات في تطور المجتمعات

«انّ تاريخ كل مجتمع الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ الصّراع بين الطبقات.
فالحرُّ والعبد، والنّبيل والعامي*، والسيّد الإقطاعي والقِنّ، والمعلم** والصانع، أي المضطَهِدُون والمضطَهَدُون كانوا في تعارض دائم، وكانت بينهم حرب مستمرّة تارة ظاهرة وتارة مستترة، حرب كانت تنتهي دائما إمّا بانقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره وإمّا بانهيار الطبقتين المُتصارعتين معا ...
أمّا المجتمع البرجوازي الحديث الّذي نشأ على أنقاض المجتمع الإقطاعي، فإنّه لم يقض على هذا التناحر بين الطبقات، بل أقام طبقات جديدة بدلا من القديمة، وأوجد ظروفا جديدة للاضطهاد وأشكالا جديدة للصِّراع.
الاّ أنّ الّذي يميّز عصرنا الحاضر، عصر البرجوازيّة هو أنّه جعل التّناحر الطبقي أكثر بساطة : فإنّ المجتمع آخذ في الانقسام أكثر فأكثر، الى معسكرين فسيحين متعارضين، الى طبقتين كبيرتين، العداء بينهما مباشر – هما البورجوازيّة والبروليتاريا.

كارل ماركس وفريدريك انجلس، البيان الشيوعي، دار التقدّم موسكو 1976. ص. 40–41

* العامي : فرد من العامّة وهي إحدى فئات مجتمع روما القديمة.
** المعلّم : عضو كامل الحقوق في الحرفة، معلّم في داخل المشغّل لا رئيسه.

كارل ماركس : مفكّر ألماني عاش بين 1818 و1883 يعد مؤسس «الاشتراكيّة العلميّة» من أبرز مؤلّفاته البيان الشيوعي ورأس المال ...

فريدريك أنجلس : مفكّر ألماني (1820–1895) شارك ماركس في أبرز مؤلّفاته وفي نشاطه السّياسي. وضع مؤلّفات خاصّة به أهمّها أصل الملكيّة والعائلة والدولة...

الوثيقة : 12

ثورة العمّال على البورجوازيّة وإقامة مجتمع جديد

(...) فإذا كانت البرولتياريا، في نضالها ضدّ البورجوازيّة تبني نفسها كَطبقة، وإذا كانت تجعل نفسها بواسطة الثّورة طبقة حاكمة، ثمّ بصفتها تلك، تهدم علاقات الإنتاج القديمة، فإنّها تهدم في الوقت نفسه ظروف التّناقض والتّناحر بين الطّبقات (...) وعلى أنقاض المجتمع البورجوازي القديم بطبقاته وتناقضاته الطبقيّة يبرز مجتمع جديد تكون حريّة التطوّر والتقدّم لكلّ عضو فيه شرطا لحريّة التطوّر والتقدّم لجميع الأعضاء

كارل ماركس وفريدريك انجلس، مصدر سبق ذكره ص 68

الوثيقة : 13

مقتطفات من رسالة كارل ماركس إلى أحد زعماء الحركة العماليّة بالولايات المتّحدة 5 مارس 1861

«... لا يعود الفضل لي في اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع الحديث ولا كذلك الصّراع بينها ... وكل ما أتيت به هو أنّني بيّنت أنّ :

– وجود الطّبقات مرتبط بوجود الملكيّة الخاصّة

– إنّ صراع الطّبقات يؤدّي بالضرورة إلى قيام ديكتاتوريّة البروليتاريا

– إنّ هذه الدكتاتوريّة ليست سوى مرحلة إنتقاليّة نحو مجتمع بدون طبقات ...»

من ماركس وانجلس، مراسلات، دار التقدّم موسكو 1981. ص. 61

التعليمات

اعتمادا على الوثائق (10-11-12-13) :

- استخرج العامل الّذي فسّر به ماركس وأنجلس تطوّر التّاريخ البشري
- حدّد التّناقض الرّئيسي في المجتمع البورجوازي
- بيّن الوسيلة الّتي اقترحتها الماركسيّة لحلّ تلك التّناقضات.

الوثيقة : 14

انتقادات باكونين* للماركسيّة

«... يريد ماركس مثلنا انتصار العدالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لكنّه يسعى إلى ذلك عن طريق حكومة قويّة بل متسلّطة (ديكتاتوريّة البروليتاريا) أي عن طريق نفي الحريّة ...»

من خطاب لباكونين أمام مؤتمر الأمميّة الأولى سنة 1872 ورد في كتاب التّاريخ هاشات 1993. ص 199

* **باكونين** : إشتراكي فوضوي روسي عاش بين 1814 و1875 يلتقي في أفكاره مع الفرنسي برودون (1809–1865) في رفض كل أشكال السلطة.

إضاءات

عمل الاشتراكيون من خلال المنظّمات الّتي كوّنوها على توحيد عملهم والتّنسيق بينهم فأسّسوا الأمميّة العمّاليّة الأولى سنة 1864 لكنّها انقسمت ثمّ انحلّت سنة 1876 بسبب حدّة الخلافات بين أعضائها خاصّة بين الماركسيين والفوضويين. كما أعادوا تأسيسها سنة 1889 "الأمميّة العماليّة الثّانيّة" الّتي ضمّت أحزابا ومنظّمات مثّلت 20 دولة من أوروبا وأمريكا الشّماليّة.

التعليمات

بيّن اعتمادا على الوثيقة (14) والإضاءات نقاط الاختلاف بين الماركسيين والفوضويين.

الوثيقة : 15

مهام النقابات

«... يجب على الطبقة العاملة أن تعي أنّ نضال النّقابات من أجل أجور أعلى وتخفيض مدّة العمل ليس هدفا في حدّ ذاته، بل وسيلة إلى جانب وسائل أخرى لتحقيق هدف أسمى : إلغاء النّظام في كُلِّيَّتِهِ ...

ماركس وأنجلس : الحركة النقابيّة، ترجمة روجي دونجفيل، نشر ماسبيرو، باريس 1978. ص. 183—184

التعليمات

- أبرز اعتمادا عى الوثيقة (15) الأهداف الأولى للعمل النّقابي
- يحدّد ماركس أهدافا أخرى للنّقابات، أذكرها واستنتج مدى تأثيرها على وحدة الحركة النّقابيّة.

أستخلص

المقدمة :

ساهمت التحوّلات الاجتماعيّة النّاجمة عن تركيز النّظام الرأسمالي وانتشار التّعليم في إحداث تحوّلات سياسيّة وفكريّة عميقة في أوروبا تجسّدت في تعدد التيّارات السياسيّة والفكريّة : الليبراليّة والقوميّة والاشتراكيّة.

I – التيّار الليبرالي :

يسمّى كذلك التيّار التحرّري لأنّه يعتبر أنّ الفرد باعتباره القيمة العليا في المجتمع يجب أن يتمتّع بحريّته التّامة وبحقوقه المطلقة. وقد استند في مبادئه إلى فكر التّنوير وإلى المبادئ الجديدة الّتي رسّختها الثّورة الفرنسيّة.

1 ـ الليبراليّة السياسيّة : [1]

نادت الليبراليّة السياسيّة بتحقيق المبادئ التاليّة :

– إقامة نظام تمثيليّ يقوم على مجالس منتخبة

– إقرار الحرّيات الفرديّة الأساسيّة : حريّة التعبير والمعتقد وحريّة العمل ...

– تساوي الأفراد أمام القانون

– اعتبار الدولة أداة لحماية تلك الحرّيات وتطبيق القانون من خلال مؤسّساتها.

2 ـ الليبراليّة الاقتصاديّة : [2ـ3]

من روّادها الانجليزي آدم سميث في أواخر القرن الثّامن عشر ثمّ طوّرها في القرن التّاسع عشر الانقليزيّان ريكاردو ومالتوس وهي تقوم على مبدأ «دعه يعمل، دعه يمر» المتمثّل عمليّا في :

– رفض تدخّل الدّولة في الحياة الاقتصاديّة وحصر مهامها في حدود ضيّقة مثل حفظ الأمن والدّفاع عن البلاد وإنجاز الأشغال العامّة وكل ما من شأنه الحفاظ على حقوق الفرد.

– رفع كل القيود أمام المبادرة الفرديّة.

إجمالا تؤكّد الليبراليّة السياسيّة والاقتصاديّة على مبدأ حريّة الفرد لذلك اعتبرت فكر الطبقة البورجوازيّة في كل دول أوروبا خلال القرن 19 واعتمدته في نضالها ضد أنظمة الحكم المطلق.

II – التيّار القومي : [4–5–6–7–8–9]

تتمثّل الفكرة القوميّة في الوعي بالانتماء إلى أمّة واحدة من حقّها تقرير مصيرها إن كانت مولّى عليها (مثل بولونيا الّتي كانت خاضعة للحكم القيصري الرّوسي والشعوب الّتي كانت خاضعة لحكم النّمسا) وتحقيق وحدتها إن كانت مجزّأة (مثل الأمتين الألمانيّة والإيطاليّة). وقد اعتبرت هذه الوحدة شرطا للنهضة الاقتصاديّة والسياسيّة لأنّها تؤدّي إلى توحيد السّوق وإزالة كل الحواجز بين الأقاليم بما فيها الحواجز الاقتصاديّة. وقد نشأ هذا الفكر مع الثّورة الفرنسيّة الّتي أعلنت سيادة الأمّة وتغذّى من أعمال بعض المثقّفين الّذين أكّدوا على وحدة التّاريخ والثقافة وتنامى بفضل دور بعض الزّعماء السّياسيين خصوصا في إيطاليا وألمانيا.

ففي إيطاليا تزعم كافور الحركة القوميّة الّتي نجحت سنة 1870 في توحيد الأمّة الإيطاليّة أمّا في ألمانيا فقد قاد بيسمارك عمليّة التوحيد الّتي استكملت بعد هزم فرنسا سنة 1870.

وعموما فإنّ التيّار القومي يعبّر هو بدوره عن تطلّعات البورجوازيّة إلى توحيد السّوق وإزالة كل الحواجز أمام حركة بضائعها ورؤوس أموالها.

III – التيّارات الاشتراكيّة والنقابيّة :

يعتبر ظهورها كأحد أبرز تأثيرات التحوّلات الاجتماعيّة القرن التّاسع عشر وخصوصا تنامي وزن الطبقة العاملة وتدهور وضعها.

1ـ التيّارات الاشتراكيّة :

أ– الاشتراكيّة المثاليّة "الطوباويّة" : [10]

من روّادها الفرنسيين شارل فورييه وسان سيمون والانجليزي روبرت أوين الّذين نقدوا المجتمع القائم وندّدوا بانعدام المساواة في النّظام الرأسمالي لكنّهم اكتفوا بدعوة الحكومات والأثرياء إلى العناية بالكادحين وتحقيق العدالة الاجتماعيّة دون أن يحدّدوا وسائل تحقيق هذه العدالة ودون أن يقترحوا حلولا قابلة للتحقيق لذلك وصفت اشتراكيتهم بالاشتراكيّة المثاليّة.

ب– الاشتراكيّة العلميّة : الماركسيّة : [11–12–13]

وضع أسسها المفكّران الألمانيان كارل ماركس وفريدريك أنجلس ومن أهم مبادئها :

– إنّ المجتمعات في حركة تقدّم مستمر وهذا التقدّم ناتج عن صراع الطبقات.

– إنّ النّظام الرأسمالي يسير حتما نحو التأزّم بحكم التناقضات الدّاخليّة الّتي تشقّه.

– حتميّة قيام دكتاتوريّة البروليتاريا (سلطة العمال) الّتي ستحرر العمال من استغلال البورجوازيّة وتؤمّم وسائل الإنتاج والتوزيع.

ج– الاشتراكيّة الفوضويّة : [14]

روّادها الفرنسي برودون والروسي باكونين وهي تتّفق مع الماركسيّة في رفضها للنّظام الرأسمالي لكنّها ترفض أي سلطة حتّى وان كانت "سلطة العمّال".

2ـ الحركات الاشتراكيّة : تكوين أحزاب سياسيّة ومنظّمات دوليّة إشتراكيّة

تأسّست في أوروبا عدّة أحزاب تتبنّى هذه النّظريّة عرفت باسم الأحزاب الاشتراكيّة الديمقراطيّة. كما تميّزت هذه المذاهب بنزعتها الأمميّة فقد دعت العمال في كافة أنحاء العالم إلى الوحدة وعلى هذا الأساس تكوّنت سنة 1864 الأمميّة العماليّة الأولى وفي 1889 الأمميّة العمّاليّة الثانيّة.

3ـ الحركة النقابيّة [15]

تعدّ النّقابة جمعيّة مهنيّة هدفها الدّفاع عن المصالح الماديّة والمعنويّة لمنخرطيها. وقد تولّى العمّال نقاباتهم بأنفسهم. وقد وجدت النّقابات العمّاليّة صعوبة كبيرة للاعتراف بها من طرف الحكومات. كما تأثّرت بالصّراعات المذهبيّة بين الاشتراكيين فانقسمت إلى تيارين :

– تيار نقابي إصلاحي يدعو إلى تحسين أوضاع العمّال عن طريق التفاوض مع أرباب العمل والحكومات وباعتماد الطرق السلميّة.

– تيار ثوري يعتبر أنّ على النّقابات المساهمة في الإطاحة بالنّظام الرأسمالي لأنّه لا يمكن تحسين وضع العمّال إلاّ بإزالة ذلك النّظام وقيام الاشتراكيّة.

وقد خاضت الحركة النقابيّة في أوروبا الغربيّة نضالات عديدة من أجل تحسين ظروف العمّال وأوضاع شغلهم، أجبرت الحكومات في أواخر القرن التاسع عشر على العناية بأوضاع العمّال الاقتصاديّة والاجتماعيّة فقلّصت من ساعات العمل اليوميّة ومنحت حق التمتّع براحة أسبوعيّة وبالضمانات الاجتماعيّة وقنّنت تشغيل الأطفال والنّساء وغيرها من القوانين الاجتماعيّة.

الخاتمة

هكذا شهدت أوروبا الغربيّة تحوّلات سياسيّة وفكريّة كبرى كان لها تأثيرها على طبيعة الأنظمة السياسيّة الّتي قامت في أوروبا بعد ذلك.

ولا شك أنّ مختلف التيّارات الّتي ظهرت آنذاك قد ارتبطت بالتحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة الّتي نجمت عن الثورة الصناعيّة.

الدرس السادس

التوسع الاستعماري الأوروبي واقتسام العالم

المدخل

انشغلت بلدان أوروبا الغربية خلال القرن التاسع عشر بإرساء أهم إنجازات الثورة الصناعية وما نتج عنها من تحولات اقتصادية واجتماعية ثم تسابقت فيما بينها إثر الكساد الكبير الذي انطلق سنة 1873 بحثا عن المستعمرات ومناطق النفوذ. سأدرس أسباب هذا التوسع الاستعماري والإمبريالي وأتبين مظاهر التنافس بين القوى الأوروبية لاقتسام العالم.

النشاط الأول

أتعرّف إلى أسباب التوسّع الاستعماري والإمبريالي

الموارد

الوثيقة : 1

مقتطفات من خطب جول فيري*

أ- «من مصلحة فرنسا التي كانت متخمة دائما بالرساميل والتي صَدّرت منها كميات كبرى إلى الخارج أن تنظر إلى المسألة الاستعمارية من هذه الزاوية... إلا أن هناك مظهرا أكثر أهمية من هذه المسألة : إن المسألة الاستعمارية بالنسبة للبلدان المؤهلة من حيث طبيعة صناعتها للتصدير على نطاق كبير كبلدنا، إنما هي مسألة منافذ ترويج المنتجات نفسها... ألاَ تَرَوْن أن كل الأمم الصناعية الكبرى تنهج السياسة الاستعمارية الواحدة تلو الأخرى؟...».

ورد بمدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية لبيار رينوفان

نشر عويدات 1989 ص 448

ب- «... الأزمة الاقتصادية التي ألقت بثقلها على أوروبا الكادحة منذ سنة 1876 والضيق الذي انْجرّ عنها والذي تمثل الإضرابات المتواترة أكثر أعراضها وجعا، تزامنت في فرنسا وفي ألمانيا وحتى في انقلترا مع هبوط هام وثابت في رقم الصادرات... إن الاستهلاك الأوروبي مشبع لذا وجب أن نعمل على أن تنبثق في جهات أخرى من المعمورة شرائح جديدة من المستهلكين.»

ورد بكتاب الأستاذ علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس

نشر سيراس 1986 ص 172

* **جول فيري** : سياسي فرنسي من نواب الحزب الجمهوري. ترأس الحكومة بين 1880 و1881 ثم بين 1883 و1885. يعتبر مع قمبطا Gambetta أبرز رواد الحركة الاستعمارية الفرنسية.

إضاءات

الإمبريالية : نزعة الدول الرأسمالية الكبرى في الهيمنة العسكرية والاقتصادية والثقافية على الشعوب الضعيفة بهدف استنزاف ثرواتها. وتعني حسب الماركسين مرحلة بلوغ الرأسمالية طور الاحتكارات الذي يمثل اندماج الرأسمال المالي لبضعة من البنوك الاحتكارية الكبرى في رأسمال المؤسسات الصناعية الاحتكارية.

الوثيقة : 2

جدوى المستعمرات

رأى العالم الاقتصادي هوبسن سنة 1902 أن البحث عن أسواق جديدة ليس لتصدير المنتجات الصناعية فحسب بل ولتصدير الرساميل أيضا أساس الإمبريالية لأن الرساميل لم تعد تجد في أرض الوطن مجالا تستخدم فيه بشكل مُجْزٍ لذلك بات ضروريا استعمالها في البلدان الجديدة».

ب. رينوفان، مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية ص 213

الوثيقة : 3

من أسباب التوسّع الفرنسي في الهند الصينية*

«لاحظنا وجود مناجم هامة للفحم الحجري من حدود الطونكان حتى النهر الأزرق. تحتوي هذه المناجم على مصدر طاقة جيّد نادر الوجود في أوروبا... هذه الثروة الفحمية تقترن بمناجم حديد على ضفاف النهر الأحمر وبحقول عديدة من النحاس فلا ينقص اليونَنْ سوى خط حديدي لذلك ينبغي تركيزه بأقصى سرعة...».

من مقال بصحيفة "La Depèche Coloniale"

6 ماي 1901

* **الهند الصينية** : تتألف من كمبوديا ـ فيتنام ـ اللاوس.

الوثيقة : 4

من فوائد المستعمرات حسب لروي بوليي*

«من أهم منافع المستعمرات... نهضة تجارة المركز** وتنشيط صناعته وتوفير إمكانيات لزيادة أرباح صناعييه وتجاره وأجور عماله.. كما يفتح الاستعمار مصادر جديدة للإنتاج... بالإضافة إلى أن العلاقات التجارية مع المستعمرات تكون أكثر ضمانا منها مع بقية الأمم إذ ليس هناك خشية من انتهاجها سياسة حمائية... ينبغي أن نغتنم الفرصة لتصدير رؤوس الأموال نحو المستعمرات التي ستدر علينا أرباحا طائلة».

ورد بكتاب التاريخ س 2. هاشات 1981 ص 306

* **لروي بوليي** : إقتصادي وأحد منظري الاستعمار الفرنسي

** **المركز** : الدولة المستعمرة.

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق : (1 - 2 - 3 - 4)
- حدد طبيعة أسباب التوسع الاستعماري.
- صنف تلك الأسباب واشرحها.

الوثيقة : 5

جول فيري والتوسّع الاستعماري

«إن حركةً لا تُقاوَم تحمل الأمم الأوروبية الكبرى إلى غزو أراضٍ جديدة... ففي عالم قائم على هذا النحو، تكون سياسة التريّث أو الامتناع طريق الانحدار والتدهور... وأن نُشِعَّ دون أن نتدخل في شؤون العالم... إنّما هو هبوط «من المرتبة الأولى إلى المرتبة الثالثة أو الرابعة...» من **خطاب جول فيري** 1885. ورد بمدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية، بيار رينوفان، منشورات عويدات، 1989 ص 449.

الوثيقة : 6

«... ثم أن التواري ستكون نتيجته الأكيدة أن يحتل آخرون الأمصار الشاغرة. لقد شهدنا ذلك جيدا في مصر عام 1882 يوم أن ترك مجلس النواب انقلترا وحدها في مصر... ما إن ينسحب العَلَمُ الفرنسي من تونكين* مثلا كما ينصح بعضهم، حتى تحل ألمانيا وإسبانيا محلّنا على الفور. إنّ المنافسة تزداد حماسة بين الأمم الأوروبية... إنّ فرنسا القوة البحرية العظمى الثانية في العالم. وعندما نحتل مثل هذا المركز تصبح لنا مصالح في العالم أجمع».

ويقول جول فيري في موقع آخر :
«... إن أرادت فرنسا أن تبقى قوة عظمى وجب عليها نشر لغتها وعَلَمِها ومعتقداتها وأسلحتها وفكرها في كل مكان كلّما استطاعت إلى ذلك سبيلا...».

جول فيري : توطئة لكتاب تونكين والوطن الأم
ورد بالمرجع السابق. ص 449.

* **تونكين** : المنطقة الشمالية للفيتنام.

التعليمات

استنادا إلى الوثيقتين (5 و6) :
استخرج من أقوال جول فيري الدوافع غير الاقتصادية للتوسع الاستعماري.

الوثيقة : 7

من أسباب التوسّع الاستعماري حسب سيسيل رودس*

«كُنْتُ أمس في الايست اند (حي العمال في لندن) وحضرت اجتماعا من اجتماعات العمال العاطلين وقد سمعت هناك خطابات فظيعة كانت من أوّلها إلى آخرها صرخات : الخبز! الخبز! وأثناء عودتي إلى البيت كنت أفكر بما رأيت واقتنعت أَوْضَحَ من السابق بأهمية الإمبريالية... إن الفكرة التي أصبو إليها هي حلّ المسألة الاجتماعية، أعني : لكي ننقذ أربعين مليونا من سكان المملكة المتحدة من حرب أهلية فتاكة ينبغي علينا نحن السّاسة طلاب المستعمرات أن نستولي على أراض جديدة لِنرُسل إليها فائض السكان ولنقتني ميادين جديدة لتصريف البضائع التي تنتجها المصانع والمناجم... فإذا كنتم لا تريدون الحرب الأهلية ينبغي عليكم أن تصبحوا إمبرياليين....»

لينين، الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، دار التقدم
موسكو 1983، ص 101

* **سيسيل رودس** : من أكبر رجال المال الإنْقليز وأبرز صانعي الاستعمار الإنْقليزي بجنوب إفريقيا

الوثيقة : 8

من دوافع التوسع الاستعماري حسب أحد الجامعيين الألمان

«يحتاج كل شعب إلى أراض لممارسة نشاطه وللحصول على غذائه، وليس هناك من شعب أحوج إلى ذلك من الشعب الألماني الذي يتضاعف بسرعة على رُقْعة تَضيق به. فإذا لم نحصل على مناطق جديدة سنسير نحو الكارثة...».

ألبراشت ويرث 1904، ورد بالانترنيت w.w.w. Cliotexte
Colonistation (2)

الوثيقة : 9

من خطاب شمبرلاين الوزير الانقليزي للمستعمرات 1895

«... إن على أُمّتنا واجبات إزاء الشعوب الواقعة تحت حكمنا. إن هيمنتنا وحدها كفيلة بتحقيق السلم والأمن والثراء للكثير من هؤلاء التعساء الذين يجهلون هذه المنافع... وإنه بقِيامنا بهذه المهمة التمدينية سنكون قد قمنا بواجبنا لمصلحة الشعوب المتظلّلة بالتاج الإمبراطوري... نعم إنني أثق بهذا العِرْق... الذي لم يعرف له العالم مثيلا.»

ورد بالانترنيت، موقع w.w.w. Cliotexte
Colonistation (2)

التعليمات

استنادا إلى الوثائق :(7 - 8 - 9)

■ استخلص المبررات التي اعتمدها بعض الساسة الأوروبيين للتوسع الاستعماري والإمبريالي.

النشاط الثاني أتبيّن مظاهر التّسابق والتنافس الاستعماري واقتسام العالم

الموارد

الوثيقة : 10

من أهم قرارات ندوة برلين (15 نوفمبر 1884 – 26 فيفري 1885)

انعقدت ندوة برلين بدعوة من المستشار الألماني بيسمارك لحسم النزاعات القائمة بخصوص التوسع في إفريقيا ووضع قواعد عامة لاقتسام الأراضي الإفريقية بين القوى الأوروبية :

- حرية التجارة بكامل حوض الكونغو.
- حرية الملاحة بنهريْ الكونغو والنيجر وروافدهما.
- حرية المعتقد وحق تنظيم البعثات التبشيرية.
- حظر تجارة العبيد.
- التشاور بين القوى الأوروبية عند التوسع بمنطقة معينة

جيلبار كونت : الإمبراطورية الظافرة، 1988. ص 41 و42

التعليمات

اعتمادا على الوثيقة (10) : حدد ظروف انعقاد ندوة برلين ثم استخلص طبيعة قراراتها.

الوثيقة : 11

مواقف القوى الأوروبية من احتلال تونس

«جَدّدتْ بريطانيا تأييدها لفرنسا بخصوص المسألة التونسية غداة مؤتمر برلين أوت 1878 ... كما أيّد المستشار الألماني بسمارك المقترح البريطاني المتعلق بتونس راميا من وراء ذلك إلى منح تعويضات لفرنسا لصرف نظرها عن مقاطعتي الألزاس واللّورين اللتين ضمتهما ألمانيا منذ 1870 ... وعارضت إنقلترا هيمنة إيطاليا على تونس لأن هذه الهيمنة تُخوّل لها مراقبة مضيق صقلية وتُمكّنها من قطع طريق الهند الذي أصبحَ يَمرّ بالبحر المتوسط منذ فتح قناة السويس 1869.»

علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ـ سيراس للنشر 1986 ص 35 و36

الوثيقة : 12

التنافس على احتلال المغرب الأقصى

«قال وزير خارجية ألمانيا لسفير فرنسا : إنّكم بصدد إقامة حماية حقيقية في المغرب واقترح عليه أسلوب التعويض فأجابه السفير الفرنسي إن هذا التعويض لا يمكن إيجاده في المغرب ولعله لا يستحيل وجوده في مكان آخر ردّ الوزير الألماني حينئذ إننا نطالب بالكونغو الفرنسي... لذلك وجب إيجاد حلٍّ وسط تجنّبا للحرب فاقترحت فرنسا منح ألمانيا جزء من الكونغو...».

من مذكرات : ب. كومبون

ورد بـ : بيار رينوفان : مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية ـ نشر عويدات 1989 ص 574 – 578

إضاءات

أزمة فاشودا

قاد الجنرال الفرنسي مارشان Marchand سنة 1898 حملة عسكرية لاحتلال منطقة فاشودا جنوب السودان للربط بين جل المستعمرات الفرنسية بإفريقيا الغربية والاستوائية من جهة والمستعمرة الفرنسية بالقرن الإفريقي حيث أنشئ ميناء جيبوتي من جهة ثانية. إلا أنّ إنقلترا حالت دون ذلك وأجبرت الفرنسيين على الرجوع من حيث أتوا ضمانا لحريّة التنقل بين مختلف مستعمراتها الممتدة شرق إفريقيا من مصر شمالا إلى جنوب إفريقيا. تفاديا للنزاع المسلّح، ركن البَلَدان إلى العمل بمبدأ التّنازلات والترضيات فأَمْضَيَا عِدّة اتفاقيات توّجتها معاهدة الوفاق سنة 1904 التي أقرّت عدّة تسويات أبرزها اعتراف فرنسا باحتلال إنقلترا لمصر وتشجيع إنقلترا فرنسا لاحتلال المغرب الأقصى.

التعليمات

استنادا إلى الوثائق (11 و12) والإضاءات بيّن موقف القوى الأوروبية من السيطرة على تونس :
وضّح الأساليب التي اعتمدتها تلك القوى لتفادي التصادم وتقاسم الأراضي الإفريقية بينها.

الوثيقة : 13

الهيمنة الأوروبية على الإمبراطورية العثمانية

«كانت ألمانيا قد ضمنت لنفسها في الإمبراطوريّة العثمانية تفوقا اقتصاديا مرموقا بموجب اتفاقات (1899–1902–1903) – امتياز خط حديدي يصل مدينة اسميدت على مضيق البوسفور ببغداد عن طريق أنقرة والموصل وكذلك عدة فروع تتجه إلى سوريا وأرمينيا وحدود إيران وباتجاه الخليج الفارسي – شبكة يزيد مجموعها على 4000 كم. أما بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا فإنها انتهت إلى التفاوض مع ألمانيا قصد الوصول إلى تخطيط حدود الانتشار ضمن الإمبراطوريّة العثمانية... وهكذا تم قبيل الحرب العالمية الأولى اقتسام امتيازات الخطوط الحديدية ومناطق النفوذ الاقتصادية في الإمبراطوريّة العثمانية بين القوى الأوروبية...».

بيار رينوفان : (نفس المصدر) ص 160.

الوثيقة : 14

«إن تقسيم مناطق النفوذ في الصين وفي آسيا الوسطى وأثيوبيا التي جرى التفاوض عليها بين الدول الأوروبية كان مستوحًى من شواغل النفوذ والسيطرة. إنها دون شك إقامة تفاهم بين المصالح الاقتصادية المتنافسة بغية استبعاد سبب محتمل للنزاعات السياسية المسلحة لكنها كذلك التمهيد للسبيل المؤدي إلى الاقتسام بين تلك القوى...».

بيار رينوفان : (نفس المصدر) ص 174.

الوثيقة : 15

صورة كاركاتورية لاقتسام مناطق النفوذ بالصين

الدول المتنافسة : من اليمين إلى اليسار = إنقلترا – الولايات المتحدة – اليابان – روسيا – فرنسا – ألمانيا

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق : (13 ، 14 و15)

- حدد أشكال الهيمنة الأوروبية على أراضي الامبراطورية العثمانية والصين.
- أبرز مظاهر الاختلاف والتشابه بين التوسع الأوروبي في كل من إفريقيا من جهة وفي الإمبراطوريّة العثمانية والصين من جهة ثانية.

الوثيقة : 16

النسبة المائويّة للأراضي العائدة للدّول الأوروبيّة

المنطقة	سنة 1876	سنة 1900
إفريقيا	10.8	90.4
آسيا	51.5	56.6

ورد بكتاب لينين، الإمبرياليّة أعلى مراحل الرّأسماليّة، ص 97

الوثيقة : 17

مستعمرات القوى الأوروبيّة الكبرى

	المستعمرات			
	سنة 1876		سنة 1914	
	المساحة بالمليون كم2	السّكان بالمليون نسمة	المساحة بالمليون كم2	السّكان بالمليون نسمة
إنقلترا	22.5	251.9	33.5	393.5
فرنسا	0.9	6	10.6	55.5
ألمانيا	—	—	2.9	12.3

نفس المصدر ص 103

الوثيقة : 18

خريطة الإمبراطوريّات الاستعمارية قبيل الحرب العالمية الأولى

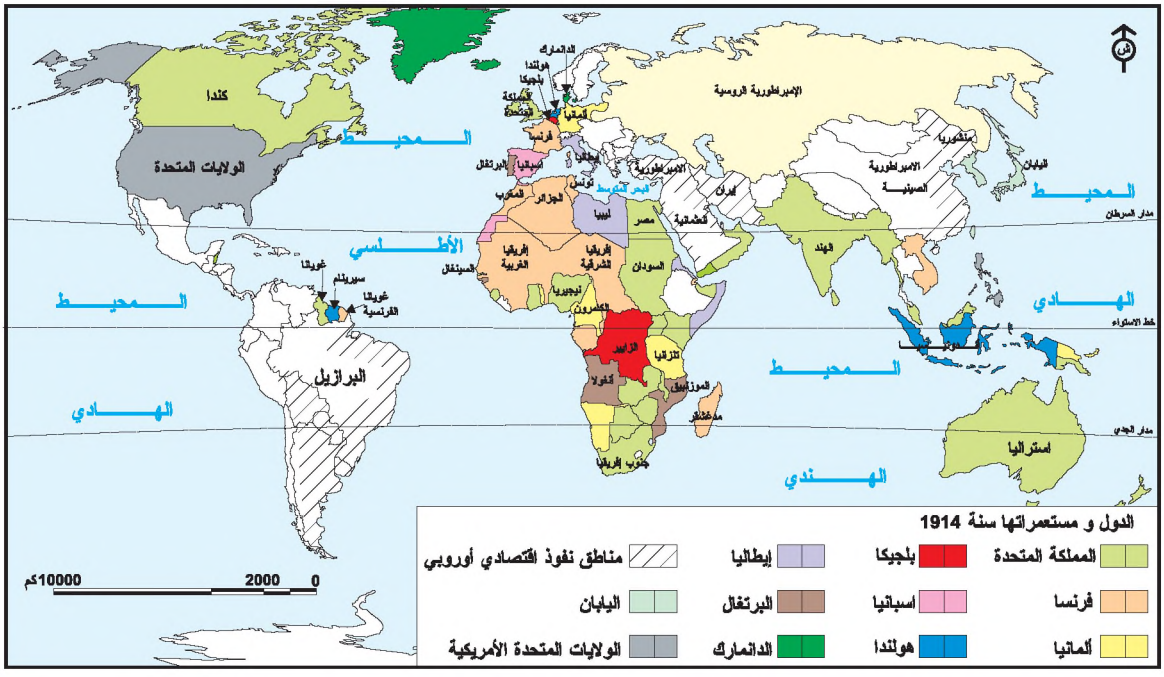

التعليمات

انطلاقا من الوثائق (16 و17 و18)

- حدّد فترة اشتداد التّسابق والتنافس الاستعماري بين القوى الأوروبيّة ثمّ أبرز انعكاسه على مصير إفريقيا وآسيا.
- بيّن أكثر القوى الاستعمارية استفادة.

أستخلص

المقدمة :

لئن انطلقت الحركة التوسعية الاستعمارية الأوروبية منذ القرن السادس عشر وتواصلت بين مد وجزر في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فإنها قد نشطت منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقب نضج الثورة الصناعية وتحولات الاقتصاد الرأسمالي الصناعي مما أحدث تسابقا مذهلا بين القوى الأوروبية من أجل الاستحواذ على المستعمرات ومناطق النفوذ الاقتصادي ممّا أفضى إلى توتّر العلاقات الدولية وأدّى إلى اقتسام العالم.

I – أسباب التوسع الاستعماري والإمبريالي

تعدّدت الأسباب :

1 ـ الأسباب الاقتصادية من الدوافع الرئيسية للتوسع [1 ـ 2 ـ 3 ـ 4]

أدّي تضخم الإنتاج الصناعي والتراكم الهائل للثروة المالية من ناحية ثم الأزمة الاقتصادية التي شهدتها البلدان الصناعية منذ 1873 من ناحية ثانية إلى بروز الحاجة الملحة لأسواق خارجية لتصريف فوائض الإنتاج الصناعي والسيطرة على مواقع المواد الأولية ولاستثمار رؤوس الأموال.

أ– البحث عن الأسواق

عندما بلغت الأسواق الأوروبية درجة التشبّع، وازداد الوضع تعكّرا إثر الكساد الكبير لسنة 1873. وتوخّت جلّ البلدان الصناعية السياسة الحمائية، انهارت الأسعار وقلت المرابيح فاندفعت البلدان الأوروبية للبحث عن أسواق جديدة والاستحواذ على المستعمرات لضمان ترويج مصنوعاتها وتأمين تزويد مصانعها بالمواد الأوليّة.

ب– المستعمرات أفضل مجال لاستثمار رؤوس الأموال

تراكمت الأرباح الهامة بيد الرأسماليين في فترة الرخاء والازدهار كما تضاعفت القدرات المالية للبنوك خاصة إثر نضج هياكل النظام الرأسمالي وبلوغ المؤسسات مرحلة الاستقطاب المالي والاحتكارات إلا أنّ فرص توظيف رؤوس الأموال المربح قد تقلصت بالبلدان الأوروبية ونزلت نسب الأرباح من 5 % إلى 3% فأصبحت المستعمرات تمثل أفضل أسواق الاستثمارات فتسابقت الدول والمؤسسات في ما وراء البحار لتقديم القروض للدول الضعيفة وإنشاء المشاريع الاقتصادية التي تتطلب تمويلات ضخمة كإنشاء السكك الحديدية والموانئ والمصارف والمزارع للتمتع بنسب أرباح مغرية تفوق 8% وتصل إلى 15% وإنشاء البنية الأساسية التي سمحت باستنزاف ثروات المستعمرات ونقلها إلى البلدان المصنعة وقد مثل هذا التسرب المالي والاقتصادي سببا من الأسباب الرئيسية لانتصاب الاستعمار الفرنسي بتونس والمغرب الأقصى أو الإنقليزي بمصر...

2 ـ الأسباب السياسية والإستراتيجية [5 ـ 6]

بعد استكمال بناء الوحدتين الألمانية والإيطالية وتدعّم المد القومي بأوروبا أصبح التوسّع الاستعماري يمثل عامل مجد وقوّة للأمم التي أصبحت عظمتها كما يدّعي الفرنسي جول فيري أو الإنقليزي شمبرلاين تقاس بمدى اتساع إمبراطورياتها الاستعمارية.

تركزت اهتمامات الدول على تأمين المواصلات البحرية والقارّية بينها وبين مستعمراتها، ومناطق نفوذها حفاظا على مصالحها القومية وعملا على منع القوى المنافسة من تحقيق أهدافها فتسابقت هذه الدول لاحتلال المواقع الاستراتيجية ومناطق الارتكاز البحرية (كالمضايق والجزر والقنوات). وقد أولت إنقلترا مثلا هذه المسألة أهميّة بالغة لضمان سيطرتها على المسالك التجارية البحرية في العالم.

3ـ أسباب أخرى لتبرير التوسع الاستعماري الإمبريالي [7 ـ 8 ـ 9]

– تحت تأثير الضغط الديمغرافي الذي عرفته خاصة بعض الأقطار الأوروبيّة، اندفعت أعداد هائلة من المهاجرين خاصة إثر الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية نحو القارات الأخرى التي أصبحت تمثل مناطق جذب استقطبت الفائض السكاني الأوروبي كما وجد بعض السّاسة في توجيه فائض السكان نحو المستعمرات تخفيفا لحدة التوترات الداخلية حيث بلغ عدد المهاجرين الأوروبيين بين 1850 و1900 الـ40 مليون نسمة.

– ارتفعت أصوات بعض المثقفين والسياسيين القائلة بتفوق الرجل الأبيض على بقية الأجناس والدّاعية إلى واجب قيام الأمم الأوروبية المتحضرة بتمدين الشعوب الأخرى.

هكذا جاءت هذه الدوافع لتبرير السياسة التوسّعية والإمبريالية التي كانت تهدف بالأساس إلى نهب واستغلال ثروات الشعوب الضعيفة لفائدة القوى الاستعمارية ممّا يُفسّر تسابق هذه القوى من أجل الاستحواذ على مزيد الأراضي قبل الآخرين. وقد ساندت هذه الحركة التوسعية والإمبريالية شخصيات سياسية وأوساط دينية ومثقّفون وجمعيات جغرافية ومستكشفون وصحفيّون ورجال أعمال وعسكريون...

II – التنافس الاستعماري واقتسام العالم

احتدّ التنافس الاستعماري خاصة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عند التحاق كل من ألمانيا وإيطاليا بالسباق الاستعماري في وقت تقلّصت فيه مجالات التوسّع.

1ـ التنافس الاستعماري لاقتسام إفريقيا

أدّى تأجّجُ التنافس على اقتسام إفريقيا إلى نشوب عدّة أزمات بين القوى الاستعمارية كادت تتحوّل إلى نزاعات مسلّحة :

أ– التنافس على إفريقيا الاستوائية [10]

إثر استحواذ فرنسا على جزء من حوض الكونغو سنة 1882 واستيلاء بلجيكا على ما تبقّى من ذلك الحوض بفضل الدور الذي قام به المستكشف ستانلي Stanley واحتلال ألمانيا لكل من الكامرون والطوغو احتدّ التنافس بين هذه القوى الساعية إلى مواصلة التوسع بإفريقيا الاستوائية، ولتفادي الصدام بينها، دعت ألمانيا إلى عقد ندوة برلين 1884– 1885 التي حضرتها الدول المعنية بالتوسع وأقرّت المبادئ العامة التي ارتكزت عليها الحركة الاستعمارية ومنها اعتماد سياسة الترضيات والتعويضات والتنازلات المتبادلة...

ب– التنافس الاستعماري بين فرنسا وإنقلترا

لئن تعارضت المصالح الاستعمارية الفرنسية الإنقليزية، فقد تمّت تسوية المشاكل بينهما عن طريق الديبلوماسية والترضيات مثلما تجلّى ذلك في مساندة إنقلترا لفرنسا في مساعيها للسيطرة على تونس والمغرب الأقصى مقابل قبول فرنسا للسيطرة الإنقليزية على مصر ومعالجة أزمة فاشودا التي اندلعت بين القوّتين سنة 1898 وكادت تفضي إلى نزاع مسلّح بينهما. وقد سُوّيت جل المشاكل الاستعمارية العالقة بين الدولتين بإبرام عدّة اتفاقيّات تُوّجت بمعاهدة الوفاق سنة 1904.

ج- التنافس الاستعماري بين فرنسا وإيطاليا [11]

عارضت إيطاليا انتصاب الحماية الفرنسية بتونس 1881 لاعتبار تعدّد مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية ولتواجد جالية إيطالية هامة وقد تم تجاوز هذا الخلاف عن طريق تطبيق سياسة الترضيات والتنازلات إذ تغاضت فرنسا عن احتلال إيطاليا لكل من إرتريا والصومال وطرابلس مقابل توسّعها بكل من تونس والمغرب الأقصى.

د- التنافس الاستعماري بين فرنسا وألمانيا [12]

لئن شجعت ألمانيا فرنسا على احتلال تونس، فإنها عارضت الأطماع التوسعية الفرنسية بالمغرب الأقصى وانجرّ عن ذلك حدوث أزمتين خطيرتين بين القوتين (أزمة 1905 و1911) وتم حل هذا الخلاف بمقايضة تمثلت في تنازل فرنسا لفائدة ألمانيا عن جزء من مستعمراتها بالكونغو مقابل انتصاب حمايتها على المغرب الأقصى سنة 1912.

2- التنافس الاستعماري حول آسيا [13 - 14 - 15]

استغلّت القوى الأوروبية مستعمراتها القديمة لتوسيع نفوذها فاشتد التنافس بينها لاقتسام آسيا :

أ- التنافس الاستعماري الفرنسي الإنقليزي

أخذت فرنسا منذ 1882 تتوسع في الهند الصينية (فيتنام - كمبوديا - اللاوس - الكوشنشين) مما أثار مخاوف إنقلترا التي بادرت باحتلال شمال بيرمانيا وطردت الفرنسيين من السيام وحولته إلى محمية إنقليزية حماية لِسَوَاحِلِ الهند الشرقية والطرق التجارية باتجاه الصين.

ب- التنافس بين إنقلترا وروسيا

تمكّنت روسيا من بسط سيطرتها على سيبيريا كما استولت على آسيا الوسطى. أزعج هذا التوسّع إنقلترا فبادرت بفرض حمايتها على أفغانستان 1879 لحماية الهند التي تُعَدّ أغنى مستعمراتها مما أدى إلى تصادم الدولتين في حروب متواصلة انتهت باتفاق 1895 الذي نصّ على استقلال أفغانستان للفصل بين مجال توسّعِ القوتين.

ج- التنافس للحصول على مناطق نفوذ وامتيازات بالشرق الأقصى

ظلّت السوق الصينية الواسعة مغلقة في وجه التجارة الأوروبية حتي القرن التاسع عشر. استغلت القوى الأوروبية منع الحكومة الصّينية تجارة الأفيون 1838 ومقتل أحد المبشرين الفرنسيين بالصين 1860 لفتح عدة موانئ صينية أمام التجارة الأوروبية وحصولها على عدّة امتيازات.

وكانت روسيا المستفيد الأكبر إذ امتد نفوذها إلى كوريا ومنشوريا مما أثار اليابان التي أعلنت الحرب على روسيا 1904—1905 انتهت بانتصاره.

الخاتمة

هكذا لعبت الديبلوماسية والتعويضات والمصادمات، أحيانا، دورا هاما في اقتسام العالم.

- في إفريقيا : كانت فرنسا وإنقلترا ثم ألمانيا المستفيد الأكبر في اقتسام إفريقيا.
- في آسيا : تحصّلت كل من فرنسا وروسيا واليابان على أهم الأراضي. وتبقى إنقلترا المستفيد الأكبر بسبب ممتلكاتها السابقة (الهند).

وتمكّنت الدول الاستعمارية بذلك من فرض بضائعها ورؤوس أموالها وثقافاتها على الشعوب المستعمرة. إلا أنّ تواصل تضارب مصالح هذه القوى الاستعمارية الذي ازداد حدة مع بروز قوى جديدة منذ أواخر القرن التاسع عشر طالبت بإعادة تقسيم العالم لتنال نصيبها من المستعمرات سيكون سببا من أسباب اندلاع الحرب العالمية الأولى.

أقيم مكتسباتي : إنجاز مقال

الموضوع الأوّل :

1– بيّن إلى أيّ مدى ساهمت الثّورة الفرنسيّة في تكريس فكر التنوير.

الموضوع الثّاني :

2– ادرس دور البورجوازيّة في التحولات الكبرى الّتي عرفتها أوروبا الغربيّة في القرنين الثامن والتّاسع عشر.

أزمة الإيالة التّونسيّة في القرن التّاسع عشر

مقتطفات من عهد الأمان 1857 بخط أحمد ابن أبي الضياف

أزمة الإيالة التّونسيّة في القرن التّاسع عشر

إذا كان القرن التّاسع عشر قرن التحوّلات الاقتصاديّة في أوروبا الغربيّة فإنّه قد مثّل بالنسبة لتونس قرن الأزمات والمصاعب : إذ شهدت البلاد خلاله أزمة اقتصاديّة واجتماعيّة حادّة كما استفحل فيها التسرّب الاقتصادي الأوروبّي.
وقد تدرّج هذا الوضع – الّذي تزامن مع تزايد الأطماع الاستعماريّة الأوروبيّة – بالبلاد نحو الخضوع للحماية الفرنسيّة سنة 1881 بعد فشل آخر محاولات الإصلاح.

عناوين الدروس

الدرس الأول	الأزمة بتونس في القرن التّاسع عشر ومحاولات الإصلاح.
الدرس الثّاني	اِنتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس وردود الفعل الأولى.

الدرس السابع

الأزمة بتونس في القرن التّاسع عشر ومحاولات الإصلاح

المدخل

أدرس شموليّة أزمة البلاد التونسيّة في القرن التّاسع عشر وأسبابها وأتبيّن تعدّد محاولات الإصلاح والميادين الّتي شملتها ومحدوديتها لأفهم كيف تدرّجت الإيالة نحو التّفريط في استقلالها.

النشاط الأول

أتعرف إلى أسباب الأزمة ومظاهرها بتونس في القرن التّاسع عشر

الموارد

الوثيقة 1

«... وأهم صنائع الأهالي هي الفلاحة ومازالت آلاتها على الطّراز القديم ويأخذونها عن بعضهم بالمشاهدة مع أنّه فيها كُتب عديدة بخزائن الكتب لا يلتفتُ إليها أحد ولذلك انحطّت رتبة هذه الصّناعة عمّا كانت عليه وقلّ العمران مع انضمام أسباب سياسيّة ...»

محمد بيرم الخامس*، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، دار صادر بيروت، ج2 ص 127–128

* **محمد بيرم الخامس** (1834–1893) مصلح تونسي، سافر كثيرا خاصّة ابتداء من 1878 ممّا مكّنه من تحرير مُؤلّفه صفوة الاعتبار في خمسة أجزاء، استقرّ آخر حياته بمصر.

الوثيقة 2

مرتّبات الوزير مصطفى خزندار*

«... ووفرت المرتّبات على نحوٍ غير معهود في القطر حتّى صارت لِذات الوزير خزنه دار المُرتّباتُ ما بيانه في السّنة :

140.000	ريالا مُرتّبُهُ على الوزارة الأولى
60.000	ريالا مُرتّبُهُ على وزارة العمالة
60.000	ريالا مُرتّبُهُ على وزارة الخارجيّة
60.000	ريالا مُرتّبُهُ على وزارة المال
60.000	ريالا مُرتّبُهُ على نيشان آل بيت الوالي الّذي هو حامل له
380.000	الجمع

مع أنّه يصرف مصاريف غير ذلك من أموال الحكومة ...»

المصدر السابق، ج2 ، ص 23

* **مصطفى خزندار** : تولّى منصب الوزير الأكبر منذ عهد أحمد باي إلى 1870.

إضاءات

ميزانيّة الدّولة التونسيّة 1861

المداخيل : 17.5 مليون ريالا

المصاريف : 19.3 مليون ريالا

جان ڤانياج : أصول الحماية الفرنسيّة بتونس، الدّار التونسيّة للنشر 1968، ص 95

الرّيال : جَمْعُهُ ريالات وهو العملة التونسيّة، قدّرت قيمته سنة 1859 بحوالي 0.6 فرنكا فرنسيا ويتجزّأ الرّيال إلى 16 خرّوبة.

الوثيقة 3

مشروع جلب ماء زغوان إلى العاصمة

«... وأَمَرَ (أحمد باي) بعمل الاتفاق مع المهندس على يد القنصل الفرنسي ومحصَّلُهُ سبعة ملايين فرنك تُدفع للمهندس مكاتيب على آجال، والدّولة تدفع ربًا المكاتيب ستة في المائة ... الّذي نتيجته أنّ الدّولة تداينت بِربًا لتحسينٍ موهومٍ ... وأفضى إلى زيادة وهنٍ وضعفٍ ..»

أحمد بن أبي الضياف*، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدّار التونسيّة للنّشر 1989، ج 4، ص 291

* **أحمد ابن أبي الضياف** 1802–1874 كاتب ومستشار، خدم البايات بداية من 1827 ويعد من رجال الإصلاح.

الوثيقة 4

مقتطفات من المذكّرة الّتي سلّمها الأميرال الفرنسي جوريان إلى الباي سنة 1819

«... أيّها الأمير إنّ القوى الأوروبيّة المجتمعة في أكس لاشابيل* قد كلّفت فرنسا وإنڤلترا بأنْ تُقَدِّمَا باسمها جميعا تحذيرا جدّيا لإيالات المغرب حتّى تضع حدّا لما تمارسه سفنها من شغب وعنف ... إنّ هذه القوى مقرّة العزم بإصرار على إيقاف نشاط القرصنة المنافي للمصالح العامّة لكل الدول وإذا أصرّت إيالات المغرب على مواصلة ممارسة هذا النّشاط الّذي يضرّ بكل تجارة آمنة فإنّها تعرّض نفسها إلى ردّ فعلٍ تَحالُفِ قوى أوروبا ضدّها ...»

روسّو، الحوليات التّونسيّة، ص 365–366، ورد بالوثيقة المنهجيّة للسّادسة ثانوي، ص 97

* **أكس لاشابيل** : Aix La chapelle مدينة ألمانيّة بالقرب من الحدود مع هولندا وبلجيكا.

التعليمات

استخرج من الوثائق عوامل الأزمة بتونس في القرن التّاسع عشر.

الوثيقة 5

أزمة الفلاحة

«... وازداد بذلك نقصان الفلاحة حتّى كادت أن تنقطع، وبقيت الهناشر مَرْعَى السّوائم ومَبِيتَ الوحوش ... وصارت أزمّةُ الأعشار* تأتي من البلدان وأكثر الهناشر مكتوب إسمه مقرونا بلفظة «أبيض» كناية عن عدم البذر ...»

ابن أبي الضياف، المصدر السّابق، ص 162

* **أزمّة الأعشار** : دفاتر ضريبة العشر الموظّفة على زراعة الحبوب.

الوثيقة 6

وضعيّة الصّناعات

«... وأمّا صناعة الشّاشيّة فإنّها كانت هي عيال أكثر أهل الحاضرة ومنذ صنعت الشّاشيّة بالمعامل في أوروبّا رخصت، ومازال صنّاعها في تونس متمسّكين بالآلات القديمة وهي تكلّفها غالية فمازالت في تناقص إلى أن كادت أن تكون مقصورة على أهالي القطر وقليل من غيرهم وبقي من حوانيتها نحو الثّلاثين بعد أن كانت حوانيت هذه الصّناعة تبلغ نحو الألف ... وأصحاب صناعة السبابط* أفلسوا لأنّهم مازالوا متمسّكين بخياطتها على الهيئة القديمة».

محمد بيرم الخامس، المصدر السّابق، ص 127–128

* **السبابط** : مفردها سبّاط وهي عاميّة تونسيّة تعني الأحذية.

إضاءات

قُدّر المتوسط السّنوي لقيمة صادرات الشّاشيّة بين 1861 و1863 بـ 3 ملايين فرنكا ثمّ تراجع إلى 850.000 فرنكا فقط بداية من 1869 ليستقر في 250.000 فرنكا بداية من سنة 1875.

الوثيقة 7

التّجارة الخارجيّة

«... وأعلم أنّ أغلب الأهالي قد تقاصروا في هذا الميدان وقصارى الأمر أنّهم يَتّجِرُون في البضائع الّتي تنفق في البلاد الإسلاميّة باخراجها إليها وبجلب ما يروج من بضائعها في القطر مع أنّ أغلب الخارج منه والمجلوب إليه من بلاد أوروبا وكلّه منحصر في الأوروباويين إلاّ نادرا من الأهالي ثمّ أن قيمة التّجارة بين الدّاخل والخارج لا يتجاوز معدّلها الأربعين مليون فرنكا في السّنة ...

فأمّا البضائع الخارجة فهي الحبوب من قمح وشعير وفول وكذلك الزيت ... والشّاشيّة وأشياء زهيدة أمّا الداخلة فهي كثيرة ... ممّا هو محتاج إليه في الحضارة ولا وُجود له من نتائج البلاد ...»

محمد بيرم الخامس، المصدر السّابق، ص 119–120

إضاءات

أدفاق التّجارة الخارجيّة التونسيّة عن طريق ميناء حلق الوادي

(متوسط 1861–1865)

الصّادرات : 9.387.000 فرنكا منها أكثر من 50% نحو فرنسا

الواردات : 17.633.733 فرنكا منها 9.5 ملايين فرنكا من فرنسا

جان فانياج المرجع السّابق، ص 52–53

الوثيقة 8

أ– الاختلال بين مداخيل الدولة ومصاريفها

«... وذلك أنّه تعيّن من دَخْل المملكة قَدْر عظيم لفائدته وأَصْلُهُ (الدين) في كلّ سنة لاَ يَقْبَل التأخير عند حلول أجله، ومقداره أكثر من أربعة ملايين فرنك، وذلك أكثر من ثلث دخل المملكة بجميع أنواعه ... لإنّ جميعها لا يصل إلى الخمسة عشر مليونا ريالات تونس ...»

إتحاف أهل الزّمان، ج 5، ص 127.

ب– تطوّر ديون المملكة التّونسيّة في عهد محمّد الصّادق باي*

السّنة	قيمة الدين بحساب المليون فرنك
1859	12
1863	28
1870	125

خير الدين ومعاصروه، وثائق جمعها وقدّم لها الدكتور علي الشنوفي، بيت الحكمة 1990. ص 109 ومصادر أخرى.

* **محمد الصادق باي** : هو الباي الثّاني عشر، تولّى السلطة بعد وفاة محمد باي سنة 1859 وتواصل حكمه إلى 1882.

الوثيقة 9

إنشاء الكومسيون المالي 1869

«... فلمّا كثر تشكّي أرباب الديون الأجانب، من تأخّر خلاص ديونهم زاعمين أن ذلك من تقصير الدّولة في حقوقهم، ظهر لمولانا أعزه اللّه بموافقة دول أولئك الرعايا أن يفوّض إدارة المال إلى كمسيون مالي تحت رئاسة... الوزير خير الدين، مقسّم إلى قسمين، أوّلهما مركّب من عضوين تونسيين وثالث فرانساوي عارف بأحوال المال... وسُمّي هذا القسم قسم العمل ومدار خدمته على جميع الدّيون الّتي على الدولة وتحريرها ثمّ تحرير دخل الدّولة ثم توزيعه بين ضروریاتها وبين تلك الدّيون على وجه لا حيف فيه. والثّاني يتركّب من ستة أعضاء إثنان فرانساويان وإثنان إنقليزيان واثنان طليانيان، تقدمهم أرباب الديون للمناضلة* عن حقوقهم ... ويسمّى هذا القسم قسم النّظر والتصحيح.»

الإتحاف، ج 6، ص 137

* المناضلة : الدفاع.

التعليمات

- أدرس من خلال الوثائق (5–6–7) والإضاءات المصاحبة وضعيّة القطاعات الاقتصاديّة.
- أبرز بالاعتماد على الوثيقتين (8–9) انعكاس تلك الوضعيّة على التوازنات الماليّة للدولة وعلى سيادتها.

الوثيقة 10

آثار الفقر والمظالم والجوع ومرض الحمّى الخبيثة في الأهالي سنة 1867

«... وما كفى النّاس ما هُمْ عليه من الفقر المدقع والمظالم الّتي لم تُعهد إذ دهمهم الجوع والقحط المتسببان عن حبس المطر لكثرة الظلم وعن فناء الأموال الّتي تعمّر بها الأرض في الفلاحة. واشترك في العُسر حتّى أهل الحاضرة، لاتباع مكاسبهم لمكاسب أهل القطر. فأقبلت أفواج تراهم من كل حدب يَنْسَلّون متوجهين إلى الحاضرة والمدن، وما وصل إليها إلاّ القليل لِفُشُوِّ مرض الحمّى الخبيثة فيهم ... بعد أن أفنت منهم الكوليرا عددا وافرا ...»

صفوة الاعتبار، ج 2، ص 35

إضاءات

أهم الضرائب في تونس في القرن التّاسع عشر حسب عائداتها لخزينة الدولة

الضريبة	عائداتها
المجبى	تسمّى الإعانة، وهي ضريبة نقديّة شخصيّة، أقرّها محمد باي سنة 1856 وهي تسلّط على كل الذّكور البالغين باستثناء سكّان المدن الخمس الكبرى (تونس، القيروان، سوسة، المنستير وصفاقس). تساهم بأكبر قسط من مداخيل الدولة إذ فاقت عائداتها سنة 1860 7 ملايين ريالا.
القانون	أداء خاص بأشجار الزّيتون والنّخيل. قدّرت عائداته في نفس السّنة بـ2.7 مليون ريالا.
المحصولات	أداءات محليّة تضمّ المكوس بمختلف أنواعها. تمثّل موردا هاما للدولة حيث قدّرت عائداتها بـ2.7 مليون ريالا.
العُشر	ضريبة عينيّة على الحبوب، وقد قدّر مجموع قيمتها حوالي 1.2 مليون ريالا.
الرسوم الجمركيّة	أداءات على التّجارة الخارجيّة، تساوي 8% من قيمة الصادرات و3% فقط من قيمة الواردات.

التعليمات

اعتمادا على الوثيقة (عدد 10) والإضاءات المصاحبة :

- بيّن مظاهر تدهور وضع المجتمع التّونسي.
- حدّد دور سلطة البايات في تلك الوضعيّة.

الوثيقة 11

اعتماد البايات على المماليك

«... كما أنّه من الاتفاق أنّ هؤلاء الرؤساء على المجالس لم يكن فيهم أحد من أبناء المملكة ولادة ... وأوقعوا بهذا التجنف وصمة في وجه البلد ونفرة بينهم وبين أهلها ...»

الإتحاف، الجزء الخامس، ص 44

الوثيقة 12

انتفاضة 1864

«... ورام (محمد الصادق باي) أن يضاعف أداء الجباية* على الأهالي ويصيّرها 72 ريالا على الرأس عوضا عن السّتّة والثّلاثين ريالا الّتي أسّسها محمّد باشا وطلب موافقة المجلس الأكبر فامتنعوا واستبدّ هو بإمضائها مع تحذير العقلاء له فلم يلتفت إليهم ... فامتنعوا (النّاس) قاطبة وأراد غصبهم على ذلك فثار القطر كلّه ثورة واحدة لم تُعهد من قبل ... وكان متولّي أكبر الجهة الغربيّة والمُلْتف عليه أكثر قبائل الأعراب رجل يسمّى علي بن غذاهم ولازالت هذه الثّورة تسمّى ثورة علي بن غذاهم ...»

صفوة الاعتبار، ج 2، ص 24

* **أداء الجباية** : ضريبة المجبى.

التعليمات

■ بيّن من خلال الوثيقتين (11-12) طبيعة نظام حكم البايات وأبرز تأثير ذلك على علاقته بالأهالي.

النشاط الثّاني أتعرف إلى محاولات الإصلاح بتونس في القرن التّاسع عشر

الموارد

الوثيقة 13

أَمْر الدولة العثمانيّة لأحمد باي بالعمل بالتنظيمات الخيريّة*

«... وفي سنة 1256 هـ (1840 م) أمرت الدّولة العَلِيّة والي تونس بالعمل بالتنظيمات الخيريّة وقُرِئَ أمرها في موكب مشهور، وأجاب عنه أحمد باشا الوالي بالامتثال غير أنّه طلب وقتا للعمل مع مراعاة ما يلزم من التغيير بسبب عادات البلاد ...»

بيرم الخامس، صفوة الاعتبار، ج 1 ص136.

* **التنظيمات الخيريّة** : نصوص قانونيّة (خط شريف كولخانة 1839 ثمّ خط شريف هيمايون 1856) تحوي إصلاحات اعتمدتها السلطنة العثمانيّة وبعض ولاياتها وقد تضمّنت الإقرار بالمساواة بين جميع الرعايا أمام القانون والضرائب وفي الوظائف وفي الخدمة العسكريّة.

الوثيقة 14

انبهار أحمد باي بما شاهده عند زيارته لفرنسا

«... غير أن السالك في تلك الطريق (شارع الإيليزيه) ليشاهد معنى العمران وصورة التقدّم في ميادين الحضارة، ونتيجة الأمن والأمان. لا تكاد تجد موضعا معطّلا من نفع شجرة أو حرث ... يُسقى جميعها بغيوث العدل وسيوله المفعمة...»

الإتحاف، ج 4، ص 111.

إضاءات

أحمد باي : عَاشِرُ البايات الحسينيين حكم البلاد التونسيّة بين 1837 و1855 أدخل عدّة تنظيمات جديدة عسكريّة وجبائيّة وقام ببعض الإصلاحات الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

إضاءات

شهدت مصر منذ 1805 عند تولّي محمد علي باشا ولاية مصر وإلى حد 1849 سلسلة من الإصلاحات الإداريّة والعسكريّة والتعليميّة. كما شهدت في هذه الفترة بروز عدّة مفكّرين مصلحين أبرزهم رفاعة الطهطاوي، اعتبروا أنّه لا سبيل للعالم العربي الإسلامي مواجهة التحدّيات الأوروبيّة دون الأخذ بأسباب التقدّم الغربي والاقتباس منها.

التعليمات

■ بيّن باعتماد الوثيقتين 13–14 والإضاءات العوامل الخارجيّة الّتي دعت إلى إدخال إصلاحات بتونس.

الوثيقة 15

الاهتمام بالجيش

«... وأقبل الباي (أحمد) في جمع العسكر وترتيبه وتدريبه، وصرف كل عنايته لذلك، حتّى جمع جموعًا لم تنتظم لغيره من ملوك تونس».

المصدر السّابق، ص 28

الوثيقة 16

إحداث المدرسة الحربيّة بباردو

«وفي غرّة محرم من سنة 1256 هـ (الخميس 5 مارس 1840 م) رتّب الباي مكتبا حربيا بباردو وجعله في صرايته الّتي انتقل منها إلى قصره الجديد، لتعليم ما يلزم العسكر النّظامي من العلوم كالهندسة والمساحة والحساب وغيرها، ولتعليم اللّغة الفرانساويّة لأنّ أكثر كتبها مدوّنة بهذه اللّغة. ورئيسه العالم الماهر آلاي كالي قارس من أعيان إيطاليا ...»

الاتحاف، ج 4، ص 41

الوثيقة 17

عتق الرقيق

«وفي محرّم 1262هـ (جانفي 1846 م) صدر أمْر من الباي من سائر مملكته بعتق المماليك السودان ... ولم يأمر بذلك دفعة بل تدرّج إلى الوصول إليه. فأمر في رجب 1257 هـ (1841م) بمنع بيع الرقيق في السّوق ... ثمّ منع خروج المماليك من العمالة للتّجارة فيهم ... وفي سنة 1258 هـ (1842م) صدر أمره بأن المولود في المملكة التونسيّة حرّ لا يباع ولا يشترى ...»

المصدر السّابق، ص 97–98

الوثيقة 18

مقتطفات من عهد الأمان الصادر في 10 سبتمبر 1857

«... وهذا القانون السّياسي يستدعي زمنا لتحرير ترتيبه وتدوينه وتهذيبه ... وتأسيسه على قواعد :

الأولى : تأكيد الأمان لسائر رعيتنا وسكان إيالتنا على اختلاف الأديان والألسنة والألوان، في أبدانهم المكرمة وأموالهم المحرّمة وأعراضهم المحترمة ...

الثّانية : تساوي النّاس في أصل قانون الأداء المرتّب أو ما يترتّب ...

الثّالثة : التسويّة بين المسلم وغيره من سكّان الإيالة في استحقاق الإنصاف لأن استحقاقه لذلك بوصف الإنسانيّة لا بغيْره من الأوصاف.

الرّابعة : إنّ الذمّي من رعيتنا لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع من إجراء ما يلزم ديانته.

الخامسة : ... لا نأخذ العسكر إلاّ بتدبير وقرعة ولا يبقى العسكري في الخدمة أكثر من مدّة معلومة.

السّادسة : إنّ مجلس النّظر في الجنايات، إذا كان الحكم فيه بعقوبة على أحد من أهل الذمة يلزم أن يحضره من نُعيّنُهُ من كبرائهم.

السّابعة : إنّنا نجعل مجلسا للتّجارة برئيس وكاتب وأعضاء من رعايا أحبابنا الدول للنظر في نوازل التّجارات...

الثّامنة : إن سائر رعيّتنا من المسلمين وغيرهم، لهم المساواة في الأمور العرفيّة والقوانين الحكميّة.

التّاسعة : تسريح المتجر من اختصاص أحد به بل يكون مباحا لكلّ أحد ..

العاشرة : إنّ الوافدين على إيالتنا لهم أن يحترفوا سائر الصنائع والخدم ...

الحادية عشر : إنّ الوافدين على إيالتنا من سائر الدول لهم أن يشتروا سائر ما يُملك من الدور والأجنّة والأرضين مثل سائر أهل البلاد ...»

الاتحاف، ج 4. ص 130–131–132–133

الوثيقة 19

إعلان الدستور

«... وفي يوم الإثنين الثّاني عشر من جمادى الثّانية 1277 هـ (24 ديسمبر 1860م)، في موكب مشهود شهده نواب أحبابنا الدول وأعضاء المجالس وأعيان العساكر والحاضرة ... وابتداء العمل به الجمعة 26 أفريل 1861 ... فأوّل حقوق الرعيّة على اختلاف الأديان التّسويّة في الأمن على النفس والمال والعرض إلاّ بحق. وثانيها التسويّة بين سائر الرعيّة في مجالس الحكم ... وثالثها أن أعضاء مجالس الاحكام لا يعزل أحد منهم إلاّ لذنب يقتضي عزله في المجلس. ورابعها أن سائر الرعايا لهم الحق في التصرّف في أنفسهم ... وخامسها تحديد عقوبة كل جناية ... وسابعها أن كل واحد من رعيتنا له الحق في سائر منافع الوطن والدولة من الخطط والخِدَم على أنواعها ... وتاسعها أن كل واحد من رعايانا لا يُحْكم عليه ... إلاّ في المجالس المنتصبة للحكم ... وعاشرها أن المتاجر مسرّحة لكل واحد من رعايانا ...

وهذا القانون أعظم ما أسس في مملكتنا للنفع الخاصّ والعام، فلا بدّ له من ضامن يحميه ... فركّبنا لحمايته مجلسا سمّيناه المجلس الأكبر، أعضاؤه ستون ثلثاهم من أعيان أهل المملكة والثلث من رجال الدولة ... وهو الحارس والحامي للقانون وحقوق الملك وسائر حقوق السكّان، وصالح المملكة على اختلاف الأنواع من ضبط الدخل والخرج ... ومحاسبة الوزراء ... أو إبدال قانون ولو بأصلح منه ... وجعلنا في بلدان المملكة ... مجالس للجنايات.»

الاتحاف، ج 5. ص 59–60–61–62–63

الوثيقة 20

تنظيم الإدارة من طرف خير الدين عند توليه الوزارة الكبرى

«... ومنها إنشاء ترتيب لكيفيّة أعمال العمّال في مواصلتهم مع الحكومة وضبط مكاتيبهم وأحكامهم في دفاتر لتكون حجة فيما يُراد الرجوع إليه ... وأمّا ما يرجع لتحسين ماليّة الحكومة والأهالي فقد شدّد النكير على العمّال وسائر المتوظّفين وحصر أوجه الدخل والخرج وبناها على ميزان سنوي ... وضبط كيفيّة القبض من الرعايا بأن كل من يدفع ما عليه من المال المعيّن ... يأخذ بيده حجّة.»

صفوة الاعتبار، ج 2، ص 69

الوثيقة 21

إعفاء السكّان من دفع ما تخلّد بذمّتهم للدولة (1870)

«... ومنها إسقاط جميع البقايا الباقية على الأهالي من مداخيل الحكومة على إختلاف أنواعها ممّا سبق تاريخه سنة 1286 هـ (1870 م) الّذي هو مبدأ مباشرته (خير الدين) للوظيفة وانبعثت بذلك آمال الأهالي إلى تعمير الأرض ...»

نفس المصدر، ص 61–62

الوثيقة 22

تأسيس المدرسة الصادقيّة في عهد خير الدين (1875)

«... ومنه إنشاء المدرسة الصادقيّة لتعليم مبادىء الفنون الشرعيّة كالقراءة والكتابة والقرآن والعقائد والفقه والنحو والصرف والأدب والتّاريخ والخط ... وتعليم اللّغات التركيّة والفرانساويّة والطليانيّة وتعليم الفنون الرياضيّة كالحساب والهندسة والجبر والجغرافيا والفلك ورتّب لها معلمين لكل فن، وجعلها تقبل 150 تلميذا من جميع أبناء القطر المسلمين ... وأوقف عليها من أملاك الحكومة أوقافا لها بال يزيد دخلها السنوي على 250.000 ريالا ...»

صفوة الاعتبار، ج 2، ص 66

إضاءات

خير الدّين باشا

ولد سنة 1822 في منطقة القوقاز، بِيعَ لأحمد باي سنة 1839. تولّى عدّة مناصب عسكريّة وسياسيّة إذ ترأّس المجلس الأكبر عند إحداثه سنة 1861. كما عيّن رئيسا للكومسيون المالي سنة 1869،و وزيرا مباشرا إلى جانب الوزير الأكبر سنة 1870 ثمّ خلف مصطفى خزندار على رأس الوزارة الكبرى سنة 1873 وبقي بهذا المنصب إلى غاية 1877. عُرف بمواقفه الإصلاحيّة الّتي ضمّنها كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك الّذي صدر سنة 1867.

ومن أهمّ أعماله مدّة تولّيه الوزارة :

- تنظيم الجهاز الإداري
- إصلاح القضاء
- وضع ترتيبات لدفع الفلاحة والاقتصاد
- تنظيم الأداءات
- إصلاح التّعليم

التعليمات

- حدّد من خلال الوثائق (من 15 إلى 22) والإضاءات مجالات الإصلاح وبيّن محتوى هذه الإصلاحات.
- بالنّظر إلى ما تبيّنته من استفحال أزمة البلاد التّونسيّة، هل يمكن لهذه الإصلاحات أن تضع حدّا لذلك التّدهور وأن تمنع التّدخّل الأجنبي ؟

أستخلص

المقدمة :

تدرجت أوضاع لإيالة التونسيّة منذ وفاة حمودة باشا سنة 1814 نحو التدهور الّذي تحول إلى أزمة شاملة تزامنت مع استفحال التسرّب الاقتصادي الأوروبي وقد حاول بعض البايات والمصلحين الحد من ذلك بالقيام بمجموعة من الاصلاحات. فما هي مظاهر هذه الأزمة ؟ وفيم تمثّلت أبرز محاولات الإصلاح ؟

I – أزمة حادّة وشاملة :

1 ـ أزمة اقتصاديّة وماليّة خانقة :

أ– **عوامل الأزمة** : تفاعلت عديد العوامل لتفرز أزمة اقتصاديّة وماليّة عميقة وشاملة :

* بقاء الاقتصاد التونسي اقتصادا تقليديا في هياكل إنتاجه ووسائله [1–6] و لم يساير التّطورات الاقتصاديّة في أوروبا.
* تقلّص الموارد الخارجيّة للدولة نتيجة تغيّر الظرفيّة الخارجيّة وانقلاب موازين القوى لفائدة القوى الأوروبيّة الّتي نجحت في فرض إيقاف نشاط القرصنة [4] وإلغاء الرق وعقد اتفاقيات تجاريّة غير متكافئة مع الإيالة التّونسيّة ممّا مكّن الاجانب من عديد الامتيازات وسيطرتهم على مسالك التصدير.
* عوامل سياسيّة متمثّلة في فساد الجهاز الإداري والجبائي ممّا أتاح الفرصة للوزراء والموظّفين للإثراء [2] وأثقل كاهل الفلاّحين والحرفيين والتّجار التّونسيين بضرائب متنوّعة، بالإضافة إلى إسراف الاسرة الحاكمة والمماليك وإقدام البايات على إنجازات مكلفة وغير مجدية [3] ودون مراعاة لإمكانيات البلاد مثل جلب مياه زغوان إلى العاصمة وبناء قصر المحمديّة وشراء تجهيزات حربيّة ...

ب– **مظاهر الأزمة : شملت الأزمة مختلف القطاعات الاقتصاديّة** :

* أزمة الفلاحة : [5] تتبيّن هذه الأزمة من خلال تقلّص المساحات المزروعة وتدهور الإنتاج لذلك شهدت البلاد مجاعات في بعض السّنوات علما وأنّ الفلاحة تعدّ أهم قطاع اقتصادي وأهم نشاط للسكّان لذلك سيكون لأزمة هذا القطاع تأثير على بقيّة الأنشطة.
* أزمة الحرف : لم تَقْدر الصناعات الحرفية التونسيّة على الصمود أمام منافسة المصنوعات الأوروبيّة [6] الّتي تفوقها جودة وتقل عنها سعرا. ولعل أوضح مثال على ذلك صناعة الشاشيّة الّتي أزاحتها صناعة الشاشيّة في أوروبا من الأسواق الخارجيّة بما في ذلك أسواق المشرق الإسلامي فتراجع نتيجة لذلك عدد المشتغلين بها.
* أزمة التّجارة : شملت هذه الأزمة كل من التجارة الداخليّة والمبادلات الخارجيّة.

فبالنسبة للتجارة الدّاخليّة فقد شهدت ركودا يعود إلى ضيق السّوق الداخليّة نتيجة فقر السكان وفرض ضريبة المحصولات بالاضافة إلى انعدام الأمن بالطرقات إبّان الانتفاضات.

أمّا التّجارة الخارجيّة [7] فتتمثّل أزمتها في سيطرة التّجار الأوروبيين على مبادلاتها، وهيمنة التّجارة الخاسرة مع أوروبا إذ أنّ أكثر من 10/9 المبادلات تتمّ مع ثلاث قوى أوروبيّة وهي فرنسا، ايطاليا وإنقلترا وانجرّ عن ذلك عجز الميزان التّجاري خصوصا بعد أن انحصرت الصادرات تقريبا في منتوج وحيد وهو زيت الزيتون.

* الأزمة الماليّة : إفلاس الدولة وخضوع البلاد للهيمنة الماليّة الأجنبيّة :

أمام تفاقم الاختلال في ميزانيّة الدولة نتيجة تقلّص الموارد الخارجيّة لجأ الباي إلى الترفيع في قيمة الضرائب مع إحداث ضرائب جديدة كما لجأ إلى تخفيض قيمة عملة الريال، لكن أمام استفحال هذا الخلل اعتمد سياسة التداين سواء **المقنّع (غير المباشر)** المتمثّل في السّلم وهو عبارة عن بيع الدولة لزيت الزيتون للتجار قبل الانتاج أو

الاقتراض المباشر [8] بداية من 1862 من التجار والمرابين الأوروبيين المقيمين بتونس ومن البنوك الأوروبيّة مثل بنك أرلنجي Erlanger الفرنسي دون أن تعود هذه القروض بأيّة فائدة على البلاد بل أنّها مهّدت لهيمنة القوى الأوروبيّة على ماليّة الدولة من خلال إحداث اللّجنة الماليّة الدّوليّة أو الكومسيون المالي [9] للتحكم في الخزينة التّونسيّة وضمان مصالح الدائنين الأوروبيين بعد أن تحققت هذه القوى من إفلاس البلاد وعدم قدرتها على تسديد ديونها.

2ـ الأزمة الاجتماعيّة : من المظاهر الأساسيّة لأزمة المجتمع التونسي نذكر : [10]

* انتشار الفقر والبؤس بسبب إثقال كاهل السكّان بضرائب متعدّدة ممّا أدّى إلى تفقير المنتجين والتجار خصوصا في ظلّ غياب الرّقابة على تجاوزات القياد واللزّامة.
* الانهيار الديمغرافي بسبب تواتر المجاعات مثلما حصل سنتي 1849 و1856 والأوبئة مثل وباء الكوليرا سنة 1867 بالإضافة إلى مخلفات القمع الشديد للانتفاضات مثل انتفاضة القبائل سنة 1864 لكل ذلك بقي عدد سكان البلاد في حدود مليون ساكن.

3ـ الأزمة السياسيّة : القطيعة بين الدولة والمجتمع

حافظ نظام البايات على طابعه التقليدي واعتمد على المماليك الّذين سيطروا على أهم المناصب [11] العسكريّة والسياسيّة مثل مصطفى خزندار، في حين تمّ إستبعاد الأهالي بما في ذلك الأعيان. وقد استغلّ هؤلاء المماليك مناصبهم للاثراء على حساب السكّان والبلاد، كل ذلك أوجد قطيعة بين السلطة والأهالي احتدّت في عهد محمد الصادق باي (1859–1882) بسبب سياسته الجبائيّة المجحفة مثلما حصل سنة 1864 عندما اندلعت الانتفاضة الكبرى بقيادة علي بن غذاهم [12] الّتي أعلنتها القبائل وشاركت فيها منطقة الساحل على إثر قرار مضاعفة ضريبة المجبى. وقد واجه البايليك هذه الانتفاضة بقمع وتنكيل شديدين ممّا زاد في تفاقم أزمة البلاد.

كما تجلّت الأزمة السياسيّة من خلال تزايد تدخّل قناصل الدول الأوروبيّة – خاصّة فرنسا، إنقلترا وإيطاليا – في شؤون الإيالة عبر الضغط على الباي لاتخاذ إجراءات تخدم مصالح دولهم ورعاياها بتونس.

أمام هذه الأزمة الشّاملة وتزايد التدخّل الأجنبي تعدّدت محاولات الإصلاح بتونس.

II – محاولات الإصلاح

انطلقت هذه المحاولات في عهد أحمد باي (1837–1855) ثمّ تواصلت في عهد محمد باي (1855–1859) ومن بعده محمد الصادق باي (1859–1882) وقد التقت مجموعة من الدوافع لتفسير هذه المحاولات فإلى جانب محاولة مواجهة تزايد التحدّيات الأوروبيّة خصوصا بعد نجاح فرنسا في احتلال الجزائر المجاورة سنة 1830 نجد عوامل أخرى من بينها الاصلاحات الّتي شهدتها الدولة العثمانيّة [13] وطلبت من ولاياتها تطبيقها، علاوة على التأثر باصلاحات محمد علي باشا في مصر وتأثير زيارة أحمد باي سنة 1846 إلى فرنسا [14] الّتي إطّلع خلالها على مظاهر التقدّم الغربي إضافة إلى وجود نخبة من المصلحين في جهاز الدولة مثل خير الدين باشا وأحمد بن أبي الضياف ومحمد بيرم الخامس متأثرة بالمبادئ التحرريّة لعصر الأنوار وبروّاد الفكر الإصلاحي في المشرق مثل الطهطاوي وقد دعت هذه النخبة بل وساهمت في مشروع الإصلاح لانتشال البلاد من أزمتها.

1ـ إصلاحات أحمد باي : إصلاحات عسكريّة واجتماعيّة

أ– الإصلاحات العسكريّة :

* سعى أحمد باي إلى تكوين جيش نظامي عصري قادر على حماية البلاد من التهديدات الخارجيّة، فأعاد تنظيم الجيش التّونسي [15] مستعينا ببعض الضباط الفرنسيين، كما عمل على تعصير تسليح الجيش عن طريق استيراد معدّات حربيّة من فرنسا وايطاليا كالسّفن والمدافع وتركيز بعض الصناعات المحليّة كمصنع البارود (الذّخيرة) ومصنع المَلْف (الملابس) بتونس.
* ركّز أحمد باي المدرسة الحربيّة بباردو سنة 1840 [16] بهدف تكوين ضباط لتأطير الجيش، كما جلب خبراء فرنسيين وإيطاليين للتدريس بها. ويمكن اعتبار هذه المدرسة أوّل نواة للتعليم العصري بالبلاد لما كانت تدرسه من علوم ولغات أجنبيّة.

غير أنّ هذه الاصلاحات قد باءت بالفشل وحمّلت ميزانيّة الدولة أموالا طائلة فلم تمكّن من بروز جيش حديث يحفظ سيادة البلاد وكانت من أسباب الأزمة الماليّة.

ب– الإصلاحات الاجتماعيّة :

تمثّلت أساسا في إلغاء الرّق [17] تدريجيا بين 1840 و1846 حيث منع سنة 1841 بيع العبيد إلى الخارج ثمّ منع جلب العبيد إلى تونس ليُتَوّج ذلك بمنع بيع العبيد في الأسواق التونسيّة وعتقهم فسبق بذلك عديد الدول بما فيها فرنسا الّتي لم تلغ الرّق في مستعمراتها إلاّ سنة 1848.

2ـ إصلاحات محمد باي ومحمد الصادق باي : إصلاحات سياسيّة

تمحورت الاصلاحات السياسيّة حول إصلاح نظام الحكم وتمّ ذلك في ظرفيّة اتّسمت بضغوط أوروبيّة على البايات للقيام باجراءات تحرريّة تَزامَنت مع الإصلاحات السياسيّة الّتي طبقتها الدولة العثمانيّة بدءًا بخط شريف هيمايون سنة 1856 من طرف السلطان عبد المجيد وصولا إلى إعلان الدستور سنة 1876 من قبل السلطان عبدالحميد الثّاني.

أ– عهد الأمان 1857 :

وهو قانون أعلنه محمد باي في 9 سبتمبر 1857 [18] وتضمن إحدى عشر مادة احتوت مجموعة من الحقوق والمبادئ السياسيّة والاجتماعيّة :

– مبدأ المساواة بين سكان الإيالة أمام القانون وفي دفع الضّرائب
– تأمين سكان المملكة على ممتلكاتهم
– حريّة ممارسة الشعائر الدينيّة
– حريّة التّجارة للأجانب والسّماح لهم بامتلاك الأراضي
– إحداث مجلس تجاري مختلط للنّظر في القضايا التجاريّة

ب– إصدار أوّل دستور تونسي 1861 :

أعلن عنه محمد الصادق باي في جانفي1861 وبدأ العمل به في أفريل من نفس السنة وهو يُعَدُّ أول دستور في العالم العربي الإسلامي وقد تضمّن 114 فصلا ضبطت حقوق وواجبات العائلة المالكة والوزراء والموظفين والرعايا والأجانب المقيمين بتونس [19].

* السلطة التنفيذيّة من مشمولات الباي الّذي جُرِد من التصرّف في أموال الدولة كما أصبح مسؤولا أمام المجلس الأكبر.
* جَعَل الدستور السلطة التشريعيّة مشتركة بين الباي والمجلس الأكبر الّذي يتألّف من 60 عضوا ثلثهم من رجال الدولة والثلثين من أعيان البلاد. ويتولّى هذا المجلس مراقبة الوزراء والباي ومحاسبتهم والنّظر في الميزانيّة.
* السلطة القضائيّة لم تعد من مشمولات الباي ونظّمت في إطار عشر محاكم ابتدائيّة بالمدن الكبرى ومجلس التحقيق (محكمة إستئناف) بالعاصمة وأوكلت مهام محكمة التعقيب إلى المجلس الأكبر.

لئن قلّص دستور 1861 الحكم المطلق للبايات فإنّه لم يُرْسِ نظاما تحرّريا إذ أنّ أعضاء المجلس الأكبر لم يكونوا منتخبين وسيطر على هذه المؤسسة الوزير مصطفى خزندار وأعوانه بالإضافة إلى أنّ محمد الصادق باي سرعان ما اغتنم اندلاع انتفاضة 1864 ليوقف العمل بالدستور.

3ـ إصلاحات الوزير خير الدين 1873ـ1877 : إصلاحات شاملة وآخر محاولة لإنقاذ الوضع

تولّى خير الدّين مهام الوزير الأكبر في اكتوبر 1873 أي في ظرفيّة حرجة نتيجة استفحال الأزمة وتنامي الأخطار الخارجيّة فعمل على تطبيق البعض من أفكاره الإصلاحيّة الّتي ضَمّنها كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، ومن أهم الإصلاحات :

* الإصلاحات الاداريّة [20] : بادر خير الدين منذ توليه لمنصبه سنة 1873 بتنظيم الادارة المركزيّة والجهويّة بهدف القضاء على مظاهر الفساد الّتي ميّزت عهد سلفه مصطفى خزندار ففرض تراتيب لمراقبة القياد والموظفين واعتمد في الإدارة على مجموعة من المصلحين بعضهم من خريجي المدرسة الحربيّة بباردو.
* إصلاح القضاء من خلال بعث مجالس شرعيّة في الجهات بهدف تقريب القضاء إلى السكّان والتعجيل في فصل القضايا. كما أحدث باتفاق مع الدول الأوروبيّة مجلسا عدليا مختلطا لفصل القضايا الماليّة بين التونسيين والأوروبيين.
* تخفيف العبء الجبائي على الأهالي [21] عن طريق إعفاء السكّان من دفع الضرائب المتخلّدة بذمتهم قبل توليه لمنصبه علاوة على التخفيض من الأداءات الموظفة على الإنتاج الفلاحي مثل العشر والقانون وإسقاط هذا الأداء على الغراسات الجديدة بالإضافة إلى التخفيض من الأداءات الجمركيّة وإصدار قانون ينظّم العلاقة بين العملة الحرفيين وأعرافهم وبين المزارعين الخمّاسة وأصحاب الأرض. كل هذه الاجراءات حفّزت المنتجين (فلاحين وحرفيين) والتجار على استئناف نشاطهم فشهد الاقتصاد التّونسي انتعاشة نسبيّة.
* إصلاح التعليم : اعتبر خير الدين أن إصلاح أوضاع البلاد وتحديث الدولة رهين إصلاح التعليم وتعصيره من حيث برامجه ومناهجه لذلك قام في 1875 بتأسيس المدرسة الصادقيّة [22] التي أدمجت في برامجها العلوم الصحيحة والعلوم الإنسانيّة فضلا عن اللّغات الأجنبيّة لتمكين التلاميذ من الاطلاع على الحضارة الأوروبيّة وقد تخرج من هذه المؤسسة نخبة من المصلحين. كما قام بتحسين ظروف التعليم الزيتوني.

غير أنّ هذه التجربة الإصلاحيّة لم تصمد طويلا أمام القوى الرافضة للإصلاح والمتضررة منه ممّا دفع بخير الدين إلى الاستقالة سنة 1877 ومغادرة البلاد.

الخاتمة

هكذا كان القرن التّاسع عشر وخاصّة النّصف الثّاني منه فترة عصيبة في تاريخ الإيالة التّونسيّة على جميع المستويات وزاد فشل الإصلاحات من تفاقم الوضع خصوصا مع تزايد التغلغل الاقتصادي والمالي الأوروبي بحيث أصبح وقوع البلاد تحت الاحتلال الأجنبي بعد استقالة خير الدّين مسألة وقت ليس إلاّ.

الدرس الثامن انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس وردود الفعل الأولى

المدخل

أمضى الباي محمد الصادق على معاهدة الحماية في 12 ماي 1881 الّتي مثّلت خطوة حاسمة في احتلال فرنسا لتونس. سأتعرّف إلى الخطّة الّتي أعدّتها فرنسا لهذا الاحتلال وأتبيّن ردود الفعل الأولى للتونسيين إزاءه.

النشاط الأول أتعرّف كيف هيّأت فرنسا لاحتلال تونس

الموارد

الوثيقة : 1

موقف إنقلترا في مؤتمر برلين 1878 من سيطرة فرنسا على تونس

«... فإنّ اللّورد صلسبري الّذي كان وزير الخارجيّة (انقلترا) عند عقد مؤتمر برلين، لمّا شاحنه وزير فرانسا على استيلاء انقلترا على قبرص* أجابه بأنّه لا يعارض فرانسا إذا أرادت الاستيلاء على تونس ... فرأت انقلترا أنّ مساعدة فرانسا على تونس تلائمها في مقصدها هي في مصر ...»

صفوة الاعتبار، ج 2. دار صادر، ص 132.

* قبرص : جزيرة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط قبالة سواحل لبنان، استولت عليها انقلترا سنة 1878 بعد أن كانت تابعة للدولة العثمانيّة.

إضاءات

مؤتمر برلين

انعقد هذا المؤتمر في برلين بين 13 جوان و13 جويلية 1878 برئاسة مستشار ألمانيا بسمارك. وشاركت فيه القوى الأوروبيّة الرئيسيّة بهدف النظر في مسألة البلقان. كما تمّ التطرّق على هامش المؤتمر بين وزراء الخارجيّة الدول المشاركة إلى المسألة التونسيّة

الوثيقة : 2

من خطاب بيسمارك *

«إنّني مقتنع أنّ بلدا عظيما مثل فرنسا في حاجة إلى نيل ترضيات في سياسته الخارجيّة، وبما أنّني – مع الأسف – لا يمكنني أن أعطيكم إيّاها على أرض الألزاس واللوران، فإنّني أرغب في أن أساعدكم على التوسّع في كل مكان لا تتعارض فيه المَصْلَحَة الألمانيّة مع المصلحة الفرنسيّة ... ذلك هو سرّ الإرادة الطيبة الّتي أبديتها نحوكم فيما يتعلّق بتونس ...»

أورده جان ڤانياج في أصول الحماية الفرنسيّة بتونس، الدار التونسيّة للنشر، 1968. ص 411.

* بيسمارك : مستشار ألمانيا آنذاك.

الوثيقة : 3

بيسمارك يخاطب الفرنسيين في جانفي 1879

«أعتقد أنّ الإجاصة التونسيّة قد نضجت وقد حان الوقت لتقطفونها ... وقد تُتْلَفُ أو يسرقها غيركم إذا ما تركتموها مدّة طويلة في أصل الشّجرة ...»

ورد بنفس المرجع، ص 439.

إضاءات

مؤتمر برلين

«في كل الحالات كان مصير تونس الوقوع تحت السيّطرة الفرنسيّة أو الإيطاليّة ... وقد استوجب المصالح الاستراتيجيّة لانڤلترا في البحر المتوسط تفضيل سيطرة فرنسا على تونس حتّى تحول دون تحكّم إيطاليا في ضفتي مضيق صقليّة مع ما يمثّله ذلك من تهديد لطريق السويس الحيوي جدا للامبراطوريّة البريطانيّة ...»

التعليمات

اعتمادا على الوثائق (1 – 2 – 3) والإضاءات

- بيّن موقف كل من انڤلترا وألمانيا من مسألة احتلال فرنسا لتونس.
- أبرز دواعي الموقفين.

الوثيقة : 4

تعليمات من وزير خارجيّة فرنسا وديبغتون إلى سفير بلاده في روما في أكتوبر 1878

«لا يمكن للحكومة الفرنسيّة أن تتجاهل كل ما يحصل بتونس ... وهي الّتي تعتبر منذ زمن الإيالة مصيرها أن تدور في فلك المصالح الفرنسيّة وينبغي أن تخضع لنفوذنا .. لن نسمح لأيّة قوّة أخرى أن تتركّز بالإيالة وسنجد أنفسنا مضطرين للتصدّي لذلك بقوّة السّلاح. وأنّه من الضروري أن تتيقّن الحكومة الإيطاليّة أنّه لا يمكن لإيطاليا مجرّد الحلم باحتلال تونس دون أن تواجه معارضة من فرنسا ودون أن تخاطر بحرب معها ...»

جان ڤانياج، أصول الحماية الفرنسيّة بتونس، ص 430–431.

إضاءات

أمثلة من التنافس الاقتصادي الفرنسي الإيطالي بتونس بعد مؤتمر برلين وقبيل انتصاب الحماية الفرنسيّة 1881

- حصلت شركة روباطينو الإيطاليّة في جويلية 1880 على الخط الحديدي تونس – حلق الوادي – المرسى على إثر مزاد علني حساب الشركة الفرنسيّة «بون ڤالمة».
- حصلت شركة بون ڤالمة الفرنسيّة سنة 1880 على امتياز مد الخطوط الحديديّة بالبلاد التونسيّة.
- حصلت شركة باتينيول الفرنسيّة في نفس السّنة على امتياز حفر ميناء بتونس العاصمة.
- اشترت شركة مرسيليا للقرض عن طريق فرعها بتونس هنشيري سيدي ثابت والنفيضة.

التعليمات

انحصر التّنافس الاستعماري على تونس بعد مؤتمر برلين بين فرنسا وإيطاليا :

- بيّن باعتماد الوثيقة (عدد 4) والإضاءات مظاهر هذا الصراع.
- وضّح كيف هيّأ لاحتلال فرنسا البلاد للتونسيّة.

الوثيقة : 5

استغلال الأحداث الحدوديّة لتنفيذ خطّة الاحتلال

«عَبَرتْ عسكر فرانسا حدود تونس معلنة بأنّها تريد تأديب قبيلة خمير من أعراب الجبال الشماليّة عند حدود الجزائر و لم يتعرّض لها أحد بالمصادمة ...»

صفوة الاعتبار، ج 2، ص 134.

الوثيقة : 6

حقيقة الحملة على تونس

«نحن الآن نعلم – أكثر ممّا يلزم – أنّ غارات الخمير* لم تكن سوى تعلّة، وأنّ غزو ممالك الباي كان مقرّرا منذ أمد بعيد. وقد ظهر أنّ السيّد جول فيرّي** كان يكذب عندما أعلن من فوق المنبر أنّ الحكومة ستكتفي بمعاقبة بعض القبائل المتمرّدة ... وفيمَ تمثّلت دوافع الحملة الّتي خاضها هذا العَوْن*** ؟ لقد كانت دوافع مصالحه الشخصيّة ومصالح الشركات الماليّة الّتي ينوبها ...»

من مقال بلوبوتي باريزيان Le petit Parisien ، 1881/9/29 أورده علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس، سراس للنشر 1986. ص 168-169.

* خمير : قبيلة تونسيّة تسكن أقصى الشمال الغربي على الحدود مع الجزائر.
** جول فيرّي : رئيس الحكومة الفرنسيّة آنذاك وأحد أنصار التوسّع الاستعماري.
*** المقصود بالعون قنصل فرنسا بتونس روسطان.

الوثيقة : 7

«... قدم الفرانساويون على تبوّء تونس ... وراء ذلك أمر مهم جدًّا لفرنسا وهو طمعها في إحداث مملكة عظيمة في افريقيا مثل ما للإنڤليز في الهند فتريد أن تمتدّ من الجزائر إلى ما جاورها شيئا فشيئا إلى أن تصل إلى دواخل افريقيا وتصل بين شاطىء افريقيا الغربي في سانيغال* والشرقي في الجزائر وتونس.»

محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار، دار صادر، ج 2. ص 138.

* سانيغال : السنغال.

التعليمات

باعتماد الوثائق (5 و6 و7).

- أذكر الذّريعة الّتي برّرت بها الحكومة الفرنسيّة حملتها على تونس في أفريل 1881.
- ما هي الأسباب الحقيقيّة لتلك الحملة.

الوثيقة : 8

إحتلال تونس

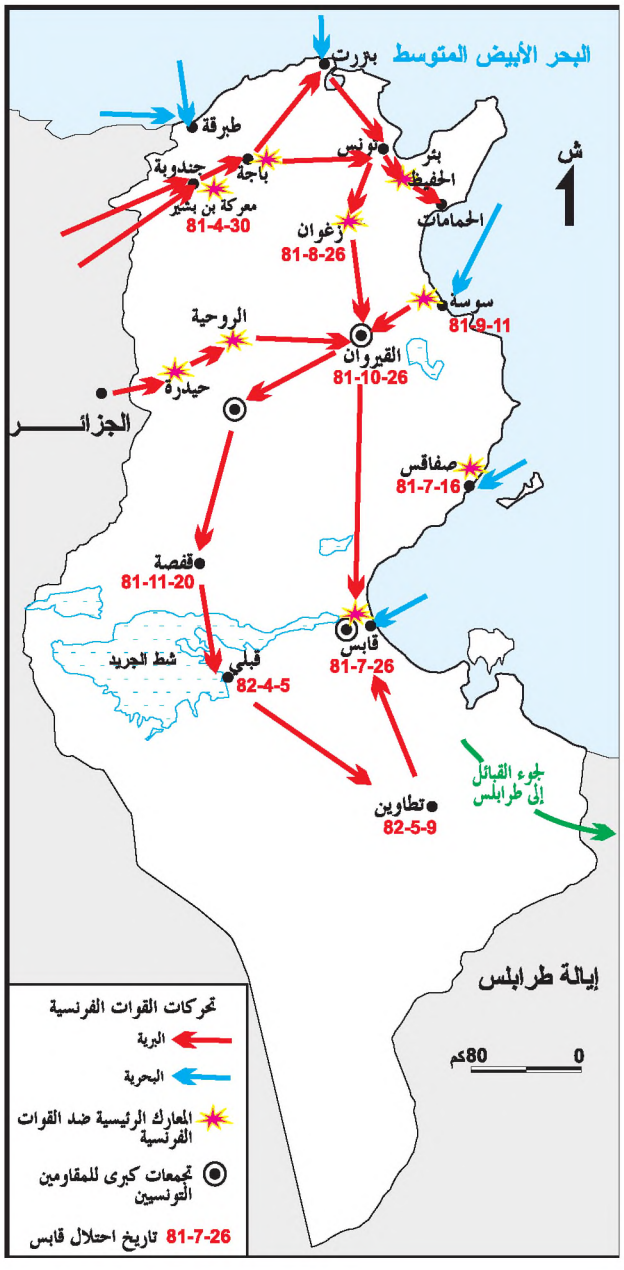

التعليمات

باعتماد الخريطة :

- حدّد المنطقة الّتي ركّزت عليها القوات الفرنسيّة حملاتها الأولى.
- بيّن كم تطلّب احتلال كامل البلاد التونسيّة من وقت.

النشاط الثاني

أدرس معاهدة باردو واتفاقيّة المرسى لأفهم كيف تطوّر نظام الحماية نحو حكم مباشر

الموارد

الوثيقة 9

معاهدة باردو

«نسخة من الشروط الواقعة بين الدولة الفرنساويّة
وبين الدولة التونسيّة المؤرّخة في 12 ماية 1881 نصّها :

الحمد لله،
أمّا بعد فإنّه لما كان مراد الدولة الجمهوريّة الفرنساويّة والدولة التونسيّة منع إعادة الإضطراب الّذي وقع في المدّة الأخيرة بحدود الدولتين وبشطوط المملكة التونسيّة وإبطال ذلك على الأبد وتشديد علائق المحبّة القديمة وحسن الجوار عزما على عقد اتفاق للغرض المذكور ولمصلحة المتعاقدين ولذلك عيّن رئيس الجمهوريّة الفرنساويّة الجنرال بريار وفوّض له الأمر فاتفق مع رفيع الشأن حضرة باي تونس على الشروط الآتية :

الفصل الأوّل :
إنّ معاهدات الصلح والمودّة والتجارة وجميع الاتفاقات الأخرى الموجودة الآن بين دولة الجمهوريّة الفرنساويّة وحضرة رفيع الشأن باي تونس تجدد وتؤكد بوجه صريح.

الفصل الثّاني :
ولتسهيل إتمام الأعمال الّتي قصدت بها دولة الجمهوريّة الفرنساويّة بلوغ الغرض الّذي عزم عليه المتعاقدان رضيت حضرة رفيع الشأن باي تونس بأن السّلطة العسكريّة الفرنساويّة تتبوأ الجهات الّتي ترى لزومها لتوطيد الأمن والرّاحة بالحدود والشطوط وترحل عنها عندما يتبيّن للسلط الحربيّة الفرنساويّة والتونسيّة معا أن الادارة المحليّة قاضية بحفظ الرّاحة على الاستمرار.

الفصل الثّالث :
قد التزمت دولة الجمهوريّة الفرنساويّة بأن تعين وتعضد على الدوام حضرة رفيع الشأن باي تونس لمنع جميع الأخطار الّتي تهدد ذاته وآل بيته أو الّتي تكدّر راحة عَمَالته.

الفصل الرّابع :
وتكلفت دولة الجمهوريّة الفرنساويّة بإجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة الإيالة والدّول الأوروبيّة.

الفصل الخامس :
ينوب عن دولة الجمهوريّة الفرنساوية لدى حضرة رفيع الشأن باي تونس وزير مقيم يراقب إجراء ما تضمنه هذا السجل ويكون واسطة في علائق الدولة الفرنساويّة مع السلط التونسيّة في جميع الأمور المشتركة بين البلادين.

الفصل السّادس :
نواب فرنسا الدوليّة والقنصليّة بالبلدان الأجنبيّة يكلفون بحماية مصالح تونس ورعاياها. والتزمت حضرة رفيع الشأن باي تونس بأن لا تعقد أدنى عقد يفهم منه التعاقد مع أجنبي بغير أن تعلم به دولة الجمهوريّة الفرنساويّة وتتفاهم معها فيه من قبل.

الفصل السّابع :
لقد أبقت دولة الجمهوريّة الفرنساويّة ودولة حضرة رفيع الشأن باي تونس تعيين وُصُولٍ في تنظيم ماليّة المملكة يتفقان عليها بعد ليحصل بذلك الاطمئنان على اداء واجبات الدّين العمومي والضمان لحقوق أرباب دين الإيّالة التونسيّة.

الفصل الثّامن :
تجعل غرامة حربيّة على العروش العاصية الّتي بالحدود والشطوط وبعد هذا يقع اتفاق في تعيين مقدارها وكيفيّة استخلاصها وتكون دولة حضرة رفيع الشأن باي تونس مسؤولة بذلك.

الفصل التّاسع :
ولوقاية بلاد الجزاير الّتي تملكها دولة الجمهوريّة الفرنساويّة من جلب السّلاح والذخاير الحربيّة «كنترباند» تعهّدت دولة حضرة رفيع الشأن باي تونس بمنع إدخال الأسلحة والمهمات الحربيّة من جزيرة جربة ومرسى قابس وغيرها من المراسي الّتي بجنوب المملكة.

الفصل العاشر :
هذه المعاهدة تعرض على مصادقة دولة الجمهوريّة الفرنساويّة وسِجِلّ المصادَقَةَ يُسلَّم في أقرب وقت ممكن لحضرة رفيع الشأن باي تونس.
حررت بالقصر السعيد في 12 ماي سنة 1881.

قصر السعيد 12 ماي 1881
محمد الصادق باي*
الجنرال بريار**

* محمد الصادق باي : باي تونس بين 1859 و1882.
** الجنرال بريار : قائد الحملة الفرنسيّة على تونس.

أوردها علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس، دارس سيراس للنشر 1986. ص 152–153–154.

التعليمات

- بيّن الصلاحيات الّتي جُرِّدَ منها الباي بموجب الفصلين الرابع والسادس من معاهدة باردو واستنتج تأثير ذلك على السّيادة التونسيّة.
- حدّد الفصل الّذي أرادت به فرنسا طمأنة بقيّة القوى الأوروبيّة على مصالحها بتونس ووضّح ماذا كانت غايتها من ذلك.

الوثيقة : 10

اتفاقيّة المرسى 8 جوان 1883

الحمد لله،

اتّفاق بين فرانسا والقطر التّونسي

لتحديد العلايق الكائنة بين هذين القطرين

لَمّا كانت عناية حضرة الباي المعظم متجهة إلى تحسين الأحوال الدّاخليّة في القطر التونسي وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثّاني عشر من شهر ماي سنة 1881. كانت حكومة الجمهوريّة راغبة خالص الرّغبة في تحقيق مراد حضرته توثيقا لعرى الوداد الميمون الكائن بين القطرين العامرين اتّفق الفريقان على عقد اتفاق بخصوص هذا الشأن. واعتمد رئيس الجمهوريّة في ذلك علي مسيو بيار بول كمبون وزيره المقيم بتونس الممتاز بنيشان اللجيون دونور من صنف أوفيسيه ونيشان العهد ونيشان الافتخار من الصنف الأكبر .. الخ .. الخ. فقدّم الوزير المومأ إليه المحرارات المؤذنة باعتماده في هذه الخطّة وإذ وجدت في تمام الأحكام والانتظام أبرم مع حضرة الباي المعظم الشروط المبيّنة في الفصول الآتية :

الفصل الأول :

لما كان مراد حضرة الباي المعظم أن يسهّل للحكومة الفرنساويّة إتمام حمايتها تكفّل بإجراء الإصلاحات الإداريّة والعدليّة والماليّة الّتي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إجرائها.

الفصل الثّاني :

الحكومة الفرنساويّة تضمن قرضا يعقده حضرة الباي المعظّم لتحويل أو لدفع الدَين الموحّد البالغ 125 مليون فرانك والدَين السائر الّذي لا يمكن أن يتجاوز قدره 17.550.000 فرانك ولكنّها هي الّتي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك. وقد تعهّد حضرة الباي المعظّم أن لا يعقد قرضا في المستقبل لحساب الإيالة التونسيّة دون إذن الحكومة الفرنساويّة.

الفصل الثّالث :

يأخذ حضرة الباي المعظّم من مداخيل المملكة : أوّلا المبالغ اللازمة للإقامة بمقتضيات القرض الّذي تضمنه فرانسا. ثانيا راتبه السّنوي الملوكي وقدره مليونان من الرّيالات التونسيّة، أي 1.200.000 فرانك وما زاد على ذلك يعيّن لمصاريف إدارة الايالة ودفع مصاريف الحماية.

الفصل الرّابع :

هذا الاتفاق مكمّل ومثبّت للمعاهدة المبرمة في 12 من شهر ماي سنة 1881 فيما يحتاج منها إلى التثبيت والتكميل ولا تتغيّر به التراتيب الّتي سبق وضعها فيما يتعلّق بتقرير الغرامة الحربيّة.

الفصل الخامس :

يعرض هذا العقد على الحكومة الفرنساويّة لتوقعه وتعاد حجة التوقيع إلى حضرة الباي المعظّم بما أمكن من السرعة.

وإيذانا بصحّة ما تقدّم حرّر هذا الرّسم وختمه الموقعان بختميهما.

بول كانبون*

علي باي**

* بول كانبون : أول مقيم عام فرنسي بتونس 1882–1886.

** علي باي : خلف محمد الصادق باي على عرش تونس، حكم بين 1882 و1902.

أوردها علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس، دار سيراس للنشر 1986. ص 155–156

التعليمات

- بيّن باعتماد الفصل الأوّل من اتفاقيّة المرسى الإجراءات الجديدة الّتي تمسّ بسلطات الباي.
- ماذا تستنتج عندما تقارن تلك الاجراءات بالفصلين 4، 6 من معاهدة باردو.

النشاط الثالث أتبيّن ردود الفعل الأولى للتونسيين إزاء الاحتلال

الموارد

الوثيقة : 11

جيش الباي يشارك في قمع المقاومة

«إنّ سلوك علي باي (كان حينئذ وليا للعهد وقائدا للجيش التّونسي) تجاه المتمرّدين الّذين هزمهم في واقعتين يبرهن عن بطلان الشكوك والاتّهامات الّتي كان موضوعها ...»

من برقيّة القنصل روسطان 30 نوفمبر 1881 إلى حكومته وردت بكتاب عدنان المنصر وعميرة علية الصغير، المقاومة المسلّحة في تونس، الجزء الأوّل 1881–1939. تونس 1997. ص 110.

الوثيقة : 12

معركة خمير

«كانت أول معركة بين الجيوش الغازيّة وبين التونسيين هي معركة جبال خمير عند دخول الجيش الفرنسي لأوّل مرّة من جهة طبرقة إذ اعترضه سكّان خمير من نفزة وعمدون في جبل ماكنة ... واندلعت نيران المعركة شديدة ملتهبة .. واضطرّ الجيش الفرنسي أن يستخدم المدافع الثّقيلة الّتي رجحت كفّته ...»

محمد المرزوقي، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقيّة تونس 1973. ص 94–95

الوثيقة : 13

معركة بن بشير(1) 30 أفريل 1881

« ...كانت السّاعة 10 صباحا وكان الفيلق أمام 3000 عربي فقرر الكولونال هرفي Hervé التموقع هناك حول الواد وترقب المدد ... وقد وصل لمحطّة بن بشير على السّاعة 11 القناصة والخيالة وتوجّهوا توّا لموقع المعركة ... في الواحدة بعد الزوال أوقف الزواف(2) إطلاق الرصاص حيث انسحب الشياحية وعمدون(3) يطاردهم الخيالة والقناصة وكعادتهم حاول الأهالي اعادة الكر لكن صدّتهم قنابل الكتيبة ... وكانت الخسائر مقتل رجلين من فرقة الزواف ورجل من الخيالة ... وفي جانب العرب 150 قتيل ...»

من تقرير للكومندان بلهوم Belhomme، ورد بكتاب عدنان المنصر وعميرة علية الصغير، المقاومة المسلّحة في تونس، ج1. المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة 1997 ص 50

(1) **بن بشير** : تقع بين جندوبة وبوسالم.
(2) **الزواف** : فرقة مشاة في الجيش الفرنسي المتمركز بالجزائر.
(3) **الشياحية وعمدون** : من قبائل المنطقة.

الوثيقة : 14

برقيّة من قبطان السفينة الحربيّة الفرنسيّة

La Reine blanche يوم 8 جويلية 1881

«صفاقس قصفت بالمدفعيّة ... الصفاقسيون يردّون لكن تصويباتهم ليست مصيبة ... كثير من القتلى والجرحى. يذكر ان مائتي صفاقسي مسلّحين مصرّون على المقاومة، ... إنّنا في وسط ثورة جهويّة وليس لدينا القوّة الكافية لعمل سريع ... المقاومون حول صفاقس بين 10 و15 ألفا. الراية الخضراء مرفوعة. المدينة جيّدة التحصين واقتحامها صعب ...»

المرجع السابق، ص 65

الوثيقة : 15

صدى معركة صفاقس في صحيفة انڤليزيّة

«أتانا فابور(1) فرنسي غادر صفاقس ببعض التفاصيل الجديدة حيث ذكر أنّه كان في الحي العربي من المدينة حوالي 300 من الأهالي وقد أُجبِر الفرنسيون على القتال منزلا بمنزل وتفجير عديد البناءات ويقدّر أن العرب خسروا 600 رجل والفرنسيون 100 قتيل وقد قاوم المتمردون ببطولة كبيرة وأن زعيمهم علي بن خليفة(2) لم يُقتل ...»

جريدة أدتور تايمز

ورد بالمرجع السابق ص 67.

(1) الفابور : الباخرة.

(2) علي بن خليفة : قايد نفات، تولى قيادة المقاومة في الجنوب وتنظيمها، توفي بطرابلس 1884.

الوثيقة : 16

الوضع بالساحل

«إن الوضع تدهور إثر الصدام الّذي جدّ بجمّال ... حيث انتشرت عصابات مسلّحة من الجنود (الفارين من جيش الباي) في قرى ومنطقة المنستير وأرغمت النّاس بالقوّة على تسليم الأسلحة والمؤن وهدّدت السكّان بنهب وتقتيل شامل إذا لم ينضمّوا إليها ...»

من رسالة النّائب القنصلي بالمنستير يوم 10 أوت 1881 إلى المقيم العام، وردت بالمرجع السّابق ص 80.

الوثيقة : 17

معركة وادي لاية(1) حسب رواية للجيش الفرنسي

«عسكر المقدم لانس Lanes بالقلعة الكبرى يوم 19 أكتوبر 1881 وقد اعتقد العرب في الأول أنّها مجرّد عمليّة استطلاع لذلك لم يصدر منهم أي رد فعل لكن عندما علموا أن معسكرا انتصب بالقلعة الكبيرة هبّ من مخيمي وادي لاية والخزازية(2) 2000 مشاة و1800 فارس من جلاص وأولاد سعيد والسواسي والمثاليث ... واتخذوا مواقع قرب معسكر لانس ليرشقونه منذ المساء بطلقات بنادقهم ... وكان يقود المتمرّدين علي بن عمارة من أولاد إدير من جلاص. وقد قتل في هذه المعركة النقيب ترافرس وجرح جنديان ...»

المرجع السّابق، ص 59

(1) **وادي لاية** : منطقة قرب القلعة الصغرى.

(2) **الخزّازية** : تقع بين سوسة والقيروان.

التعليمات

- أبرز موقف قائد جيش الباي من المقاومة.
- حدّد من خلال الوثائق الفئات الّتي قاومت الاحتلال.
- استخرج من الوثائق ما يؤكد أهميّة المقاومة.

الوثيقة : 18

أسباب تراجع المقاومة المسلحة حسب روسطان(1)

«إنّ التقارير حول الحالة النفسيّة للسكّان داخل البلاد تتفق كلّها على أنّ الأوضاع سائرة نحو التهدئة وأن الزعيمين الرئيسيين للثورة علي بن خليفة في الجنوب وعلي بن عمّار في الغرب يخسران كل يوم عددا من أتباعهما أمام ضغط طوابيرنا من جهة وأمام الحاجة لبداية الحرث خوفا من المجاعة ...»

من تقرير لروسطان يوم 1881/11/5 ورد بالمرجع السّابق ص 120.

(1) **روسطان** : القنصل الفرنسي بتونس.

الوثيقة : 19

هجرة المقاومين إلى إيالة طرابلس

«إنّ بعضا من القبائل ... الّذين حرّضوا على الإضراب بمواعيد كاذبة وإغراءات خائبة جاهروا بالثورة على أميرهم والعدوان على سكّان المملكة الّذين استمرّوا طائعين للحَضْرة العَلِية لم يلبثوا أن تفطّنوا إلى ضعفهم حتّى فرّوا إلى ولاية طرابس ...»

جريدة الرائد التّونسي 1882/11/3

الوثيقة : 20

بداية عودة المهاجرين صائفة 1883

«رغم الاصطدامات المتكرّرة بين أعدائنا من المهاجرين لطرابلس وسكّان العروش الخاضعة فإنّ مجموعات عديدة من المتمرّدين الّذين لجؤوا إلى ذلك البلد ترغب في إعلان استسلامها والعودة لأوطانها ... وقد وصل إمّا برّا أو بحرا زهاء 100 عائلة من مختلف العروش في حالة بؤس مدقع ...»

من تقرير لأحد الضبّاط الفرنسيين جوان 1883 ورد بالمرجع السّابق ص 126

التعليمات

- أذكر عوامل تراجع المقاومة المسلّحة في أواخر 1881.
- اتّفق المقاومون بعد استيلاء قوات الاحتلال على القيروان في أواخر أكتوبر 1881 على الهجرة نحو طرابلس. بيّن أسباب هذا الاختيار علما وأنّ طرابلس لازالت تابعة للدولة العثمانيّة.
- انطلاقا من الوثيقة (20) حدّد الأسباب الّتي دفعت المقاومين إلى العودة إلى البلاد التّونسية سنة 1883.

أستخلص

المقدمة :

استغلّت فرنسا أزمة البلاد التونسيّة ومساندة بعض القوى الأوروبيّة الكبرى لمخططها باحتلال البلاد وفرض معاهدة حماية عليها سنة 1881 سرعان ما تطوّرت إلى حكم مباشر رغم ما أبداه التونسيون من مقاومة.

I – فرنسا تخطط لاحتلال تونس :

احتدّ في الربع الأخير من القرن التّاسع عشر التّنافس الاستعماري بين القوى الأوروبيّة الّتي مرّت بداية من 1873 بمرحلة ركود اقتصادي وقد كانت تونس بحكم وضعيتها إحدى ساحات هذا التّنافس الّذي انحصر بداية من 1878 بين فرنسا وايطاليا.

1– إنقلترا وألمانيا تدعمان احتلال فرنسا لتونس

مثّلت المسألة التونسيّة إحدى المسائل الّتي تعرض إليها الوزراء الأوروبيون في مباحثاتهم على هامش انعقاد مؤتمر برلين بين جوان وجويلية 1878. حيث اقترح كل من وزير خارجيّة إنقلترا «سالسبوري» ومستشار ألمانيا بيسمارك على فرنسا احتلال تونس.

فبالنسبة لإنقلترا فقد أيدت فرنسا [1] وعارضت مساعي إيطاليا ويعود هذا الموقف إلى :

– خوفها من الأطماع الإيطاليّة في تونس فاحتلال ايطاليا لتونس من شأنه أن يمكنها من مراقبة ضفتي مضيق صقليّة الّذي يفصل بين حوضي البحر المتوسط ممّا يهدّد المصالح التجاريّة الانقليزيّة (أصبح طريق الهند يمرّ بالبحر المتوسّط منذ أن فتحت قناة السويس أمام الملاحة سنة 1869).

– سعيها إلى كسب موافقة فرنسا على احتلال إنقلترا لجزيرة قبرص سنة 1878، ولأطماعها في الهيمنة على مصر.

أمّا في خصوص ألمانيا فإنّ مستشارها دعّم احتلال فرنسا لتونس [2–3] وقد كان يهدف من وراء ذلك إلى :

– صرف أنظار فرنسا عن السعي إلى استعادة الألزاس واللوران الّذين استولت عليهما ألمانيا سنة 1870.

– عزل فرنسا على السّاحة الأوروبيّة من خلال تعكير علاقاتها بإيطاليا

– إشغال فرنسا بمغامرة استعماريّة تنهك قواها.

وبهذا الدّعم يمكن القول أن فرنسا قطعت مرحلة هامّة نحو السيطرة على تونس وانحصر التّنافس بينها وبين إيطاليا الّتي كانت تعتبر نفسها أحق بالاستيلاء على تونس لاعتبارات جغرافيّة وتاريخيّة وسكانيّة ...

2– فرنسا تدعم نفوذها الاقتصادي بتونس

سعت الحكومة الفرنسيّة إلى دعم حضور شركاتها ورؤوس أموالها بتونس في منافسة المؤسّسات الايطاليّة المدعمة من حكومة بلادها فتمكّنت شركة باتينيول الفرنسيّة سنة 1880 من الحصول على امتياز مدّ كل السكك الحديديّة بتونس وحفر ميناء مدينة تونس وتمكّنت شركة مرسيليا للقرض بتشجيع من قنصل فرنسا بتونس تيودور روسطان من شراء هنشير سيدي ثابت الّذي يمسح 5000 هك وهنشير النفضية (يزيد عن 100.000 هك). وقد كانت كل هذه الشركات مرتبطة بتجمعات ماليّة بفرنسا ذات نفوذ كبير على مراكز القرار السياسي لذلك ضغطت على الحكومة الفرنسيّة حتّى تحتلّ تونس فتحفظ بذلك امتيازاتها وتتخلّص من التهديد الإيطالي [4] وتبسط هيمنتها

على أغلب شمال إفريقيا في إطار هدفها الإستراتيجي المتمثّل في السيطرة على الضفّة الجنوبيّة [7] للحوض الغربي للبحر المتوسّط فتتقاسم بذلك السيطرة على البحر المتوسّط مع إنقلترا خصوصا بعد أن أصبح هذا البحر الطريق الرّئيسي للتّجارة الأوروبيّة مع آسيا منذ فتح قناة السويس أمام الملاحة الدوليّة، كما ان استيلاءها على تونس يؤمّن الحماية لمستعمرتها الجزائريّة من أي تهديد يمكن أن يشكّله تواجد قوّة أخرى بتونس.

3- الحكومة الفرنسيّة تضع خطّة لاحتلال تونس 1881

في مثل هذه الظروف قررت الحكومة الفرنسيّة برئاسة جول فيري وهو من أنصار التوسّع الاستعماري، احتلال تونس وفرض معاهدة حماية على الباي.

ولتنفيذ هذه الخطة تذرّعت فرنسا لتبرير تدخّل جيوشها بمناوشات بين قبيلة خمير وبعض القبائل الجزائريّة على الحدود بين البلدين [5-6] فنظّمت حملة عسكريّة انطلقت يوم 24 أفريل 1881 برّا بقيادة الجنرال لوجيرو وبحرا (انطلاقا من ميناء طولون الفرنسي) بقيادة الجنرال بريار.

II - فرنسا تحتل تونس [8-9-10] :

تمكّنت القوات الفرنسيّة من احتلال تونس على مراحل وبسط هيمنتها الاستعماريّة عليها بداية من ماي 1881.

1- احتلال شمال البلاد وفرض معاهدة الحماية في 12 ماي 1881

دخل الجيش الفرنسي التراب التّونسي يوم 24 أفريل 1881 انطلاقا من أقصى الشمال الغربي واتجه نحو العاصمة متّبعا خط مجردة دون أن يواجه أدنى مقاومة من جيش الباي. وتدعم هذا الهجوم البرّي بحملة بحريّة نزلت بميناء بنزرت يوم 3 ماي 1881 بقيادة الجنرال بريار الّذي زحف بقوّاته نحو تونس العاصمة ودخلت باردو يوم 12 ماي 1881 وفقا للخطة المرسومة ليجبر محمد الصادق باي على توقيع معاهدة الحماية (تعرف بمعاهدة باردو) الّتي أصبحت بمقتضاها تونس «محميّة» فرنسيّة وقد تضمّنت أساسا :

- تجريد الدولة التونسيّة من مظاهر السيادة الخارجيّة [فصل 6] الّتي أصبحت من صلاحيات فرنسا.
- إشراف فرنسا على الشّؤون الماليّة [فصل 7]
- اعتبار الحضور العسكري الفرنسي بتونس مؤقتا [فصل 2]
- طمأنة القوى الأوروبيّة على مصالحها بتونس [فصل 4] لتتجنّب معاداتها لمعاهدة الحماية

وبذلك تكون فرنسا قد نجحت في تحقيق خطتها القاضية بفرض «الحماية» على البلاد، وقد فضّلت هذا الشكل الاستعماري عن بقيّة أشكال الضم مراعاة منها للظروف السياسيّة الداخليّة إذ كان الرأي العام الفرنسي يعارض كل مغامرة استعماريّة من شأنها أن تؤجّل استعادة الألزاس واللّوران، وأيضا مراعاة للظروف العالميّة إذ كانت الحكومة الفرنسيّة تعمل على تفادي عزلها أوروبيّا بالإضافة إلى تجنّب نقائص تجاربها الاستعماريّة السّابقة وارتفاع تكلفتها كما أنّها تجنّبها انتفاضات التونسيين.

2- استكمال احتلال البلاد : جويلية 1881 إلى 1882

بعد أن سيطرت بسهولة على مناطق الشمال وضمان توقيع الباي على معاهدة الحماية، خفضت السلطات الفرنسيّة من عدد قواتها غير أنّ بروز مقاومة شديدة في الوسط دفعها إلى تعزيز حضورها العسكري من جديد فتمكّنت من :

- احتلال مدينة صفاقس يوم 16 جويلية 1881

– احتلال مدينة قابس يوم 26 جويلية 1881 واخضاع واحتها في نوفمبر من نفس السّنة.
– احتلال القيروان في 26 أكتوبر 1881 بعد احتلال جهة الساحل.
وإجمالا أتمّ الجيش الفرنسي احتلال البلاد التونسيّة في مطلع 1882.

3– اتفاقيّة المرسى 8 جوان 1883 : من الحماية إلى الحكم المباشر

بعد إستتباب الوضع لفائدة فرنسا إثر استكمالها احتلال البلاد وتلاشي المقاومة، فرضت هذه الاتفاقيّة على علي باي الّذي تولّى حكم الإيالة بعد وفاة أخيه محمد الصادق باي في أكتوبر 1882. كانت تتويجا لمساعي المقيم العام الجديد بول كامبون (تولّى مهامه في أفريل 1882) الّذي تحصّل من علي باي منذ أن كان وليا للعهد على التزام بتنفيذ الاتفاقيّات السّابقة ووضع نفسه تحت تصرّف الحكومة الفرنسيّة.
وقد خوّلت هذه الاتفاقية لفرنسا :
–إجراء الإصلاحات الاداريّة والماليّة والقضائيّة الّتي تراها فرنسا ضروريّة [الفصل 1].
– حل مسألة الديون التونسيّة [الفصل 2].بما سمح لفرنسا عام 1884 بحل اللّجنة الماليّة الدوليّة والانفراد بالهيمنة الماليّة على تونس.
وهكذا فإنّ اتفاقيّة المرسى مكّنت فرنسا من بسط نفوذها الفعلي على البلاد وسلبت الباي سلطته الداخليّة بعدما جرّدته معاهدة باردو من سلطاته الخارجيّة وجعلت تونس خاضعة إلى حكم فرنسي مباشر حتّى وإن أبقت على سلطة الباي الصوريّة.
وإجمالا فقد حوّلت تونس من «محميّة» إلى مستعمرة. وقد استغلّت فرنسا في ذلك نجاحها في إخماد المقاومة.

III – ردود الفعل الأولى : المقاومة المسلّحة :

لم يمنع استسلام الباي [10] من أن يهبّ السكان رغم محدوديّة امكانياتهم لمقاومة الغزاة.

1– مقاومة قبائل الشمال

قاومت قبائل الشمال [12] (خمير، عمدون، وشتاتة، ماكنة ...) بإمكانياتها المتواضعة الحملة الفرنسيّة منذ 24 أفريل 1881 وخاضت ضدّ الفرنسيين معارك كثيرة أهمّها معركة بن بشير [13]. كما دافعت عن مدينتي ماطر وباجة وأجبرت بعد بسط الهيمنة الفرنسية على دفع غرامات.

2– المقاومة في الوسط والجنوب : أكثر تنظيما

مثّلت كذلك القبائل العمود الفقري للمقاومة (نفات، جلاص، الفراشيش، الهمامة ...) الّتي حاولت تنظيم صفوفها والتنسيق بينها عن طريق شيوخها الّذين ألّفوا ما يشبه «مجلس قيادة المقاومة» من خلال عقد ما سمّي بالميعاد (مثل ميعاد القيروان) وقد برز علي بن خليفة قايد نفات كقائد للمقاومة الّتي شارك فيها أيضا بعض الجنود الفارّين من جيش الباي وبعض الضباط الصغار. وقد دافع المقاومون ببسالة عن مدينة صفاقس الّتي لم تنجح فرنسا في اخضاعها إلاّ يوم 16 جويلية 1881 [14–15] بعد قصف الأسطول الفرنسي لها طيلة 3 أيّام ممّا خلّف 600 قتيل في صفوف المقاومين. كما نجح المقاومون في عرقلة الاحتلال الفرنسي لقابس لبعض الأيام أمّا في جهة السّاحل [16] فقد أطّر المقاومة جنود وضبّاط صغار من أصيلي قرى المنطقة، ورغم هزيمتهم فقد كبّد المقاومون قوات الاحتلال هزائم في عديد المعارك [17].
وبعد تراجع المقاومة في الساحل احتلّت القوات الفرنسيّة القيروان في 28 أكتوبر 1881.

3- المقاومون يختارون الهجرة إلى إيالة طرابلس :

أمام تراجع المقاومة في الشمال والوسط [18] عقد المقاومون في أكتوبر 1881 ميعاد الحامة وقرّروا خلاله الهجرة بعائلاتهم إلى إيالة طرابلس الّتي لازالت تحت حكم العثمانيين [19] على أمل أن يعودوا محررين للبلاد بمساعدة الجيش العثماني. غير أنّ غياب ذلك الدعم وتردّي ظروفهم في البوادي الليبيّة القاحلة وتشديد القوّات الفرنسيّة لمراقبتها للحدود قد دفع بأغلب هؤلاء إلى الرّجوع للبلاد [20] منذ بداية 1883. وبذلك تلاشت المقاومة.

وإجمالا فإنّ الشعب التّونسي رغم محدوديّة إمكانياته، قد هبّ للدفاع عن بلاده وبالخصوص القبائل والشرائح الشعبيّة من سكّان القرى والمدن بعد أن استسلم الباي ورغم أنّ المقاومة لم تحل دون الاحتلال فإنّها مهّدت لتشكّل الوعي الوطني وبروز أشكال أخرى للمقاومة لاحقا.

الخاتمة

نجحت فرنسا سنة 1881 في تنفيذ مخططها باحتلال البلاد التونسيّة لكنّها واجهت مقاومة عنيفة، وبالرغم من أنّها تمكّنت – بحكم تفاوت ميزان القوى – من إخمادها فإنّها لم تقض على الشّعور الوطني وستأخذ المقاومة أشكالا جديدة ثقافيّة جسّدتها بعض الجمعيّات مثل الخلدونيّة وجمعيّة قدماء الصادقيّة وأخرى سياسيّة عبّرت عنها في البداية حركة الشباب التونسي الّتي ظهرت سنة 1907.

أقيم مكتسباتي : دراسة وثيقة تارخيّة

من تقرير شارك في تحريره بول كامبون وُجّه إلى الحكومة الفرنسيّة
حول السياسة الّتي يَجِبُ اتّباعها في تونس بعد معاهدة 12 ماي 1881

لقد وَقَعَ التساؤل بادىء الأمر حول تحديد هدف سياستنا بتونس : إمّا إلحاق هذه البلاد بالمقاطعات الجزائريّة بصفة وقتيّة أو تركيز الحماية الفرنسيّة عليها ...
فسياسة الإلحاق المباشر ... ستضعنا وجها لوجه مع الإمبراطوريّة العثمانيّة من جهة طرابلس وتثير حزازات طالما حاولت السياسة الفرنسيّة تجنّبها كما تُحَمِّلُنَا مسؤوليّة كاملة في استتباب الأمن العام بكل ما يقتضيه ذلك من تضحيات عسكريّة وماليّة جسيمة في بلد غير مُهيّإ لقبول هيمنتنا فإذا ما قررّت الحكومة الفرنسيّة (...) المجازفة باتباع سياسة الإلحاق في الوضع الراهن للعلاقات بين الدول الّتي لها نفوذ في البحر المتوسّط، فلا يجب أن ننسى بأنّها تتناقض مع الشّروط الواردة في معاهدة باردو من جهة ومن جهة ثانيّة مع تصريحات أسلافكم الّتي أخذتها القوى الأجنبيّة وخاصّة انقلترا بعين الاعتبار.
إنّ هذه الاعتبارات قد أدّت إلى البحث (...) عن الطرق الكفيلة بتقويّة تأثير فرنسا بتونس دون غيرها من القوى الأوروبيّة ... إنّ الاكتفاء بتنفيذ معاهدة 12 ماي له في اعتقادنا إيجابيات من بينها أن ذلك لا يتنافى مع أي من التصريحات السّابقة للحكومة ولا يخدش المشاعر المتيقظة ويبقي على الاتفاقيات الّتي أبرمها الباي مع القوى الأجنبيّة الأخرى والّتي لا يمكن مراجعتها في الظرف الحالي. ومن فوائد هذه السياسة أيضا أنّها تسهّل إدخال أساليبنا الإداريّة بتونس بصفة تدريجيّة ...

المصدر : وثائق وزارة الخارجيّة الفرنسيّة، المجلد 21. ورد بانتصاب الحماية الفرنسيّة
لعلي المحجوبي، سراس للنشر 1986، ص 157

اشرح النّص شرحا مسترسلا معتمدا الأسئلة التالية :
1– قدّم الوثيقة
2– بيّن دواعي معارضة واضعي التقرير لسياسة الإلحاق المباشر.
3– يعتبر التقرير أنّ الحماية هي النّظام الأكثر تطابقا مع ظروف فرنسا الدوليّة. وضّح ذلك.

المحور الثّالث

أزمات القرن العشرين وتحولاته

المحور الثّالث

أزمات القرن العشرين وتحولاته

يندرج المحور الثالث من البرنامج تحت عنوان "أزمات القرن العشرين وتحولاته" وهو يأتي بعد دراسة أهم التحولات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية في أوروبا الغربية في العصر الحديث وبعد دراسة أزمة الإيالة التونسية في القرن التاسع عشر ليمكن المتعلمين من فهم أبرز أحداث القرن العشرين فعالمنا المعاصر هو أساسا نتاج تاريخي للتحولات الكبرى التي عرفتها البشرية خلال العصر الحديث (التنوير، الثورة الصناعية، التوسع الاستعماري) وقد شقّته تناقضات كبرى أفرزت أبرز أزماته وتحولاته، من بين هذه التناقضات :

– التناقض بين القوى الاستعمارية المتنافسة الذي أدخل العالم في أتون الحرب العالمية الأولى والثانية .

– التناقض بين القوى الاستعمارية والشعوب المستعمَرة الذي أفرز حركة تحرّر المستعمرات واستقلالها فخاضت هذه الشعوب المستقلة تجارب تنموية بهدف تجاوز مخلفات الاستعمار وتحقيق التنمية وقد مثّلت البلاد التونسية في البرنامج نموذجا لها.إلا أن بعضها مازال يناضل من أجل حقه في تقرير المصير (فلسطين).

عناوين الدروس

الدرس التّاسع	الحرب العالمية الأولى.
الدرس العاشر	توتر العلاقات الدولية.
الدرس الحادي عشر	نتائج الحرب العالمية الثانية.
الدرس الثّاني عشر	تحرر الشعوب المستعمرة.
تمهيد لدراسة تونس من 1920 الى 1956 : الأطوار الكبرى للحركة الوطنية	
الدرس الثّالث عشر	الحركة الوطنية التونسية قبل الحرب العالمية الثانية : طور التأسيس. الجزء الأول : الحركة الوطنية التونسية في العشرينات. الجزء الثاني : الحركة الوطنية التونسية في الثلاثينات.
الدرس الرّابع عشر	الحركة الوطنية التونسية منذ الحرب العالمية الثانية إلى الاستقلال التام 1956: طور النضج والحسم.
الدرس الخامس عشر	تونس من 1956 إلى 1987
الدرس السادس عشر	القضية الفلسطينية.

الدرس التّاسع

الحرب العالميّة الأولى

المدخل

نجم عن احتداد النّزاعات في القارّة الأوروبيّة، في خضم تصاعد التّنافس الإمبريالي، اندلاع أول حرب عالميّة ما بين 1914 و1918. وضعت وجها لوجه دول التّحالف الثّلاثي ودول الوفاق الثّلاثي : سأتعرّف إلى أسباب هذه الحرب وأستجلي أهم نتائجها.

النشاط الأول

أتعرّف إلى أسباب الحرب

الموارد

الوثيقة : 1

التّنافس الاقتصادي بين القوى الأوروبيّة

«من السويس إلى هونغ كونغ(1)، الكلُّ يتحدّث عن تراجع أمّتنا .. في سنغفورة(2) لا نجد أيّة شركة فرنسيّة، وفي المقابل هناك عشرون شركة ألمانيّة .. وفي زنجبار(3) لا يزال هناك عشرون فرنسيا، ولكن عدد الألمان يقدّر بمائتين .. وهذا التوسّع الألماني يبدو أهم من التّوسع الإنقليزي الّذي يعتبر مكسبا قديما بينما كان التّوسع الألماني سريعا وعلى حساب تراجعنا ..»

الماريشال Lyautey (4) ،رسائل من الطونكين(5) إلى مدغشقر (1897)،

ورد بكتاب مدرسي فرنسي السّنة الثّالثة، منشورات بورداسBordas (1990) ص 15.

(1) **هونغ كونغ** : ميناء صيني

(2) **سنغفورة** : ميناء بجنوب شرقي آسيا.

(3) **زنجبار** : منطقة تقع على سَاحِلِ المحيط الهندي بشرق إفريقيا.

(4) **ليوطي** : ضابط فرنسي عمل في الطونكين ومدغشقر والجزائر والمغرب حيث شغل خطّة مقيم عام ما بين 1912، 1925.

(5) **الطونكين** : منطقة تقع في شمال فيتنام على ضفاف خليج الطونكين.

التعليمات

- سبقت الحرب العسكريّة عام 1914 حرب اقتصاديّة بين أبرز الدول الأوروبيّة آنذاك. حاول استجلاء أهم ملامح تلك الحرب بالعودة إلى كلام ليوطي.
- تبدو فرنسا قلقة جدّا من تعاظم القوّة الاقتصاديّة لألمانيا. هل كان لهذا الخوف ما يبرّره عام 1897 ؟

الوثيقة : 2

السّياسة الخارجيّة لألمانيا عام 1888 من خلال خطاب لغليوم الثّاني

«إنّ تحالفنا مع النمسا – المجر مسألة باتت معروفة، وهذا التّحالف الدّفاعي هو في تقديري أساس التّوازن الأوروبي فضلا عن كونه إرث تاريخي لامنازع فيه.

وهناك علاقات تاريخيّة مماثلة، وحاجات وطنيّة شبيهة بما ذكرت تجمعنا بإيطاليا. وإنّني راض تمام الرضا على التسويات الّتي توصّلنا إليها مع كل من النمسا – المجر وإيطاليا ...

من خطاب لغليوم الثّاني أمام الرايختاغ بتاريخ 25 جوان 1888.

الوثيقة : 3

من بنود الإتفاقيّة العسكريّة الفرنسيّة – الروسيّة (1893)

«إنّ فرنسا وروسيا اللّتان تحدوهما الرّغبة نفسها في الحفاظ على السِّلْم، واللّتان لا تهدفان سوى إلى مواجهة متطلّبات حرب دفاعيّة، قد يشعلها هجوم لقوّات التّحالف الثّلاثي على أي من الدّولتين، قرّرتا الاتفاق على البنود التاليّة :

1– إذا هوجمت فرنسا من طرف ألمانيا أو من ايطاليا بدعم من ألمانيا فإنّ روسيا ستستخدم كامل قواتها للهجوم على ألمانيا.

وإذا هوجمت روسيا من طرف ألمانيا أو من طرف النمسا بدعم من ألمانيا، فإنّ فرنسا ستستخدم كامل قواتها لمحاربة ألمانيا.

7– تحاط جميع البنود المذكورة أعلاه بكامل السريّة ...

كلود أ. دومات، القانون الدولي والتاريخ الديبلوماسي 1948، ص 31.

إضاءات

الحلف الثّلاثي

تكوّن الحلف الثّلاثي الّذي ضمّ كلّ من ألمانيا النمسا المجر وإيطاليا سنة 1882 نتيجة جهود المستشار الألماني بيسمارك بغرض عزل فرنسا ومنعها من التفكير في استرجاع إقليم الألزاس لورين.

الوفاق الثّلاثي

قادت فرنسا حلفا مضادا وذلك بإبرام اتفاقيّة عسكريّة مع روسيا سنة 1893 وانضمّت إليهما انقلترا سنة 1904.

الوثيقة : 4

الأحلاف في أوروبا قبل اندلاع الحرب العالميّة الأولى

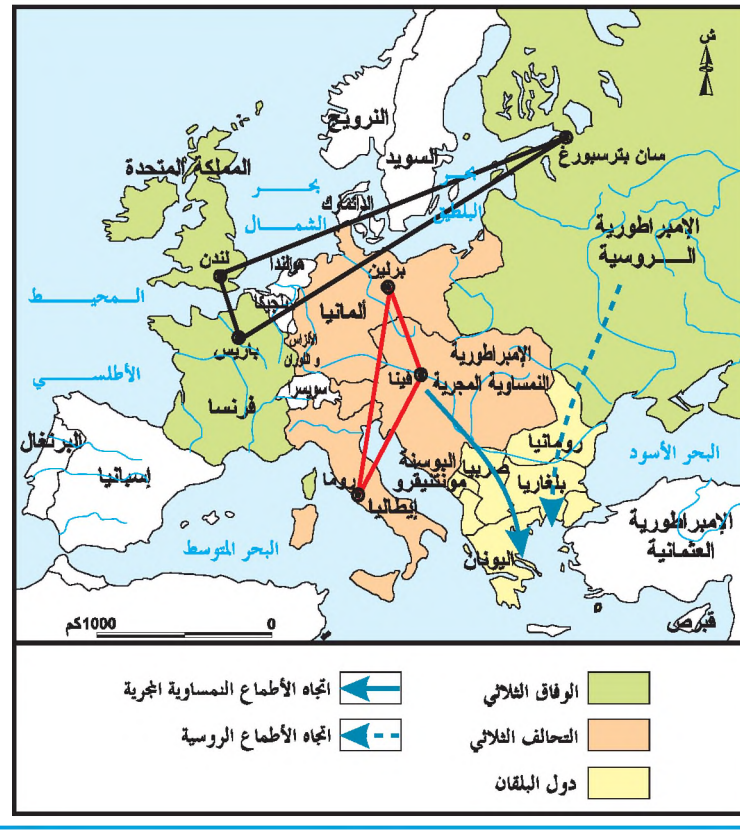

الوثيقة : 5

آلية الأحلاف في أوروبا قبيل اندلاع الحرب العالميّة الأولى

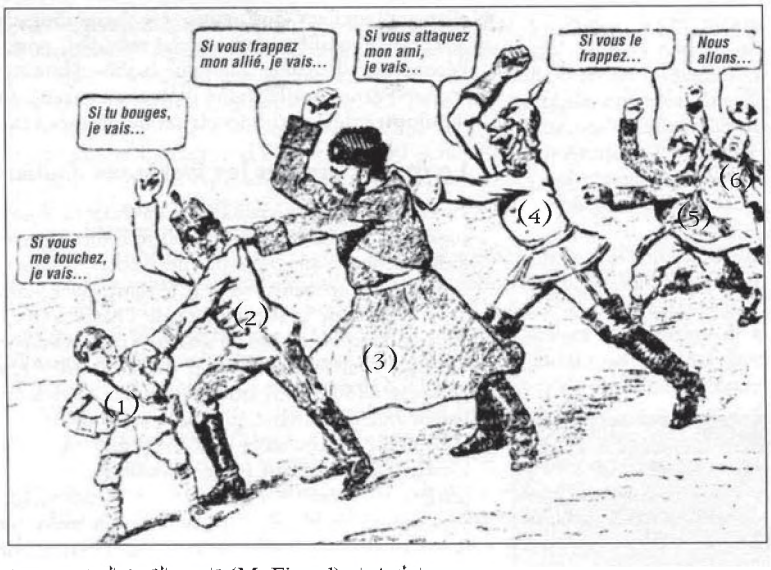

عن مارك فينار (M. Finard) تاريخ القرن العشرين مونتريال 1997. ص 50.

(2) النمسا لصربيا : لو تتحرّكي فإنّني سـ...
(1) صربيا للنمسا : لو تؤذيني فإنّني سـ...
(3) روسيا للنمسا : لو ضربت صديقي فإنّني سـ...
(4) ألمانيا لروسيا : لو تهاجمي حليفي فإنّني سـ...
(5) و(6) فرنسا وإنقلترا تخاطبان ألمانيا : لو تضرب حليفنا سنقوم ...

التعليمات

- باعتماد الوثائق (2، 3، 4، 5) والإضاءات، حاول استنتاج الملامح العامّة لسياسة الأحلاف و التكتّلات الدّفاعيّة في أوروبا نهاية القرن التّاسع عشر.
- بماذا تفسّر التّقارب العسكري الفرنسيّ الروسيّ عام 1893.
- حاول استجلاء الأسباب الكامنة وراء خروج انقلترا عن عزلتها ودخولها الوفاق الثّلاثي عام 1904.

الوثيقة : 6

مخاوف النمسا من دولة صربيا الفتيّة

«هذه الدولة الجديدة (صربيا) ستكون المحرّك الدائم لكل سلاف slaves الجنوب في البوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا ... وستشكّل خطرا على استقرار وأمن النمسا–المجر لذلك فإنّ من مصلحة الإمبراطوريّة أن تمنع ذلك ... وإذا لم تفكر صربيا في الكفّ عن سياستها المعادية للنمسا ... فإنّ مملكتنا ستجد نفسها مجبرة على الدّفاع عن مصالحها ...»

من تصريح اوزير خارجيّة النمسا الكونت برتخولد (1912 – 1914) ورد بكتاب التّاريخ المعاصر، هاشات 1961 ص 508.

التعليمات

حاول انطلاقا من نصّ الوثيقة (6) توضيح طبيعة العلاقة بين الامبراطوريّة النمساويّة – المجريّة ودولة صربيا في مطلع القرن العشرين، وموقف النمسا من جارتها «المزعجة».

إضاءات

أهمّ أطوار الحرب

1914	– أوائل أوت : انتصارات ألمانيّة في الجبهة الغربيّة (في بلجيكا وفرنسا). – 23 أوت : دخول اليابان الحرب إلى جانب الحلفاء. – 29 أوت : انتصارات ألمانيا على الرّوس في الجبهة الشرقيّة. – 06 سبتمبر : معركة المارن في الجبهة الغربيّة. – 11 سبتمبر : انتصار الرّوس على النمساويين في الجبهة الشرقيّة. – 05 نوفمبر : دخول الإمبراطوريّة العثمانيّة إلى جانب دول الوسط (ألمانيا والنّمسا المجر).
1915	– ماي : فشل هجوم الحلفاء ضدّ مواقع الجيش الألماني في الجبهة الغربيّة. – ماي : انتصارات نمساويّة في الجبهة الشرقيّة. – ماي : دخول إيطاليا الحرب إلى جانب الحلفاء. – جويلية : انتصارات ألمانيّة في بولونيا. – سبتمبر : فشل الهجوم الفرنسيّ في شمباني. – أكتوبر : الإنزال الفرنسيّ الإنقليزي في سالونيك. – أكتوبر : دخول بلغاريا الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا – المجر.
1916	– فيفري : حرب الاستنزاف (معركة فردان). – مارس : دخول البرتغال الحرب إلى جانب الحلفاء. – ماي : معركة جيتلاند البحريّة بين الأسطولين الانقليزي والألماني. – جويلية : حرب الاستنزاف (معركة السوم). – أوت : دخول رومانيا الحرب إلى جانب الحلفاء
1917	– جانفي : الألمان يشنون حرب الغوّاصات بشكل مكثّف. – أفريل : فشل هجوم الحلفاء في الجبهة الغربيّة (Le Chemin des Dames) – أفريل : دخول الولايات المتّحدة الحرب إلى جانب الحلفاء. – ديسمبر : خروج روسيا من الحرب بعد نجاح الثّورة البلشفيّة.
1918	– مارس – جويلية : هجومات ألمانيّة في الجبهة الغربيّة (بيكاردي، الفلاندر، شمباني ...) – ابتداء من جويلية : هجومات مضادّة من الحلفاء توّجت بانتصارات هامّة على الجيش الألماني. – 30 سبتمبر : استسلام بلغاريا. – 30 أكتوبر : استسلام الامبراطوريّة العثمانيّة. – 03 نوفمبر : استسلام النمسا – المجر. – 11 نوفمبر : الألمان يرغمون على توقيع الهدنة في روتوند Rethondes (نهاية الحرب)

النشاط الثّاني أتعرف إلى النتائج البشريّة والاقتصاديّة للحرب العالميّة الأولى

الموارد

الوثيقة 7

الأضرار البشريّة للحرب

الدول / نوع الأضرار	عدد القتلى (بالآلاف)	عدد الجرحى (بالآلاف)	نسبة الضحايا من القوى النشيطة
فرنسا	1400	3500	10.5
انقلترا	744	2000	5
ألمانيا	2000	4000	15
النمسا	1543	2000	17
روسيا	1700	؟	؟
و. م. أ	100	؟	؟

التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم، ج. 4، أكولان، 1978، ص 71.

التعليمات

حدّد البلدان الّتي تضرّرت ديموغرافيا أكثر من غيرها ؟ حاول معرفة الأسباب.

الوثيقة 8

تطوّر مخزون الذّهب (بملايين الدولارات)

البلدان / السنوات	1913	1921
الولايات المتحدة	691.5	2529.6
فرنسا	678.9	688.3
إيطاليا	288	236.5
ألمانيا	278.7	260
اليابان	65	558.8

ج. نيري NERE، أزمة 1929، أ. كولان، 1973، ص 211.

الوثيقة : 9

ازدهار دول ما وراء البحار

«أتاحت الحرب العالميّة الأولى أمام الولايات المتّحدة فرصة ذهبيّة للإثراء ... فقد وجدت الدول الأوروبيّة فيها بديلا للمنتوجات الّتي توقّفت عن إنتاجها ... والفائض الّذي حققه ميزانها التّجاري جلب إليها من رؤوس الأموال ما مكّنها من أن تصبح دولة دائنة ... وعلى غرارها فتحت الحرب في أوروبا أمام اليابان إمكانات ربح لا يمكن تصوّرها ... فقد ارتفع إنتاجها الصّناعي 78 في المائة كما تضاعف حجم أسطولها التّجاري ...»

موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، العهد المعاصر، بيروت 1994، ص 59–60.

التعليمات

- استخلص من خلال الوثيقتين (8 و9) السّمات العامّة للتحوّلات الاقتصاديّة العميقة الّتي تلت نهاية الحرب مباشرة.
- بيّن كيف استفادت الولايات المتّحدة واليابان من انهيار أوروبا الاقتصادي.

النشاط الثّالث أتبيّن النّتائج الجغراسياسيّة للحرب العالميّة الأولى

الموارد

الوثيقة 10

من نقاط ويلسن الأربعة عشر

1– إلغاء الديبلوماسيّة السريّة.
3– إلغاء الحواجز الاقتصاديّة.
4– الحد من التسلّح.
5– تسوية حرة ونزيهة لكل المطالب المتعلّقة بالمستعمرات تراعي مصالح الشعوب المعنيّة ..
8– إعادة إقليم الألزاس لورين إلى فرنسا.
9– تعديل الحدود الإيطاليّة (النمساويّة) وفق مبدإ القوميات ..
10–حق تقرير المصير لشعوب النمسا – المجر.
12– حريّة مصير الشعوب غير التركيّة بالإمبراطوريّة العثمانيّة وحريّة الملاحة عبر المضيقين.
13– إنشاء دولة بولونيا المستقلّة مع ضمان منفذ لها على البحر.
14– إنشاء جمعيّة للأمم.

موسوعة «مور» التاريخيّة جزء 7. ص 3877.

التعليمات

حدّد أهم مقترحات الرئيس الأمريكي ويلسن من أجل تأمين علاقات سلمية بين الأمم والشعوب.

إضاءات

المعاهدات

المعاهدة	ملخّص لأهم شروطها
معاهدة فرساي (28 جوان 1919) مع ألمانيا	– اقتطاع أجزاء من التراب الألماني لصالح الدول المجاورة. – التخلّي عن المستعمرات الألمانيّة للدول المنتصرة. – إلغاء الخدمة العسكريّة وتخفيض عدد الجنود إلى 100 ألف جندي. – تجريد منطقة الراين من السلاح – وضع منطقة السار تحت إشراف جمعيّة الأُمَمْ
معاهدة سان جرمان (سبتمبر 1919) مع النمسا ومعاهدة تريانون (جوان 1920) مع المجر	– فصل النمسا عن المجر. – اقتطاع أجزاء من أراضيها لصالح يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وإيطاليا وبولونيا ورومانيا واليونان. – تحديد قواتهما العسكريّة.
معاهدة نويي (نوفمبر 1919) مع بلغاريا	– اقتطاع جزء من أراضيها لصالح اليونان ويوغوسلافيا ورومانيا. – تحديد قوّاتها العسكريّة.
معاهدة سيفر (أوت 1920) مع الإمراطوريّة العثمانيّة	– التنازل عن ممتلكاتها لصالح فرنسا وانقلترا. – التنازل عن أجزاء من أراضيها في أوروبا لصالح الدول المجاورة. – وضع مضيقي البوسفور والدردنيل تحت المراقبة الدوليّة.

الوثيقة : 11

حدود معاهدات السلم

«فالبنود الأربعة عشر الّتي اقترحها ويلسن لاعادة بناء أوروبا على أسس جديدة لم تحترمها المعاهدات الاحترام اللاّزم ... أوجدت فيها دولا مستضعفة تفتقر للخامات والمواد الأوليّة الّتي لا بدّ منها لأي استقلال اقتصادي. كما أن وحدتها القوميّة كانت مهددة لاحتوائها عديد الأقليات القوميّة النشيطة ... بالإضافة إلى نقاط الاحتكاك بين بعض هذه الدول مثل قضيّة ميناء فيومي بين إيطاليا ويوغسلافيا ... اشتدّت المنافسة بين الدول المنتصرة وتضاربت مصالحها ... فنراها تتشاحن فيما بينها حول الاستئثار بالقسم الأكبر من التركة العثمانيّة والالمانيّة ...»

موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، العهد المعاصر، بيروت 1994، ص 51.

التعليمات

- بيّن من خلال الوثيقة (11) أهم حدود معاهدات السلّم.
- وضّح مدى اعتبار التنافس الناشيء بين الدول المنتصرة غداة الحرب مصداقا للرأي القائل ان الحرب العالميّة الأولى كانت حربا امبرياليّة بالأساس.

الوثيقة : 12

تعديل الخريطة السياسيّة لأوروبا بعد الحرب العالميّة الأولى

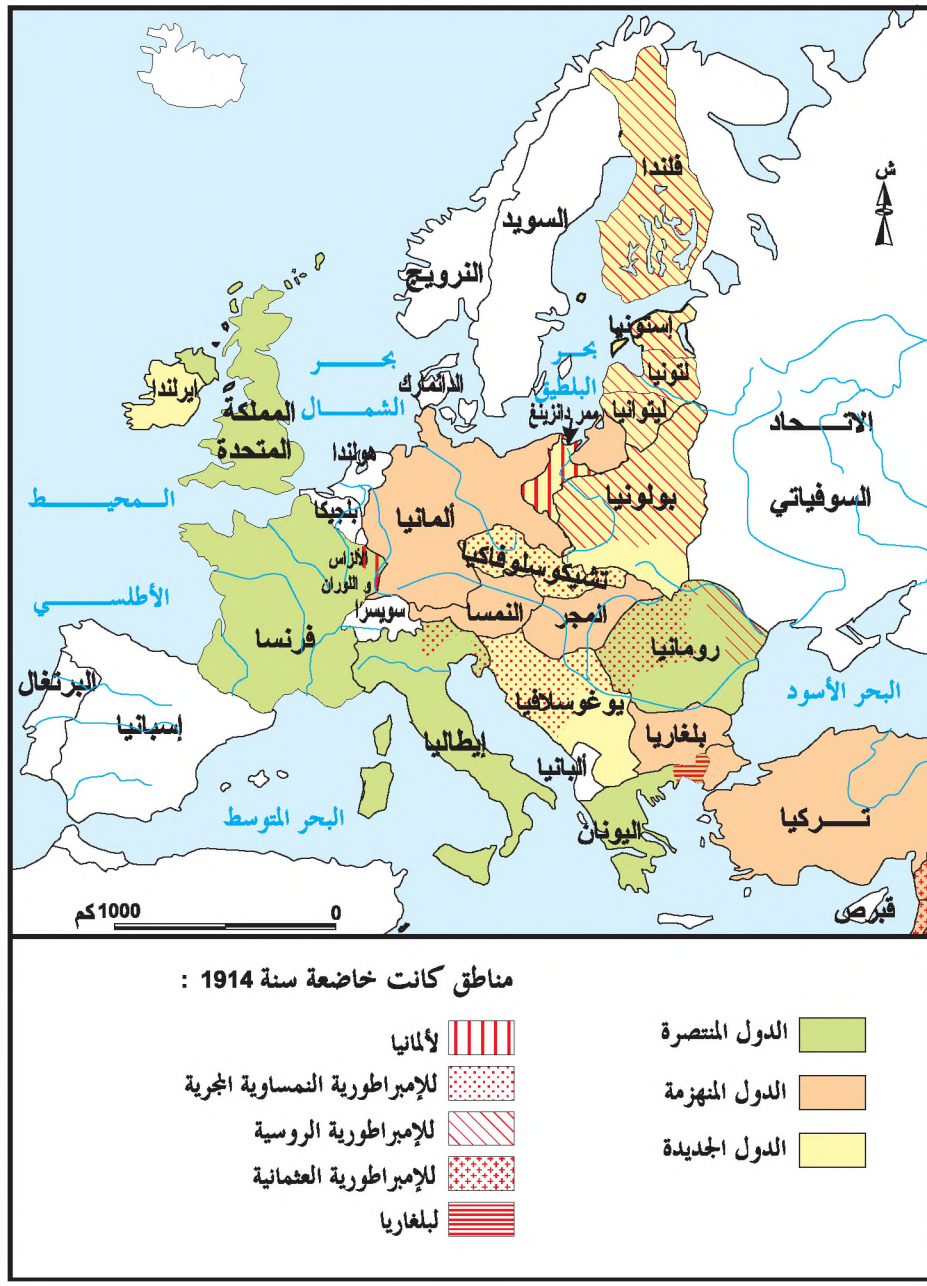

التعليمات

- باعتماد الوثيقتين (11 و12) أبرز أهم ملامح الخريطة السياسيّة لأوروبا لما بعد الحرب العالميّة الأولى.
- هل قضت المعاهدات الّتي أعقبت نهاية الحرب على مشكل الأقليات العرقية والقومية (الذي شكل أحد أسباب الحرب) والنزاعات الحدوديّة والترابيّة لاسيما في أوروبا الوسطى والشرقيّة ؟

الوثيقة : 13

ثلاثة مواقف من معاهدة فرساي

(أ) «لم يسبق أبدًا أن فرض على شعب، وبكثير من الغلظة، سلم بمثل هذا الإرهاق وبمثل هذه الكيفيّة ، سلم بدون مفاوضات مسبقة سلم مملاة. إنّها سلم فرساي. وهي في روحها وشكلها ضرب من اللّصوصيّة. تصوّروا قاطع طريق يطرح أحد المارّة الآمنين أرضا. ثم يرغمُه على أن يسلّمه حافظة نقوده ...»

شهادة مأخوذة من مذكرات فون بيلو B. Von Bulow، ديبلوماسي ألماني (1931)، ذكرها لامبين Lambin في كتابه : التاريخ والجغرافيا مبادئ الاقتصاد، باريس، هاشيت، 1995، ص30.

(ب) «إنّ هذه المعاهدة ليست جيّدة. هذا ما أنا على استعداد للاعتراف به ولكن هل كانت الحرب جيّدة ؟ لقد تطلّب الأمر أربع سنوات، وعدد هام من الأمم للقضاء على ألمانيا ... لقد ظننا، عديد المرّات، ونحن في معمعان الحرب أنّ كل شيء قد انتهى (...) وإذا بفرنسا تنهض من هذا الوضع حيّة بعد أن نجحت في ترميم ترابها الوطنيّ وتوسيع إمبراطوريتها الاستعماريّة، وإذا بألمانيا تدمّر، وينزع عنها سلاحها ...»

مقابلة مع جورج كليمنصو رئيس حكومة فرنسا خلال الحرب (1928)، ذكره لامبين Lambin
نفس المرجع ص 30.

(ج) «لا تتضمّن المعاهدة أية استعدادات بهدف ترميم الإقتصاد الأوروبّي. كما أنّنا لا نعثر على أيّة إشارة تهمّ تنظيم الدول الجديدة أو إنقاذ روسيا. إنّ سلام فرساي سيدفع أوروبا العليلة إلى مشارف الدمار والمجاعة. إنّ هدف كليمنصو [الرّئيس الفرنسيّ] هو إضعاف ألمانيا بكل الوسائل المتاحة ...»

جون كاينز J.N. Keynes النتائج الاقتصاديّة للسلام (1919)
Les consèquences économiques de la paix الترجمة العربيّة ص 231.

التعليمات

انطلاقا من الوثيقة :(13)

- بيّن موقف الألمان من معاهدة فرساي.
- استخلص الذرائع الّتي قدّمها رئيس الحكومة الفرنسيّة جورج كليمونصو لتبرير فرض معاهدة قاسيّة على ألمانيا.
- وضّح حدود معاهدة فرساي من وجهة نظر الاقتصادي الإنقليزي جون كاينز.

الوثيقة : 14

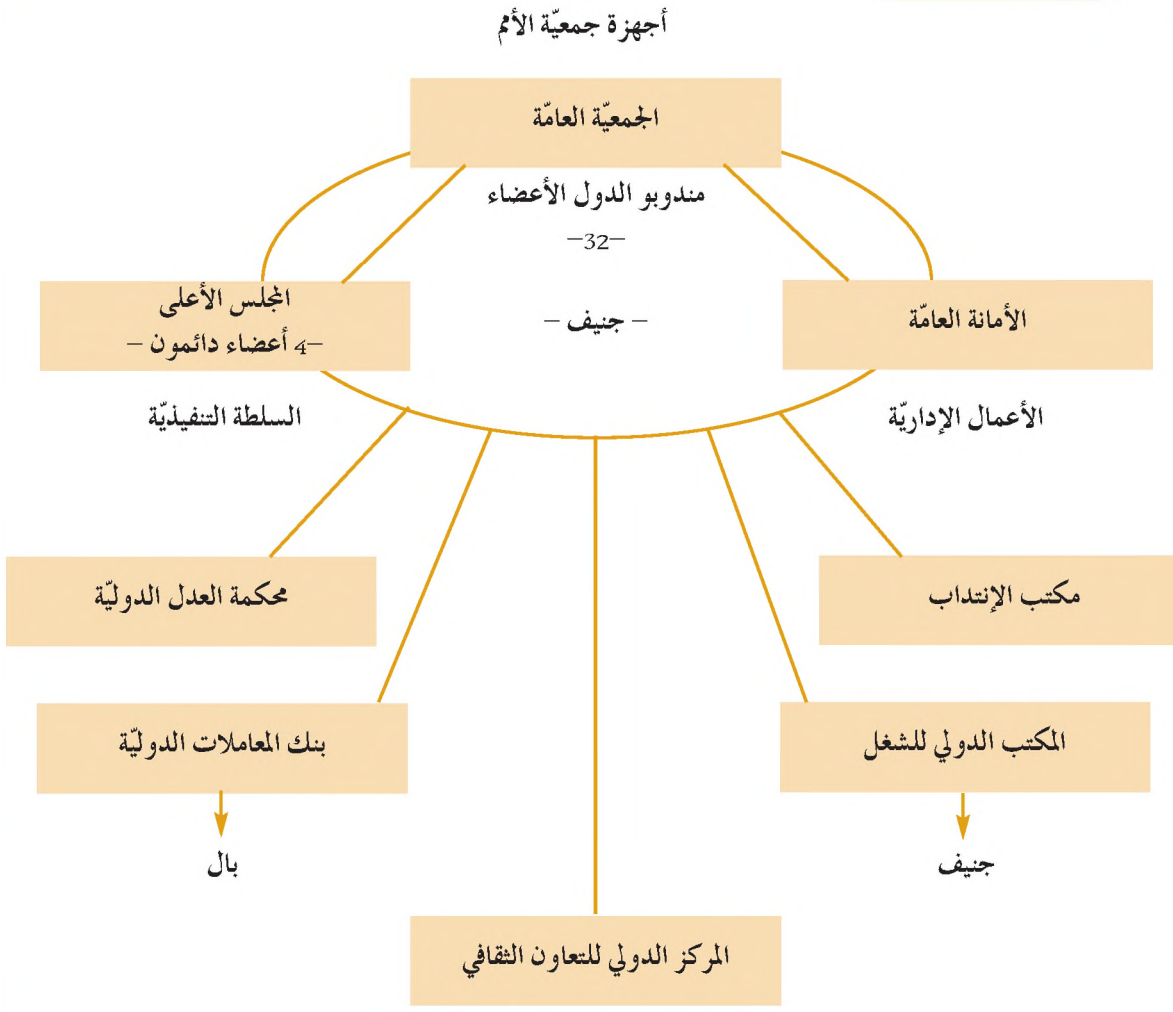

التعليمات

- بيّن الغاية من تأسيس منظّمة أمميّة لتنظيم العلاقات الدوليّة بعد نهاية الحرب العالميّة الأولى.
- هل تبدو لك أجهزة هذه المنظّمة (كما تبرزها الوثيقة) قادرة على تأمين السّلام وإعطاء دفع للتّعاون الدوليّ.

أستخلص

المقدمة :

اندلعت الحرب العالميّة الأولى خلال صيف 1914 واستمرّت أكثر من أربع سنوات وجاء نشوبها نتيجة لتفاقم النزاعات داخل القارّة الأوروبيّة.

كشفت نِهاية هذه الحرب عن تبدلات اقتصاديّة وسياسيّة دوليّة بالغة الأهميّة طالت تداعياتها في العشرينات والثّلاثينات الاقتصاد الرأسمالي والعلاقات الدوليّة.

I – أسباب الحرب :

1 ـ الأسباب العميقة :

أ– تفاقم التنافس الاقتصادي والعسكري بين الدول الأوروبيّة : [1–2]

احتدّ التّنافس على الأسواق في نهاية القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين بين القوى الإستعماريّة التقليديّة وعلى رأسها إنقلترا، والقوى الإقتصاديّة الفتيّة ممثّلة في ألمانيا [1] وهو ما جعل القوى الصاعدة تطالب بإعادة تقسيم المستعمرات. ولقد ألقى هذا التنافس الإمبريالي بظلاله الثّقيلة على العلاقات الدوليّة إذ اشتدّت المنافسة في مجال البحريّة بين ألمانيا وانقلترا (سيّدة البحار آنذاك).

ومن جهة أخرى تفاقم التنافس في مجال التسلّح البرّي بين ألمانيا وفرنسا وقد ارتبط ذلك أساسا بالنزاع الّذي ظلّ قائما بين الدولتين حول منطقتي الألزاس واللورين اللّتين احتلتهما ألمانيا منذ عام 1871.

ب– ظهور الأحلاف السياسيّة والتكتّلات العسكريّة [4–5]

عرفت أوروبا منذ نهاية القرن التّاسع عشر ظهور أحلاف وتكتّلات دفاعيّة وبالتدرّج تشكّلت فيها خريطة التحالفات بين أبرز القوى العظمى : التّحالف الثّلاثي والوفاق الثّلاثي.

2 ـ الأسباب المباشرة والسّير نحو الحرب :

شهد النصف الثّاني من القرن التّاسع عشر صراعا بين روسيا والنمسا – المجر مداره الاستئثار بأشلاء الإمبراطوريّة العثمانيّة والهيمنة على شبه جزيرة البلقان وتعقّد الوضع في سنة 1908 بسبب ضم النمسا لإقليم البوسنة والهرسك حيث طالبت صربيا من روسيا التدخل لفائدتها غير أنّ معارضة فرنسا وانقلترا حالت دون اندلاع نزاع مسلّح روسي نمساوي.

تفاقم التوتّر من جديد سنة 1913 إثر انتصار دول البلقان (صربيا، بلغاريا، الجبل الأسود، اليونان) على الدولة العثمانيّة وحصول صربيا علي امتيازات ترابيّة ضاعفت مخاوف النمسا – المجر.

وفي هذه الظروف أقدم أحد الوطنيين البوسنيين يوم 28 جوان 1914 على اغتيال ولي عهد النمسا – المجر فرانسوا فرديناند في عاصمة البوسنة سراييفو.

استغلّت النمسا – المجر هذا الحادث كذريعة لمهاجمة صربيا في 28 جويلية 1914 وبحكم الأحلاف القائمة دخلت الشعوب الأوروبيّة غمار الحرب العالميّة الأولى بداية من 4 أوت 1914.

II – نتائج الحرب العالميّة الأولى :

1 ـ أهم النتائج البشريّة والاقتصاديّة :

أ– خسائر بشريّة فادحة :

كانت تكلفة الحرب باهظة جدّا للقارة القديمة إذ تكبّدت أوروبا لوحدها 59% من مجموع قتلى الحرب وجرحاها [7] كما عرفت الدول المشاركة في الحرب تراجعا ملحوظا في نسب الولادات ممّا أفرز اختلالات عميقة في البنية الديمغرافيّة لسكّان تلك البلدان كان من أهم ملامحها ارتفاع نسب الإناث والشّيوخ وتقلّص نسب السكّان النشيطين.

ب– تراجع مكانة أوروبا الاقتصاديّة لفائدة دول ما وراء البحار :

أفضت الحرب إلى دمار كبير لحق الاقتصاد الأوروبي إذ انهار الإنتاج الزّراعي بنسبة 20% كنتيجة لإتلاف ملايين الهكتارات من الأراضي الصالحة للزراعة. ونجم عن تدمير المنشآت الصناعيّة والبنى التحتيّة تدهور في الإنتاج الصناعي فاق 30% كما اضطربت المبادلات التجاريّة وفقدت أوروبا أسواقها القديمة في آسيا وأمريكا اللاّتينيّة. وبالجملة وجدت أوروبّا نفسها في وضع متردّ وضائقة اقتصاديّة خانقة.

كما أرغمت الدول الأوروبيّة على الاستدانة (أو التخلّي عن قسم كبير من مخزون الذهب عندها) من الدول غير الأوروبيّة لا سيما الولايات المتّحدة الأمريكيّة وتحوّلت بذلك من دول دائنة قبل الحرب إلى دول مدينة بعدها.

وأحدثت الحرب تحولات عميقة في المجتمعات الأوروبيّة كان من أبرزها تعاظم دور المرأة في الاقتصاد والمجتمع، وظهور فئة من أغنياء الحرب استفادوا من ظروف الحرب لتكديس ثروات طائلة بينما أدّى التضخّم المالي إلى تفقّر ذوي المداخيل القارّة والفئات الوسطى في المجتمع.

أمّا خارج القارّة الأوروبيّة فقد أعطت الحرب دفعا للإقتصاد الأمريكي إذ كانت هذه القوّة العالميّة الجديدة من أبرز المستفيدين من الحرب [8–9] هكذا أتاحت الحرب الأوروبيّة للولايات المتّحدة مضاعفة إنتاجها الزراعي والصّناعي عديد المرّات لتسديد حاجيات دول الوفاق وطلبات المحايدين، وحاجات القوّات العسكريّة الأمريكيّة بعد أفريل 1917. ومن الأمثلة على ذلك تأمين الولايات المتّحدة عام 1918 لـ48% من إجمالي الإنتاج الصناعي العالمي وتطوّر قيمة صادراتها من 2428 مليون دولار (قبل الحرب) إلى 5830 مليون دولار عام 1919. وفي نفس هذا العام كانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة تملك نصف المخزون العالميّ للذهب [8] وهكذا انتقل مركز الهيمنة الإقتصاديّة على العالم، بعد الحرب من أوروبا إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

وعلى صعيد آخر استفادت اليابان [8–9] الّتي كانت تعيش نهضة اقتصاديّة منذ نهاية القرن التّاسع عشر، من تراجع تجارة الدول الأوروبيّة في منطقة الشرق الأقصى، وبالتدريج حلّت محلّها في تزويد أقطار المنطقة بمنتوجاتها الصناعيّة وخاصّة الهند والصّين، وارتفع – تبعا لذلك – استهلاك اليابان لمادّة الفحم الحجريّ بنسبة 43% خلال فترة الحرب والحديد بنسبة 28 %.

ومن بين النتائج الأخرى لنهاية الحرب العالميّة الأولى تشديد استغلال القوى الإستعماريّة الأوروبيّة لمستعمراتها الّتي أصبحت مرغمة على التخصّص في تزويدها بمنتوجات فلاحيّة تلبّي حاجات الدول المستعمرة وتحويل أجود أراضيها الفلاحيّة من إنتاج مواد معيشيّة إلى إنتاج مواد تسويقيّة ممّا أدّى إلى حدوث مجاعات وموجات حراك سكاني من الأرياف باتجاه المدن. وكان من بين تداعيات هذه التحوّلات العميقة تصاعد مقاومة الشعوب المستعمرة للاحتلال ...

2ـ النتائج السياسيّة أو صعوبة إقرار تسويات سلميّة مستديمة :

افتتح مؤتمر الصلح في قصر فرساي بباريس في 18 جانفي 1919 واستمرّ حتّى شهر ماي من نفس العام. وقد هيمنت على فعاليّاته الدول الأربع المنتصرة في الحرب بعد أن تمّ استثناء الدول المنهزمة وروسيا من المفاوضات.

وتميّز موقف فرنسا بالحزم إزاء ألمانيا ورغبة باريس في اضعاف جارتها القويّة ضمانا لأمن حدودها الشرقيّة. وعارضت انقلترا المساعي الفرنسيّة خشية من أن يؤدّي إضعاف ألمانيا إلى اختلال ميزان القوى في أوروبا لفائدة فرنسا.

وخلال مؤتمر الصلح ضغط الرئيس الأمريكي وودرو ولسن W. Wilson بقوّة على ممثلي الدول المنتصرة كي يقبلوا بنقاطه الأربع عشر كأساس لتسويّة سلمية تقوم على حق تقرير المصير وإنشاء جمعية الأمم [10]

وانتهى مؤتمر الصلح بارغام ألمانيا على التوقيع علي معاهدة فرساي وهي معاهدة رفضها الألمان واعتبروها سلما مملاة Diktat. ومن أهم البنود الّتي تضمّنتها هذه المعاهدة إجبار ألمانيا على التخلّي عن 68 ألف كلم2 من ترابها الوطنيّ والتّنازل عن مستعمراتها بافريقيا وآسيا لصالح انقلترا وفرنسا وبلجيكا وجنوب افريقيا واليابان، ونزع سلاح ألمانيا وإرغامها على دفع تعويضات ماليّة للدول المنتصرة بوصفها المسؤولة عن الحرب [13]

ومن بين نتائج الحرب الأخرى إلى جانب سقوط النّظام القيصريّ في روسيا، ونهاية الرايخ الثّاني في ألمانيا، وانهيار الامبراطوريّة النمساويّة – المجريّة والإمبراطوريّة العثمانيّة، ظهور خريطة سياسيّة أوروبيّة جديدة [12] إذ ظهرت دول جديدة وتوسّعت دول قديمة على حساب أجوارها و لم تلبث أن ظهرت عيوب هذه المعاهدات إذ تمّت "بلقنة" أوروبا الوسطى والشرقيّة وتركها عرضة لأطماع الدول العظمى. كما أهملت المعاهدات الّتي وقعت عامي 1919 و1920 مع بقيّة الدول المنهزمة مسألة الأقليّات القوميّة والمشاكل الاقتصاديّة العميقة الجذور المترتّبة عن الحرب [11]

أمّا منظّمة جمعيّة الأمم [14] فإنّها لم تسلم من النقائص ممّا أثّر على أدائها وبالتّالي على العلاقات الدوليّة. فعلاوة على استثناء ألمانيا وروسيا من عضويتها، فإنّ الولايات المتّحدة رفضت الإنضمام إليها مما جعلها تتحوّل إلى أداة لخدمة مصالح الفرنسيين والأنقليز.

الخاتمة

بناء على النقائص العديدة الّتي تضمّنتها المعاهدات الّتي توّجت نهاية الحرب العالميّة الأولى، فإنّه يجوز القول أن شروط تلك المعاهدات قد انطوت على بذور الحرب العالميّة الثّانيّة.

الدرس العاشر توتر العلاقات الدولية بين الحربين العالميتين

المدخل

أدرس أسباب توتر العلاقات الدولية أثناء فترة ما بين الحربين العالميتين، ومظاهره، وأبرز ما رافقه من أخطار على السّلم والأمن الجماعي، لأتبيّن أهم أسباب الحرب العالمية الثّانية.

النشاط الأول أتعرف إلى أسباب توتر العلاقات الدولية :

الموارد

الوثيقة : 1

الكساد العظيم

أتى الكساد والتدهور بسرعة قياسية في أكتوبر 1929. ففي يوم 24 تداولت الأيدي أكثر من 12 مليون سهم في موجة من الفزع والخوف. وفي 29 حلّت الكارثة... وفقد ملايين المستثمرين كل ما ادخروه في حياتهم غير أنّ دوامة الهبوط لم تقف عند هذا الحدّ. فقد أوصدت بيوت الأعمال أبوابها، وكذلك المصانع، وأفلست المصارف وأصبح مئات آلاف العاطلين يجوبون الشوارع بحثا عن العمل، ولكن بدون جدوى. وفقد مئات الالاف من الأسر بيوتهم، وهبطت متحصلات الضرائب إلى درجة جعلت بعض المدن والمقاطعات عاجزة عن دفع مرتّبات المعلمين ووقف دولاب الأعمال الانشائيّة أو كاد. وتأثّرت التّجارة الخارجيّة تأثّرا بالغا وهبطت إلى مستوى لم يُعْهَدْ من قبل.

ألن نفينز A. Nevins وهنري كوماجر H. Commager

تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، مصطفى عامر، القاهرة بدون تاريخ ص 499 ـ 500

الوثيقة : 2

ألمانيا والأزمة الاقتصادية العالمية (1929 ـ 1930)

«ألمت العاصفة الاقتصادية بألمانيا، واضطرت المصارف الأمريكية أن تواجه التزامات مالية محلّية متضاعفة، فأحجمت عن تقديم المزيد من القروض لألمانيا بعد أن كانت بالأمس القريب تمدّها بها دون حذر، وتصرّفُ كهذا أدّى إلى إقفال وانهيار عدد كبير من المصانع والمؤسسات التي تتوقّف عليها نهضة البلاد السلميّة..

وبلغ عدد العاطلين عن العمل 3,2 مليون...».

ونستون تشرشل المذكرات، العاصفة تقترب، ص 62 ـ 63

ورد في : أحداث القرن العشرين، لبيب عبد الساتر، دار المشرق، بيروت، 1997 . ص 77

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقتين (1 و2) :

- استخلص أهم النتائج المباشرة للأزمة.
- وضح العلاقة بين اندلاع الأزمة في الولايات المتحدة الأمريكية وامتدادها السريع إلى القارة الأوروبية.

الوثيقة : 3

القوميّة الإقتصاديّة

يعدّ ضعف الإيمان بالسّلم منذ ثلاث أو أربع سنوات من أهمّ الظّواهر النّفسانيّة في الوقت الحاضر. فلا اهتمام إلاّ بالتّسلّح وبما يقع من إتّفاقات عدم الإعتداء الشبيهة في مضمونها بالأحلاف. أمّا جمعيّة الأمم الّتي إنسلخ عنها البعض فقد سخر منها البعض الآخر. وإنّنا لنتساءل أن تكون حضارتنا قد أشرفت على الإنهيار. ويضاف إلى كلّ أشكال القوميّات الّتي تهدد السّلم في العالم، القوميّة الإقتصاديّة. وإن ألقينا مجرّد نظرة سريعة على عالمنا نراه كلّه مرشقا بحواجز جمركيّة آخذة في الإرتفاع والمناعة. إنّها حرب إقتصاديّة يشنّها الجميع ضدّ الجميع ويمكن أن تتمخّض عنها الحرب الأخرى في كلّ حين.

هـ موزر : «ما قبل الحرب»

الكتاب المدرسي السّنة السابعة طبعة 1985 ج II ص 23

الوثيقة : 4

البلدان الغنيّة والبلدان «البروليتارية»

«البلدان الغنيّة» هي فرنسا وانقلترا [...] والبلدان «البروليتارية» هي ألمانيا، وإيطاليا، واليابان، كانت هذه هي الصيغة الموفقة الرائجة في الصحافة والمنشورات الدعائية في حدود عام كان هذا التعارض خفيّا في بداية الأمر، ثم لم يلبث أن أصبح صريحا...».

بيار رينوفان Pierre Renouvin

تاريخ العلاقات الدولية، الجزء 8، أزمات القرن العشرين

هاشيت، 1985 ص 21

التعليمات

انطلاقا من الوثيقتين (3 و4) :

- بيّن كيف واجهت الدول الرأسمالية نتائج الأزمة ومخلفاتها.
- استخلص دور الأزمة في خلق تضاد صلب البلدان الرأسمالية.

الوثيقة : 5

ظروف انتصاب الدكتاتورية الفاشية

«إن السمات المميزة للمواقع الفاشي يمكن استنتاجها من درس الحوادث التي وقعت في إيطاليا حيث قامت الحركة، ومن ثمّ في ألمانيا، المسرحين الرئيسيين لها. برزت الفاشية في بلدين راحا إلى حدّ بعيد ضحية للاضطرابات والقلق الاجتماعي من جراء معاناتهما من حدّة البطالة ولعدم استقرار العملة فيهما. فقد شهد كلا البلدين ثورة شعبية حركت من الأعماق الجماهير الهائلة، بعد أن ضمتا إلى مطالبهما القومية والإجتماعية ما شعرتا به من الانسحاق الوطني، ومن وضع اقتصادي اعتبرتاه لا يطاق، ومن نظام سياسي اعتبرتاه عاجزا في الأساس وفاسدا في الصميم...»

موريس كروزيه

تاريخ الحضارات العام، العهد المعاصر،

التّرجمة العربيّة، ط، 4 . 1998 ، ص 215

إضاءات

الدولة الكليانية أو الشمولية هي من المفاهيم التي راجت مع قيام الأنظمة الفاشية والتي تجسدت ترجمتها في تركيز جميع السلطات في دولة ما في أيدي حزب واحد لا يسمح بظهور احزاب أخرى منافسة له. وتركز الدولة الكليانية على أهمية الدولة بحيث لا وجود للفرد خارج مجال هذه الدولة وفي المقابل، تضفي النظم الكليانية على القائد الزعيم (الدوتشي في إيطاليا والفوهرر في ألمانيا) نوعا من القداسة فهو في نظرها معصوم من الخطأ.

التعليمة

■ استخلص من الوثيقة 5 أهم الظروف التي مهدت الطريق أمام انتصار الدكتاتوريات في ايطاليا وألمانيا.

إضاءات

فترة انفراج ووفاق سبقت إخفاق الأمن الجماعي

مرت العلاقات الدولية ما بين 1924 ونهاية 1929 بفترة من الانفراج. وكان الشعور بوجوب إقامة سلم مستديمة على أساس «الأمن الجماعي»، في إطار جمعية الأمم يحدو جميع الأطراف. ومن بين مظاهر هذا الانفراج :

- توقيع معاهدة لوكارنو Locarno سنة 1925. وقد دشنت هذه المعاهدة عهدًا من التقارب الفرنسي - الألماني.
- قبول ألمانيا في جمعية الأمم عام 1926.
- توقيع فرنسا وإنقلترا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وإيطاليا وألمانيا واليابان على ميثاق «العزوف عن الحرب» سنة 1928. وقد نصّ هذا الميثاق على ضرورة حل جميع الخلافات بالطرق السلميّة، والاحجام عن اللّجوء إلى الحرب.

بينيتو موسوليني (1883 - 1945)
شارك في الحرب العالمية الأولى، أسس الحزب الفاشي اثر نهايتها. استغل الفراغ السياسي الذي شهدته إيطاليا بين 1921 و1922 ليزحف على روما بواسطة «حزم الكفاح» التي كونها عام 1919 وهو ما جعل الملك فكتور إيمانويل الثالث يعينه لرئاسة الحكومة في أكتوبر 1922. تفرد موسوليني وحزبه بالسّلطة في إيطاليا بعد 1925. وفي سنة 1940 دخل الحرب العالمية الثانية إلى جانب هتلر حليفه الأول في أوروبا.

أدولف هتلر (1889 - 1945)
شارك في الحرب العالمية الأولى. انخرط في الحزب القومي الاشتراكي الألماني سنة 1919. سجن عام 1923 بسبب تزعمه لحركة انقلابية في مونيخ ضد حكومة بفاريا. ألف عام 1924 كتابه المعروف «كفاحي» الذي حوى خلاصة «الفكر النازي» أصبح مستشارا لألمانيا سنة 1933 اثر فوز الحزب النازي في الإنتخابات التشريعية في جانفي 1933 سلك سياسة خارجية توسعية قادت إلى الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939.

الوثيقة : 6

المجال الحيوي لإيطاليا

«إن على ايطاليا إيجاد مجالات خارج أوروبا تتيح استقبال فائض السكان وتوفر للبلاد المواد الأولية الضرورية لصناعتها »

من تصريح غراندي Grandi كاتب الدولة للشؤون الخارجية الإيطالية
أورده بيار رينوفان، نفس المرجع، ص 28

الوثيقة : 7

مقتطفات من برنامج الحزب النازي :

1 - نطالب بتوحيد جميع الألمان في إطار ألمانيا الكبرى...
2 - نطالب بمساواة الألمان في الحقوق مع الشعوب الأخرى وإلغاء معاهدتي فرساي وسان جرمان.
3 - نطالب بالأراضي الضرورية لتغذية شعبنا واستقرار فائض سكانه.

أورده والتر هوفر W. Hofer في «**الوطنية الإشتراكية من خلال النصوص**» باريس، بلون Plon، 1963، ص 253

الوثيقة : 8

«المجال الحيوي» لألمانيا

إنّ تصفيّة حساب فرنسا خطوة ضروريّة أولى لا بدّ لكلّ ألماني مخلص من إقرارها. لكن تظلّ خطوة عقيمة إن إكتفينا بهذا القدر. فإزالة الشّوكة الّتي تهدّد ظهرنا في الغرب يجب أن تكون بداية الإنطلاق نحو توسيع مساحة الأرض الّتي نعيش عليها. وقد أوضحت في فصل سابق أنّ توسّعنا خارج أوروبا لا يقضي على المشكلة، فليس المطلوب إخضاع بعض الشعوب الملوّنة للسيطرة الألمانيّة، إنّما المطلوب الحصول على أرض أوروبيّة تتسع بها رقعة الوطن الأمّ. وطبعا هذا التّوسّع سيكون على حساب الشّعوب الأخرى، ونحن الألمان إذ نفكّر أنّ هذا التّوسّع على حساب الآخرين عمل غير مشروع نكون قد إبتعدنا عن المنطق وكذّبنا التّاريخ. إنّ حقّ الشّعب في الإستيلاء على أرض جديدة يصبح حقّا مقدّسا عندما يضيق الوطن بمن فيه ويوشك أبناؤه على الهلاك اختناقا. فأمّا أن تصبح لألمانيا قوّة عالية أو لا تكون. والشّرط الأساسي للوصول إلى مستوى الدّول العظمى هو إحرازها «المجال الحيوي» الذي يؤمن لشعبها مقوّمات البقاء».

هتلر : **كفاحي** : الإتجاه نحو الشّرق، منشورات المكتبة الأهليّة بيروت، 1968، ص 251 — 252

الوثيقة : 9

من المذكّرة السرّية لهتلر سنة 1936

ينبغي أن يتطوّر جيشنا ، فإذا فشلنا في تحول الجيش الألماني (WEHRMACHT) إلى أوّل قوّة عسكريّة في العالم، فإن هذا سيؤدّي إلى ضياع ألمانيا... وعليه فقد استقرّ رأيي على تحديد المهمّتين التّاليتين :

أوّلا : ينبغي أن يكون الجيش الألماني جاهزا لمواجهة كلّ الاحتمالات.

ثانيا : خلال أربع سنوات من الآن، يجب أن يكون الاقتصاد الألماني قادرا على تحمّل مجهود الحرب.

من «**المذكّرة السريّة لهتلر**» ذكره هوفر W. Hofer في «**القومية الاشتراكية من خلال النّصوص**»، منشورات بلون Plon، 1963، ص 107.

الوثيقة : 10

عسكرة الاقتصاد الياباني

«الحزب العسكري الّذي تولّى الحكم في البلاد وسع من نطاق سلطته على الحكومة [...] وتابع بنشاط محموم تصنيع منشوريا * ، كما واصل تأييد تغلغل الجيش في الصّين.

وفي اليابان، كما في ألمانيا وفي إيطاليا، نحن أمام اقتصاد موجّه للحرب، إذ أخضعت المشروعات والاستثمارات الخاصّة للاعتبارات الاستراتيجيّة ، وتوسّع يوما بعد يوم إشراف الحكومة على الاقتصاد والتّجارة الخارجيّة والبنوك بعد أن وجهت نحو الصّناعات الحربيّة...»

موريس كروزيه

العهد المعاصر، الجزء 7، ص 147

* منشوريا : إقليم شاسع يقع إلى الشمال الشرقي من الصين. اشتهر هذا الإقليم بتنوع ثرواته الزراعية (أرز، سوجا) والطاقية (فحم حجري) مما جعل منه محل أطماع روسية ـ يابانية منذ نهاية القرن التاسع عشر.

احتلت اليابان هذا الإقليم سنة 1931 وحوّلته إلى «محميّة» تابعة لها. وفي سنة 1945 استعادت الصين إقليم منشوريا إثر هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية.

الوثيقة : 11

من دوافع التوسع الياباني

«لقد كان اختناق الوضع الاقتصادي وما ترتب عليه من انهيار للصادرات ذريعة وظّفها دعاة السياسة التوسعيّة. وابتداء من 1931 أصبح دور العسكريين فاعلا في توجيه سياسة البلاد. وقد لقي هؤلاء الدّعم الكامل من قبل بارونات الصناعة الثقيلة المنادين بضرورة انتهاج سياسة تسلّح وفتوحات خارجية...».

بيار ميلزا

العلاقات الدولية 1918 ـ 1939، باريس أرمان كولان، 1998، ص 104

التعليمات

- استخلص من الوثيقتين (10 و11) تأثير أزمة الثلاثينات على الوضع الداخلي في اليابان.
- حدّد القواسم المشتركة بين دوافع التوسعات الايطالية، والألمانية واليابانية خلال ثلاثينات القرن العشرين.

إضاءات

نقائص «معاهدات السلام»

تضمنت أهم المعاهدات التي توجت نهاية الحرب العالمية الأولى (فرساي، سان جرمان، تريانون، نويي...) نقائص عديدة، تعلّقت خاصّة بمسائل الأقليات القومية فقد جاءت شروط معاهدة فرساي قاسية تجاه ألمانيا، أضف إلى ذلك أن معضلة الأقليات القومية (التي شكلت أحد الأسباب الرئيسية في اندلاع الحرب العالمية الأولى) ظلت بدون حلّ جذري إذ شملت شعوبا عديدة ومختلفة في أوروبا الوسطى والشرقية حتى باتت عديد الدول مهدّدة في وحدتها. ففي بوهيميا من تشيكوسلوفاكيا كان هناك ثلاثة ملايين ألماني، وفي بولونيا كان يعيش مليونان من الألمان وبضعة ملايين من الأوكرانيين، وفي رومانيا كان يقطن أكثر من مليون مجري وحوالي مليون روسّي..

الوثيقة : 12

مثال عن عجز جمعية الأمم* : فشل العقوبات الاقتصادية المتخذة ضد إيطاليا

«يجب علينا أن نقر بأن العقوبات لم تمكّن من بلوغ الأهداف التي وضعت من أجلها. فالحملة العسكرية الإيطالية كلّلت بالنجاح. العاصمة والمناطق الهامة بأثيوبيا وقع احتلالها عسكريا من طرف الايطاليين... إنها وضعية يجب علينا أن نواجهها... لم يعد هناك فائدة في مواصلة تطبيق هذه الاجراءات للضغط على إيطاليا..».

من تصريح أنطوني إيدن وزير خارجية بريطانيا 8 جوان 1936،
ورد في نصوص تاريخية لشولونج، بيروت 1980، ص 137

* امثلة أخرى عن العجز :
- إخفاق جمعية الأمم في التصدّي للاحتلال الياباني لِمَنْشوريا 1931.
- فشل ندوة جينيف 1933 للحد من التسلح.

التعليمة

بالاعتماد على الوثيقة (12) والإضاءات وعلى نتائج الحرب العالمية الأولى :

■ استخلص هشاشة قرارات مؤتمر الصلح (جانفي 1919) وهشاشة «سلام المعاهدات» التي كلّلت نهاية الحرب العالمية الأولى.

النشاط الثاني أتعرف إلى مظاهر التوتر في العلاقات الدولية :

الوثيقة : 13

هتلر يبرّر انسحاب ألمانيا من جمعيّة الأمم*

لم نعد ننتمي لجمعيّة الأمم لعدم إعتقادنا بكونها مؤسّسة في خدمة الحقّ، بل هي مؤسّسة للدّفاع عن مظالم معاهدة فرساي.

لقد انسحبنا من جمعيّة الأمم منذ فترة طويلة لأنّها، نظرا لماضيها ولالتزاماتها، تَحْجِبُ عنّا حقّنا بالمساواة في التسلّح وبالتّالي بالمساواة في الأمن. لن نعود إليها مُطلقًا إذ لا نية لنا في الإنقياد لحماية الظّلم، في أيّ بُقعة من العالم وقع... ونعتقد بأنّنا نخدم جميع شعوب العالم الّتي تقودها تعاستها إلى الإتّكال على الجمعيّة...

وأخيرًا لن نقبل في المستقبل أن تُلزمنَا أيّ مؤسّسة دُوليّة بخطّ يمنع الإعتراف بواقع الأمور، لاَ بَلْ يتنافى مع التصرّف بتفكير ويقترب من «سياسة النّعامة».

مُقتطف من خطاب هتلر في البرلمان الألماني في 20 فيفري 1938
شولنج «**نصوص تاريخيّة**» ج 1 ص 138
أورده لبيب عبد الساتر في «**أحداث القرن العشرين**» ص 85
الطّبعة الخامسة، بيروت 1986

* انضمت ألمانيا إلى جمعية الامم سنة 1926

التعليمات بالاعتماد على الوثيقة (12) :

بالاعتماد على الوثيقة (13) :

■ بيّن أهم الحجج التي استند إليها هتلر ليبرّر خروج ألمانيا من جمعيّة الأمم.

■ وضح مدى انسجام هذا القرار مع المخطط الذي ضبطه هتلر في كتاب «كفاحي» ؟

الوثيقة : 14

«لقد تكونت جبهة مضادة لألمانيا... غير أن ذلك لن يفيد إلا في المستقبل ولمواجهة خروقات قادمة، أما الماضي فقد بات في عداد المكاسب ذلك أن الدول العظمى لم تطالب ألمانيا بالغاء قانون التجنيد الإجباري، ومع ذلك فإن ألمانيا التي كانت تراهن على خلافات الدول العظمى قد انزعجت كثيرا من وفاق الدول الثلاث... و لم يسبق للنازيين في نظري، أن وصلوا إلى هذه الدرجة من الحنق واليأس فلو استمر التلاحم والتحالف الذي ظهر في استريزا لما استطاع هتلر التفكير في تنفيذ مشاريعه التوسعية...».

A.F.Poncet أ. ف بونسيه*، من **فرساي إلى بوتسدام**، 1948، ص 202.

* أ. **ف بونسيه** : سفير فرنسا في برلين إبّان **وصول هتلر** إلى الحكم سنة 1933

استريزا : Stresa مدينة تقع بالشمال الإيطالي، اشتهرت بوصفها منتجعا سياحيا. انعقد فيها في مطلع فيفري 1935 مؤتمر سياسي جمع إيطاليا وفرنسا وإنقلترا حمل اسم هذه المدينة.

الوثيقة : 15

«لقد جاء الرد الفرنسيّ على العروض الودية وعلى الضمانات السلمية المتكررة التي قدّمتها ألمانيا، بعقد فرنسا تحالفا عسكريا مع الاتحاد السوفياتي موجها أساسا ضدنا... وبمقتضى الحق الثابت لكل الشعوب في ضمان حدودها وتأمين وسائل دفاعها، فإن الحكومة الألمانية قد استعادت كامل سيادة الرايخ على رينانيا منزوعة السلاح. وفي هذه اللحظة التاريخية التي أتوجه إليكم فيها، يدخل الجنود الألمان إلى الأقاليم الغربية ليلتحقوا بالثكنات التي كانوا يحتلونها في فترة السلم...».

من خطاب لهتلر أمام الريخستاغ

(7 مارس 1936) ولتر هوفر W. Hofer

Le National-Socialisme par les textes القومية الاشتراكية من خلال النصوص

باريس، بلون، "Plon" 1963، ص 218

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقتين (14 و 15) :

- بيّن كيف تجلى عجز الدول العظمى الأوروبية إزاء انتهاكات هتلر لمعاهدة فرساي.
- استخرج من الوثيقة (14) أهم الذرائع التي قدمها هتلر ليبرّر إعادة تسليح رينانيا.

الوثيقة 16

التوسّع الإيطالي في أثيوبيا

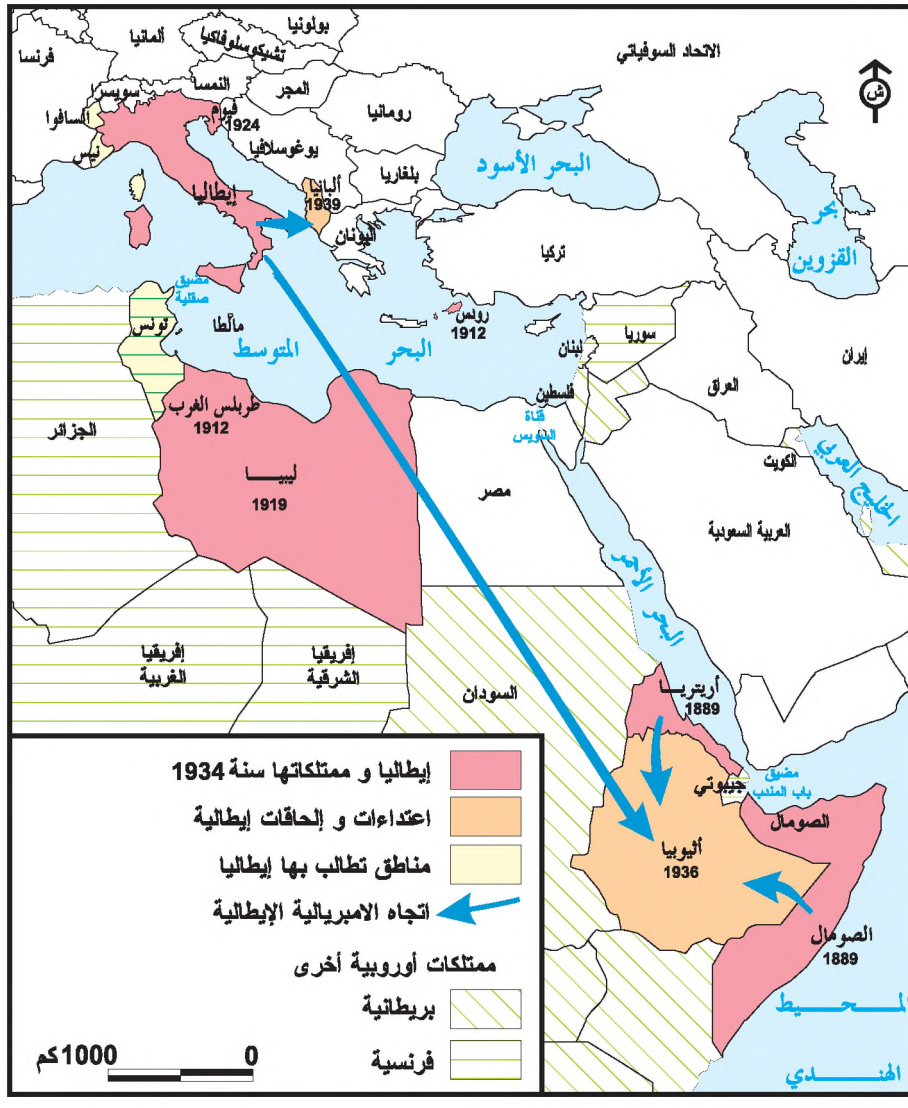

الوثيقة 17

التوسّع الياباني في الصّين

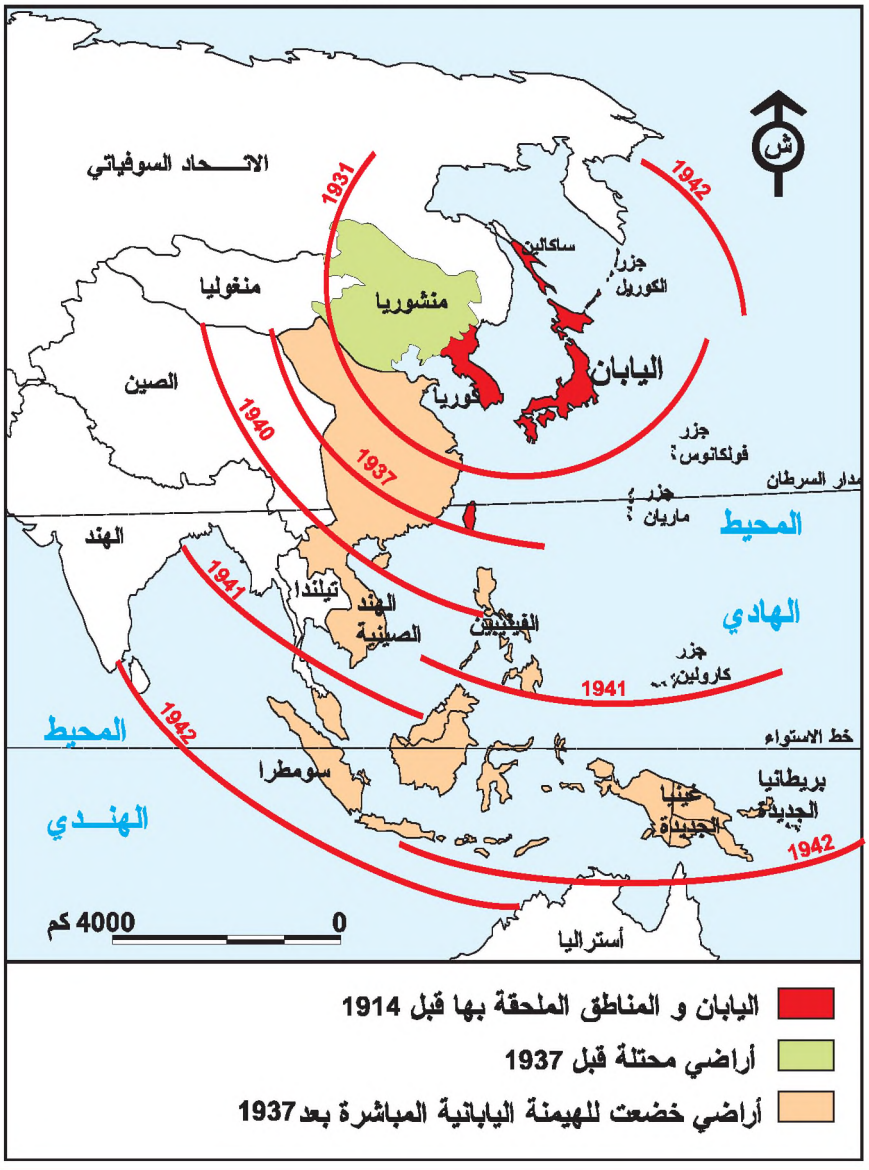

التعليمات

باعتماد الوثيقتين (16 – 17)

- وضّح مدى اتّساع المجال الاستعماري لإيطاليا واليابان إلى حدّ مطلع الثلاثينات.
- حدّد مجال توسّع الدّولتين.
- بيّن العلاقة بين هذا المدّ التوسّعي ومخلّفات أزمة الثلاثينات في البلدين.

الوثيقة : 18

«إن مستقبل سياستنا الخارجية لا يكمن في الاختيار بين التوجه نحو الغرب والتوجه نحو الشرق وإنما في انتهاج سياسة شرقية تمكننا من الحصول على الأرض الزراعية الضرورية لشعبنا الألماني. وما دام ذلك يتطلب منا أن نكون أقوياء، وما دامت فرنسا، العدو الأكبر لشعبنا تصرّ على إضعافنا والامساك بخناقنا دون رحمة*، فمن واجبنا أن نتحمل جميع التضحيات من أجل القضاء على ميول فرنسا إلى الهيمنة. وكل قوة عظمى ترفض معنا الأهواء الفرنسيّة في الهيمنة على القارة، يجب أن نعتبرها اليوم حليفا طبيعيا لنا. لذا لا ينبغي أن نعتبر أي مسعى في اتجاه هذه القوى مسعى قاسيا ولا أي تنازل مستحيلا، مادام ذلك سيمكننا من القضاء على عدونا...».

أدولف هتلر، **كفاحي** 1924 ذكره هوفر، نفس المرجع، ص 178.

* سعت فرنسا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لمنع الدول المنهزمة، وفي مقدمتها ألمانيا من التفكير في مواجهة المعاهدات فكونت ما بين سنتي 1920 - 1921 الوفاق الصغير (la Petite entente) وقد تألف من رومانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا.

التعليمة

■ استخلص من الوثيقة (18) منطلقات السياسة الخارجية الهتلرية.

الوثيقة 19

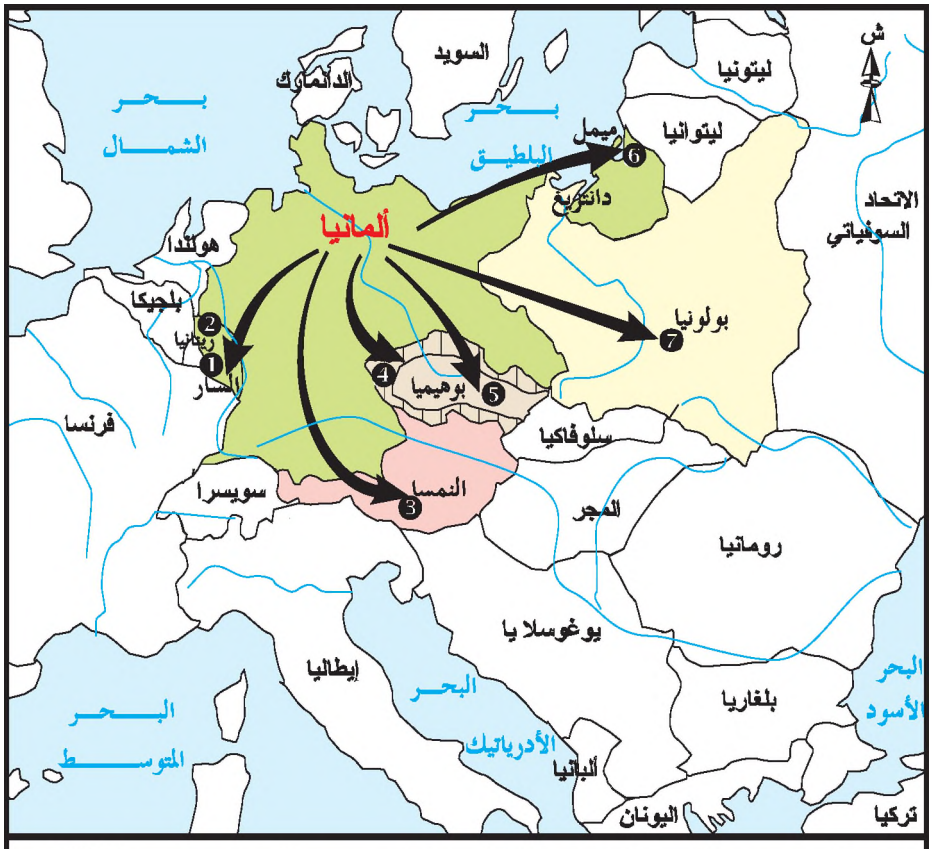
ش
السويد
الدانمارك
ليتونيا
بحر الشمال
بحر البلطيق
ميمل
ليتوانيا
دانتزيغ
الاتحاد السوفياتي
ألمانيا
هولندا
بلجيكا
بولونيا
رينانيا
الزار
بوهيميا
فرنسا
سلوفاكيا
سويسرا
النمسا
المجر
رومانيا
يوغوسلا يا
إيطاليا
البحر الأدرياتيك
بلغاريا
البحر الأسود
البحر المتوسط
ألبانيا
اليونان
تركيا
500 كم
0
التوسع الألماني من 1935 إلى 1939
1 الاستفتاء حول منطقة السار (جانفي 1935)
2 إعادة تسليح رينانيا مارس 1936)
3 ضم النمسا (13 مارس 1938)
4 ضم السودات (30 سبتمبر 1938)
5 الحماية الألمانية على بوهيميا ومورافيا (مارس 1939)
6 إلحاق ميمل (23 مارس 1939)
7 الهجوم على بولونيا (1سبتمبر 1939)

الوثيقة 20

بطاقة بريديّة للانشلوس تحمل صورة هتلر على خريطة ألمانيا – النّمسا وهو يرنو نحو تشيكوسلوفاكيا

إضاءات

مؤتمر مونيخ 29 30 ـ **سبتمبر** 1938

حضر هذا المؤتمر كلّ من موسلوني (إيطاليا) هتلر (ألمانيا) شمبرلاين (إنقلترا) ودلاديي (فرنسا) في غياب تشيكوسلوفاكيا الدّولة المعنيّة بالمسألة الّتي تداولها المؤتمر وهي مصير إقليم السّودات الّذي تقطنه أقليّة ألمانيّة. انتهى المؤتمر برضوخ كلّ من فرنسا وإنقلترا لمطالب هتلر الاقليميّة المتمثّلة في ضمّ إقليم السودات.

الوثيقة 21

دخول الجيش الألماني لبراغ في 30 سبتمبر 1938

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق (19، 20، 21) والإضاءات :

- حدّد اتجاه المد التوسعي الألماني ما بين 1935 – 1939
- وضح مدى توافق تلك التوسعات مع مفهوم المجال الحيوي الذي سعى هتلر إلى تجسيده.

الوثيقة : 22

«إن جوهر القضية لا يكمن في دانتزيغ. بل الذي يهمنا هو توسيع مجالنا الحيوي في اتجاه الشّرق وضمان الموارد الغذائية... والتزود بالمواد الغذائية، لا يمكن أن يتم إلا من المناطق القليلة السكان. وإذا شاء القدر أن نتواجه مع الغرب فسيكون من الأفضل أن نمتلك مجالا أكبر في الشرق، إذ لا يمكن أن نراهن في زمن الحرب على رقم قياسي في الانتاج كما لو كنا في زمن السلم... إن مسألة بولونيا لا ينبغي فصلها عن حساباتنا مع الغرب. فصرامة بولونيا، على المستوى الداخلي، تجاه البلشفية أمر مشكوك فيه، ولهذا السبب فإن بولونيا لا تشكل سوى حاجز ضعيف ضد روسيا، ولا يمكن بالتالي أن نبقي عليها...».

من خطاب لهتلر أمام قادة الجيش الألماني

3 ماي 1939 ذكره ولتر هوفر في :

هتلر يعلن الحرب، منشورات سوي، Seuil 1967 ص 193

الوثيقة 23

جنود ألمان يزيلون الحاجز الحدودي بين ألمانيا وبولونيا (1 سبتمبر 1939)
إيذانا ببداية الهجوم على بولونيا.

الوثيقة : 24

«إننا التزمنا قولا بالدفاع عن بولونيا ضد كل هجوم عليها. أما لماذا رأينا واجبا علينا الالتزام بالدفاع عن هذه الدولة الشرقية فالجواب هو : ما من رجل في بريطانيا له الثقة بعد بكلام رئيس ألمانيا. لقد اعطى قوله باحترام معاهدة لوكانو ونقض كلامه. لقد أعطى قوله بأن لا رغبة له أو نية في ضم النمسا، وحنث بكلامه. لقد أعلن بأنه لن يضم التشيكيين إلى الرايخ، وكان ذاك ما فعل. لقد أعطى قوله بعد مونيخ بآن ليس له مطامع إقليمية أخرى في أروبا، ونكث بوعده. لقد أعطى قوله بأن لا يريد مقاطعات بولونية ونكث...».

من خطاب شمبرلاين الموجه إلى الشعب الألماني في 4 سبتمبر 1939، شولونج ، نصوص تاريخية ج 1، ص 145،

أورده لبيب عبد الساتر في **أحداث القرن العشرين**، ص 95

التعليمات

اعتمادا على الوثائق (22، 23، 24)

- بيّن الدوافع الحقيقية الكامنة وراء إثارة هتلر لقضية ميناء دانتزيغ.
- حدّد أسلوب هتلر في التعامل مع القوى الأوروبية بخصوص مطالبه الإقليمية.
- بيّن الموقف الجديد الذي اتخذته انقلترا تجاه السلوك الألماني واستنتج تداعيات ذلك الموقف.

أستخلص

المقدمة :

عرفت العلاقات الدوليّة بعد فترة الانفراج الّتي مرّت بها خلال النّصف الثّاني لعشرينات القرن الماضي – ابتداء من سنة 1931 ، مرحلة من التوتّر . وقد بلغ هذا التوتّر الدّولي ذروته خلال الفترة 1938 – 1939 .

I – أسباب عودة التوتر للعلاقات الدولية :

جدّدت العلاقات الدولية العهد مع التوتر والاحتقان على خلفية أزمة الثلاثينات الاقتصادية وبدفع من الأنظمة الكليانية.

1- أزمة الثلاثينات واتّساع الفجوة بين الدّول الرأسماليّة :

تسببت أزمة الثلاثينات (1، 2) في اتساع الهوة بين الدول الرأسمالية، وزادت في إذكاء الأطماع التوسعيّة لعدد من الدول المتضرّرة من عواقبها.

لم تسع الدول الرأسمالية إلى استنباط حلول جماعية للمشكلات الإقتصادية والنقدية الناجمة عن تلك الأزمة العالمية، واكتفت كل دولة بمحاولة ايجاد حلول قومية واجتهدت في حماية انتاجها الوطني بإقامة الحواجز القمرقيّة. ولقد ترتب على تلك السياسة التي دعيت بالقومية الاقتصادية (3) ظهور مجموعتين من الدول (4) اختلفت من حيث قدرة مواردها الإقتصاديّة الذاتيّة في مواجهة تداعيات الأزمة : تألفت المجموعة الأولى من دول غنية، تمكنت بفضل أهمية أسواقها الداخلية وامبراطورياتها الاستعمارية من تجاوز مخلفات الأزمة بسرعة نسبيّة وتألفت من الولايات المتّحدة وانقلترا وفرنسا.

أما المجموعة الثانية فقد كانت أقل غنى وتكوّنت من بلدان كانت تشكو من ضيق أسواقها الداخلية، ومن تبعية في مجال الطاقة والتزود بالمواد الأولية علاوة على افتقارها للمستعمرات، وتألفت هذه المجموعة بالخصوص من ألمانيا واليابان وايطاليا.

وقد سعت دول الفئة الثانيّة، في محاولة منها لتعويض افتقارها للمستعمرات والتخفيف من حدّة الأزمة إلى نهج سياسة اكتفاء ذاتي، واعتماد اتفاقيات الكليرين Clearing الثنائية في مجال المبادلات التجارية، وهي اتفاقيات كانت تربط كل من ألمانيا وإيطاليا ببعض بلدان أروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية. بيد أن محدودية نتائج تلك السياسة كانت من بين أسباب انتهاج تلك البلدان سياسات توسعية كحلّ لمشاكلها الإقتصادية المتعاظمة.

2 - البرامج التوسعية لليابان وايطاليا وألمانيا :

أضعفت الأزمات الاقتصادية والنقدية والاجتماعية (وخاصة أزمة الثلاثينات) التي عصفت بالبلدان الرأسمالية الغربية الأنظمة الديموقراطية البرلمانية، وفي المقابل مهدت الظروف لوصول أحزاب فاشية (5) إلى السلطة في عدّة دول حيث ظهرت حكومات دكتاتورية تسبّبت بفعل أطماعها التوسعية واعتمادها برامج تسلح مكثفة (9) في عودة التوتر للعلاقات الدولية بعد فترة انفراج استمرت من 1924 إلى 1930.

ففي ايطاليا دعا موسوليني إلى «إعادة أمجاد روما» من خلال التوسع في منطقة البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا (6)

وفي ألمانيا بدأ هتلر سنة واحدة بعد وصوله الحكم (1934) في تطبيق ما جاء في كتابه «كفاحي» من برنامج توسعيّ دعي «بالمجال الحيوي» (8) في أوروبا الوسطى والشرقيّة.
أما في اليابان فقد انتقلت السلطة في مطلع الثلاثينات إلى حكومة عسكرية (الوثيقة 10) وجهت جهودها نحو الصناعات الحربية وشرعت في انتهاج سياسة توسعية عنيفة (11) في الصين.
هكذا احتدّ التنافس التوسعي نتيجة مطلب «إعادة اقتسام العالم» الذي رفعته الأنظمة الدكتاتورية، وتصدّع الوفاق حول جمعية الأمم وبرزت للعيان نقائص سلم المعاهدات التي توّجت نهاية الحرب العالمية الأولى (12).

II – مظاهر عودة التوتر للعلاقات الدولية :

1- وقائع تدهور «الأمن الجماعي» (1931 – 1935)

أ ـ اليابان وألمانيا والبحث عن تحقيق «المجال الحيوي»

عمدت اليابان عام 1931 إلى احتلال اقليم منشوريا التابع للصين مستغلة حادثة تخريب الوطنيين الصينيين لخط سكة حديدية جنوب الإقليم. وبالتدرّج حول اليابانيون هذا الإقليم الصيني إلى محميّة يابانيّة أطلقوا عليها اسم مندشوكوو Mandchoukouo ورغم الموقف المعتدل لجمعية الأمم إزاء ذلك الاعتداء فإن اليابان لم تتردد في مغادرة تلك المنظمة الدولية عام 1933 لتصبح طليقة اليَدَيْن في بقية أجزاء التراب الصينيّ.
وفي ألمانيا أعلن هتلر في أكتوبر 1933 عن انسحاب بلاده من جمعية الأمم (13) ثم بدأ تسليح ألمانيا، وحاول في جويلية 1934 ضم النمسا إلى ألمانيا بحجّة أن أغلب سكانها يتكلمون الألمانية لكنه جوبه بمعارضة أوروبية تزعمتها إيطاليا. وكرد فعل على هذا الفشل أقدم هتلر على استرجاع منطقة السّار (La Sarre) سنة 1935 على إثر استفتاء صوت فيه 97 ٪ من السكان لفائدة الإنضمام إلى ألمانيا. وقد شجعت تلك الخطوة زعيم ألمانيا على اتخاذ قرار إعادة الخدمة العسكرية الإجبارية، وهو ما كان يتعارض مع بنود معاهدة فرساي.

ب ـ موقف القوى الأروبية من التهديدات الألمانية :

بعد اتضاح النوايا التوسعية الألمانية، تحركت بقية القوى الأروبية في محاولة للوقوف في وجه أطماع ألمانيا وعزل هتلر سياسيا في القارة الأوروبية.
وكان من نتيجة تلك المساعي ظهور جبهة معارضة لألمانيا سنة 1935 دعيت جبهة استريزا Stresa تألفت من فرنسا وانقلترا وإيطاليا.
وفي نفس العام حصل تقارب بين الاتحاد السوفياتي وفرنسا (15) نتيجة تخوّف هذين البلدين من الطموحات التوسعية لألمانيا.
بيد أن تلك السياسة الرامية إلى عزل ألمانيا لم تلبث أن أخفقت نتيجة لمهادنة انقلترا لألمانيا، وانسحاب إيطاليا من جبهة استريزا سنة 1936 الأمر الذي شجّع هتلر في 7 مارس 1936 على إعادة تسليح رينانيا (15).
ولقد ترتب على التصعيد الهتلري نتائج خطيرة في مستوى العلاقات الدولية إذ بدأت مجموعة من الدول الأوروبية في التخلّي عن مساندة فرنسا وعملت في نفس الوقت على التقرّب من ألمانيا باعتبارها حليفا قويا، وهو ما مهّد لظهور سياسة المحاور.

2 ـ سياسة المحاور 1935 ـ 1937

تميّزت هذه الفترة بتطور سياسة المحاور التي انتهجتها الأنظمة الكليانية من تحالفات دفاعية إلى تحالفات هجومية. كما دشنت العلاقات الدولية خلالها مرحلة جديدة من التوتر والعنف نتيجة للإعتداءات الإيطالية واليابانية في إفريقيا وآسيا.

أ ـ التوسع الإيطالي في أثيوبيا والياباني في الصين :

أقدمت إيطاليا في أكتوبر 1935 على احتلال اثيوبيا مستغلة العجز الذي ظهرت عليه جمعية الأمم إثر الاحتلال الياباني لمنشوريا (17.16) وانشغال كل من فرنسا وانقلترا بانتهاكات هتلر المتكررة لبنود معاهدة فرساي.

ولقد نجم عن هذا الإعتداء الذي استهدف البلد الافريقي الوحيد المنتمي إلى جمعية الأمم، نتائج سيئة على تطور العلاقات الدولية إذ ساهم في تردّي علاقات فرنسا وإنقلترا مع إيطاليا ممّا اضطر هذه الأخيرة على الإنسحاب من جبهة استريزا والإقتراب أكثر من ألمانيا الهتلرية.

وفي الصين استغلت اليابان الحرب الأهلية المندلعة منذ 1934، لمزيد احتلال الأراضي الصينية. وقد بلغت تلك السياسة التوسعية أوجها سنة 1937. (17)

ب ـ خروج ألمانيا من عزلتها (1936) ونشوء المحاور :

سعى هتلر منذ وصوله إلى الحكم إلى إحباط سياسة الأحلاف التي حاولت فرنسا من خلالها عزل ألمانيا في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى. وقد مثّلت تلك الجهود منطلقا لما سيعرف لاحقا بسياسة المحاور.

عقد هتلر في جانفي 1934 معاهدة عدم اعتداء مع بولونيا. كما وقع معاهدة صداقة مع النمسا، ومعاهدتين تجاريتين مع رومانيا ويوغسلافيا بهدف إبعادهما عن دائرة النفوذ الفرنسيّ (18).

ولقد تجلّت سياسة المحاور بظهور محور روما ـ برلين في 25 أكتوبر 1936 بين إيطاليا وألمانيا، وقيام الحلف المضاد للشيوعية في 25 نوفمبر 1936 بين اليابان وألمانيا (وانضمت إليه ايطاليا سنة 1937.)

هكذا أمكن للأنظمة الكليانية تنظيم نفسها داخل إطار تكتل هام، وفي المقابل كان تنسيق الجهود والمواقف بين الأنظمة الديموقراطية شبه غائب.

3 ـ التوسع الألماني في أوروبا الشرقية والسير نحو الحرب (1938 — 1939):

أ ـ إلحاق النمسا (الانشلوس) وضم تشيكوسلوفاكيا :

استغلّ هتلر مسألة الأقليّات القومية الألمانية لإلحاق كل من النمسا وتشيكوسلوفاكيا. ففي 12 مارس 1938 أقدم على إلحاق النمسا بألمانيا وكانت حجّته في ذلك الاستجابة لنداء من غالبية الشعب النمساوي.

وأمام سلبية الديموقراطيات الأوروبية التي تجلت في مؤتمر مونيخ عمد هتلر في سبتمبر 1938 إلى ضم إقليم السودات التشيكوسلوفاكي المأهول من قبل 3 ملايين ألماني. وفي 15 مارس 1939 احتلّ الألمان بقية التراب التشيكوسلوفاكي وهو ما جعل ألمانيا تطل على التراب البولوني. وقد اغتنمت ايطاليا تلك الظرفية لتحتلّ ألبانيا في أفريل 1939 وتضمّها إليها.

ب ـ اجتياح بولونيا :

بعد ضم تشيكوسلوفاكيا أثار هتلر مسألة ميناء دانتزيغ البولوني مطالبا بعودته إلى ألمانيا. والواقع أن بولونيا كانت منذ أمد بعيد ضمن المجال الحيوي الذي كان هتلر يطالب به (22). وأمام رفض البولونيين، الذين شجعهم تغيّر موقف انقلترا من ألمانيا (24)، أقدم هتلر على اجتياح بولونيا في 1 سبتمبر 1939 (23) وكانت تلك الخطوة كافية للزجّ بالعالم في أتون حرب عالمية ثانية.

الخاتمة :

قادت السياسات التوسعية للأنظمة الكليانية ابتداء من سنة 1931 إلى حرب عالمية ثانية سنة 1939. وقد شكل قيام هذه الحرب نهاية فصل وبداية فصل جديد في العلاقات الدولية للقرن العشرين.

الدرس الحادي عشر

نتائج الحرب العالمية الثانية

المدخل

أدرس نتائج الحرب العالمية الثانية لأتعرف على مخلفاتها، ولأتبيّن ملامح الخريطة العالمية لسنة 1945 وخاصة الإطار الجديد للعلاقات الدولية لفترة ما بعد الحرب.

النشاط الأول أتعرف إلى مخلّفات الحرب العالميّة الثّانية :

الموارد

الوثيقة : 1

الخسائر البشريّة 1939 – 1945

(هذه الأرقام هي أقرب إلى التّقديرات منها إلى الأرقام الرّسميّة)

	في صفوف العسكريين	في صفوف المدنيين	النّسبة المائويّة من مجموع السّكّان سنة 1939
بولونيا	200,000	4,800,000	% 14
الاتّحاد السّوفياتي	7.000,000	13.000,000	% 12
يوغسلافيا	300,000	1,200,000	% 10
ألمانيا	3.600,000	2.000,000	% 7
اليابان	1,700,000	500.000	% 3
فرنسا	250,000	380,000	% 1,5
بريطانيا	320,000	62,000	% 1
إيطاليا	330,000	150,000	% 1
الولايات المتّحدة	300,000	-	% 0,2

المرجع : بويون صورلين رودل، العالم المعاصر، باريس، 1968 ص 93

التعليمة

■ تبيّن من خلال المعطيات الواردة في الجدول القارة الأكثر تضرّرا من ناحية الخسائر البشرية. علّل إجابتك.

الوثيقة : 2

النّتائج الاقتصادية للحرب

هناك شبه بين الوضع الاقتصادي النّاجم عن الحرب العالميّة الأولى، والوضع الذي خلقته الحرب العالمية الثّانية. فقد لوحظ نفس التّسابق على الإنتاج الصّناعي ونفس التقدّم الأمريكي... ونفس الانهيار التّجاري والمالي للقارة الأوروبية... على أنّه تتعيّن الملاحظة أنّ انهيار أوروبا الغربيّة الاقتصاديّة كان أشدّ حدّة [من الحرب الأولى]. فقد تحطّم الاقتصاد الألماني، وأصاب الدّمار جانبا هامّا من الاقتصاد الفرنسيّ وكذا الشأن بالنّسبة للاقتصاد البريطاني، وأخيرا فإنّ أحد المستفيدين من الحرب الأولى ونعني به اليابان قد تضرّر ضررا بليغا.

ج. شاردوني : النّتائج الاقتصاديّة للحرب. باريس 1947

الوثيقة : 3

خسائر الحرب في بولونيا

خضعت بولونيا لنظام احتلال غاية في البشاعة، ولم يتورّع هذا النّظام عن استغلال البلاد حتّى الاستنزاف التّام... فقد تعرّضت قوى الانتاج للتّخريب، ولم يأت عام 1945 حتّى انهار إنتاج الحبوب بنسبة 39 ٪ مقاربة بعام 1938، وانخفض قطيع الماشية بـ 40 ٪ والإنتاج الصّناعي بـ57 ٪. أمّا معدّات النّقل فقد أتلف ثلثاها، وكان الدّمار الّذي لحق العقارات (350.000 بناية في الرّيف 162000 عمارة حضريّة، 14.000 مؤسّسة صناعيّة...) من أهمّ ما شهدته القارّة الأوروبيّة...

بيار رينوفان، تاريخ العلاقات الدوليّة، المجلد الثّامن، منشورات هاشيت ص 203

الوثيقة : 4

الوزير الأوّل تشرشل يعاين جانبا من الدّمار الّذي لحق مدينة لندن

التعليمات

اعتمادا على الوثائق :(2 و 3 و 4):

- استخلص أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بخصوص النتائج الإقتصادية للحربين العالميتين.
- حدّد القطاعات أو المجالات التي شملها الدمار أكثر من غيرها خلال الحرب العالمية الثانية. حاول تعليل ذلك.

الوثيقة : 5

الأزمة المعنوية والفكرية

«إن انتصار سنة 1945 الذي عقبه على الفور تأزم دولي جديد، لم يتسم كآخر الحرب العالمية الأولى بالاسترخاء على الصعيدين الفكري والفني. فهو لم يولد لا تفاؤلا ولا غرورا حيال المستقبل وإن أدب هذه الفترة قد أنف من العواطف النبيلة وحرص على أن يكون واضحا ويتجنب الأكاذيب والصور الخادعة على السواء. «لقد اختبر الإنسان، على مقياس العالم، قوته المادية وفشله الأخلاقي»... لذلك تخشن الحس في كافة الحقول، وبات الارتياب والتشكك بعد ذلك يحومان حول كل مذهب مغلق يبدو في الظاهر نهائيا...».

موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام العهد المعاصر،
الترجمة العربية ج 7 – 1998 ص 488

الوثيقة : 5 مكرّر

«إنني أغير حياتي، إنها لحياة جديدة، وأستعيد القلق والخوف... كل واحد من مليارات الكائنات مسكون بنفس القلق الذي يعتقد أنه ينتهي داخل كلّ كائن وداخل مليارات الكائنات...».

جون بول سارتر : الغثيان

موقع رقمي : Ionesco. org

التعليمة

■ استخلص من الوثيقتين (5 و 5 مكرر) أبرز انعكاسات أهوال الحرب العالمية الثانية على صعيد الفكر والأدب.

النشاط الثّاني :

أتعرّف إلى التحوّلات الجغراسياسيّة

الموارد

الوثيقة : 6

تقسيم ألمانيا إلى مناطق نفوذ إثر الحرب العالميّة الثّانية

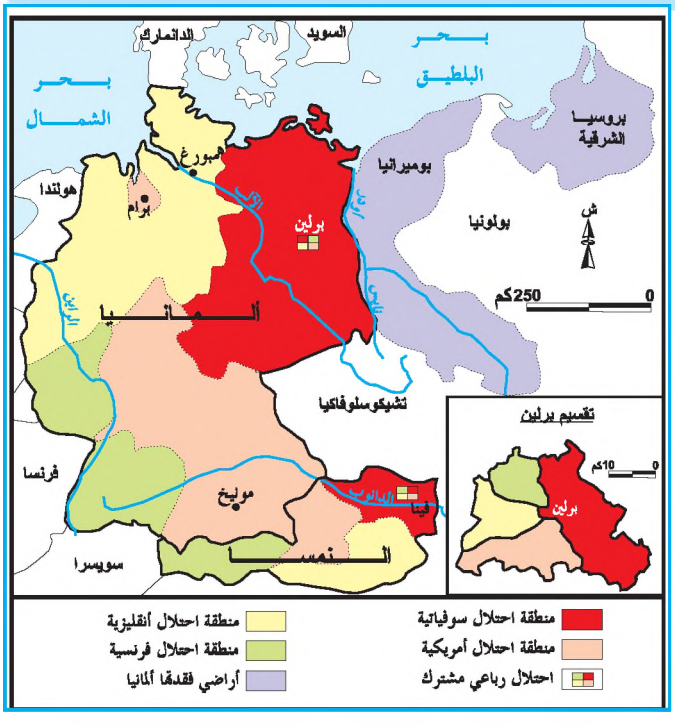

إضاءات

خسائر ألمانيا الترابية

فقدت ألمانيا حوالي 100.000 كلم² من مساحتها. وتمثّلت أهم خسائرها الترابية في فقدان بروسيا الشرقيّة، وبوميرانيا، وسيليزيا. كما تم تقسيم ألمانيا وعاصمتها برلين إلى مناطق نفوذ بين الحلفاء (الأمريكيون، السوفيات، الانقليز، الفرنسيون..).

إضاءات

التحويرات الترابية للاتحاد السوفياتي وبولونيا وإيطاليا واليابان

الإتحاد السوفياتي : تمثلت الالحاقات الترابية السوفياتية في قسم هام من بروسيا الشرقية ومناطق فنلندية احتلها عام 1940، وبلدان البلطيق وبإقليم بسارابيا الذي انتزعه من رومانيا.

بولونيا : تخلّت بولونيا عن المقاطعات التي ألحقت بها سنة 1921 لفائدة الاتحاد السوفياتي وعوضتها في المقابل بقسم من بروسيا الشرقيّة، وبوميرانيا وسيليزيا المنتزعة من ألمانيا.

إيطاليا : خسرت استريا لفائدة يوغسلافيا، ورودس لفائدة اليونان. كما فقدت جميع مستعمراتها في القارة الإفريقية.

اليابان : خسرت اليابان جميع ممتلكاتها الخارجية مثل جزر كوريل، وجزيرة سخالين التي ألحقت جميعها بالاتحاد السوفياتي. كما عادت منشوريا للصين واستقلت كوريا.

الوثيقة : 7

الخريطة الجغراسياسيّة لأوروبا بعد الحرب

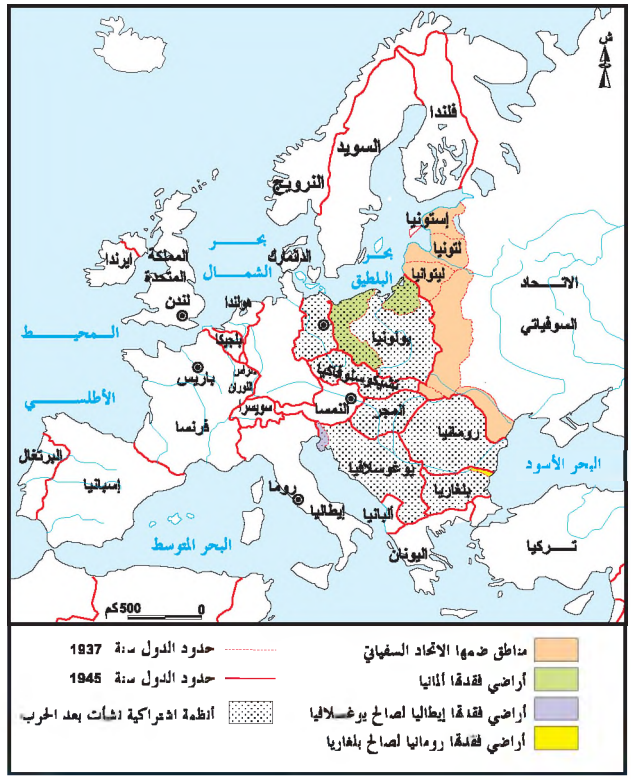

التعليمة

■ بالاعتماد على الوثيقتين (6 و7) والإضاءات الخاصة بالتعديلات الترابية والحدوديّة ضع جدولا تحدد فيه الدول المستفيدة والدول المتضرّرة ترابيا.

إضاءات

مؤتمرات القمّة	المشاركون	أهمّ نقط الاتّفاق	أهمّ نقط الاختلاف
مؤتمر طهران (نوفمبر 1943)	– روزفلت – تشرشل – ستالين	– تعهّد الحلفاء للاتّحاد السّوفياتي بفتح جبهة ثالثة ضدّ النّازيين في أوروبا. – الموافقة المبدئيّة للحلفاء على المطالب التّرابيّة السّوفياتيّة في دول البلطيق ورومانيا وبولونيا. – الاتّفاق على فكرة إنشاء منظّمة دوليّة تعوض جمعية الأمم.	– اختلاف بين تشرشل الّذي ألحّ على فتح الجبهة الثّالثة في البلقان وبين ستالين الّذي أصرّ على أن تفتح في أوروبا الغربيّة. – الاختلاف حول مصير ألمانيا بعد الحرب.
مؤتمر يالطا (فيفري 1945)	– روزفلت – تشرشل – ستالين	– الاتّفاق المبدئي على تقسيم ألمانيا إلى أربع مناطق احتلال (أمريكيّة – إنقليزيّة – فرنسيّة – سوفياتيّة) – تعهد الاتّحاد السوفياتي بالهجوم على اليابان بعد ثلاثة أشهر من استسلام ألمانيا. – الإقرار المبدئي للمطالب السوفياتيّة في كلّ من قاعدة بورت أرثور وجنوب جزيرة سخالين وجزر الكوريل.	– الاختلاف بين الحلفاء والاتّحاد السّوفياتي حول طبيعة نظام الحكم الّذي سيقام في بولونيا بعد الحرب.
مؤتمر بوتسدام (جويلية 1945)	– ترومان عوّض روزفيلت – تشرشل ثمّ آتلي – ستالين	– نزع السلاح من ألمانيا وتصفية المؤسّسات النّازية وتشكيل محكمة في نورمبرغ لمحاكمة مجرمي الحرب النّازيين. – تكليف لجنة من وزراء خارجيّة دول التّحالف الأكبر وفرنسا والصّين الوطنيّة بتحديد شروط معاهدات الصلح مع الدّول المنهزمة.	– امتناع الحلفاء عن الاعتراف بشرعيّة الحكومات الشيوعيّة الّتي أقامها الاتّحاد السوفياتي في كلّ من رومانيا وبلغاريا وبالحدود الغربيّة الّتي رسمها مع بولونيا. – رفض الاتّحاد السوفياتي السّماح للحلفاء بمراقبة الانتخابات في دول أوروبا الشرقيّة الّتي ساهمت الجيوش السوفياتيّة في تحريرها.

التعليمة

■ بيّن بالاعتماد على معطيات هذا الجدول مدى عمق الاختلافات التي كانت تشقّ صف الحلفاء والتي تجلّت خلال مؤتمرات القمّة الثلاثة.

الوثيقة : 8

«كان الانطباع الذي تولّد لدي عند اختتام مؤتمر بوتسدام، هو الإحساس بتعاظم دور الاتحاد السوفياتي كقوة مهيمنة على أوروبا بلا منازع... واضطرت الولايات المتحدة وانقلترا في بوتسدام إلى قبول العديد من القرارات المنفردة التي اتخذها الاتحاد السوفياتي منذ مؤتمر يالطا. وذلك بالرغم من العبارات الجوفاء للتصريح الختامي الذي حاول إخفاء هذه الحقيقة. ويكمن السّبب الرئيسي لذلك في أفول القوّة الانقليزية... وانشغال فرنسا في البحث عن حالة استقرار لم تستطع تحقيقها حتى في فترة ما قبل الحرب... وكان من الطبيعي أن تتحول كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي إلى القوّتين العظميين في العالم».

الأميرال ليهي Leahy(قائد الأركان العامة للقوات الأمريكية) «كنت حاضرًا هناك»

(مذكّرات) بلون، 1966، ص 211

التعليمة

■ استخلص أبرز مظاهر التحوّل في موازين القوى في أوروبا والعالم غداة انتهاء الحرب العالميّة الثّانية.

الوثيقة : 9

«إن العالم قد انقسم انقساما خطيرا إلى كتلتين، قرّب بينهما الخطر المشترك إلى حين، وفرّقت بينهما خلافات النظام الاقتصادي والاجتماعي والأهواء والمصالح. فقد حلّ محل التوازن المتعدّد الأطراف الذي كان مركزه أوروبا، نظام توازن بين طرفين اثنين هما دولتان كبيرتان غير أروبيتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وقد عزّز هذا التوازن الجديد أن هاتين الدولتين كانتا تحتكران الأسلحة الذرّية...».

موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام،

العهد المعاصر ج 7، الترجمة العربية، 1998، ص 416

الوثيقة : 10

«توجهت إلى الكنغرس وإلى الأمة جمعاء عبر أمواج الإذاعة بالتصريح التالي : أعتقد أن من واجب الولايات المتحدة أن تعمل على مساعدة الشعوب الحرّة التي تقاوم محاولات الضغوط الخارجية لإخضاعها..

وبمجرد ما انتشر نص الخطاب أكدت لي ردود الفعل العالمية سلامة الموقف الذي اتخذته في هذه المسألة، وتعالت الأصوات المؤيدة لي من جميع أنحاء العالم، بينما هاجمني الشيوعيون، وأنصارهم هجوما عنيفا. وهكذا رسم الخطّ الفاصل، لأنني صرّحت أمام الكنغرس بأن على شعوب العالم أن تختار بين نمطين متعارضين من الحياة..».

من مذكرات هاري ترومان،

بلون 1956، ص 121

التعليمة

باعتماد الوثيقتين (9 و10) تبيّن ما يؤكد سير العالم بعد الحرب العالمية الثانية نحو القطبيّة الثنائية.

الوثيقة : 11

الكتلتان الشرقية والغربية من وجهتي نظر مختلفتين

(1) «كلما ابتعدنا عن نهاية الحرب ظهرت في منتهى الوضوح القيادتان الأساسيتان للسياسة الدولية لما بعد الحرب... الكتلة الامبريالية المناهضة للديمقراطية والكتلة الديمقراطية المناهضة للامبريالية. فالولايات المتحدة هي القوّة الأساسية المتزعمة للكتلة الأمبريالية.. وتدعم هذه الكتلة بلدان مالكة لمستعمرات، كما تدعمها بلدان ذات أنظمة رجعية مناهضة للديمقراطية مثل تركيا واليونان، ومدعومة كذلك من قبل بلدان تابعة سياسيا واقتصاديا للولايات المتحدة مثل الشرق الأوسط وأمريكا الجنوبية...

وتكوّن القوى المناهضة للامبريالية والفاشيّة الكتلة الأخرى التي أساسها الاتحاد السوفياتي وبلدان الديمقراطية الجديدة... [مثل] رومانيا والمجر وفنلندا.. وترتكز الكتلة المناهضة للامبريالية في كل البلدان على الحركة العمّاليّة والديمقراطية وعلى الأحزاب الشيوعية وعلى المقاومين في حركات التحرير الوطني بالبلدان المستعمرة...»

من تقرير **جدانوف** ممثل الاتحاد السوفياتي في ندوة الأحزاب الشيوعية الأوروبية

(سبتمبر 1947 ذكره أ. فونتين في : تاريخ الحرب الباردة، منشورات فايار،1967، ص 211

(2) «لأني أعلنت أمام الكونغرس أن كل أمة أصبحت منذ الآن أمام اختيار بين نمطي عيش متضادين.

لقد قلت أن أحدهما يرتكز على إرادة الأغلبية وأنه مختص بمؤسّسات حرّة وحكومة ممثلة وانتخابات حرّة وضمانات تؤمن بالحريّة الفردية وحرية التعبير والتدين وبغياب كل اضطهاد سياسي.

أما الآخر فإنه يرتكز على إرادة أقلية مفروضة بالقوة على أغلبية، ويستند إلى الإرهاب والاضطهاد وإلى صحافة وإذاعة مراقبتين وانتخابات مزوّرة وإلغاء للحريات الشخصيّة...».

من مذكرات **هاري ترومان**، بلون، 1956، ص 123

التعليمة

- استخلص مآخذ كل قوّة عظمى على القوّة المنافسة غداة الحرب العالميّة الثانية.

الوثيقة 12

انقسام أوروبا إلى معسكرين وانقسام ألمانيا إلى دولتين

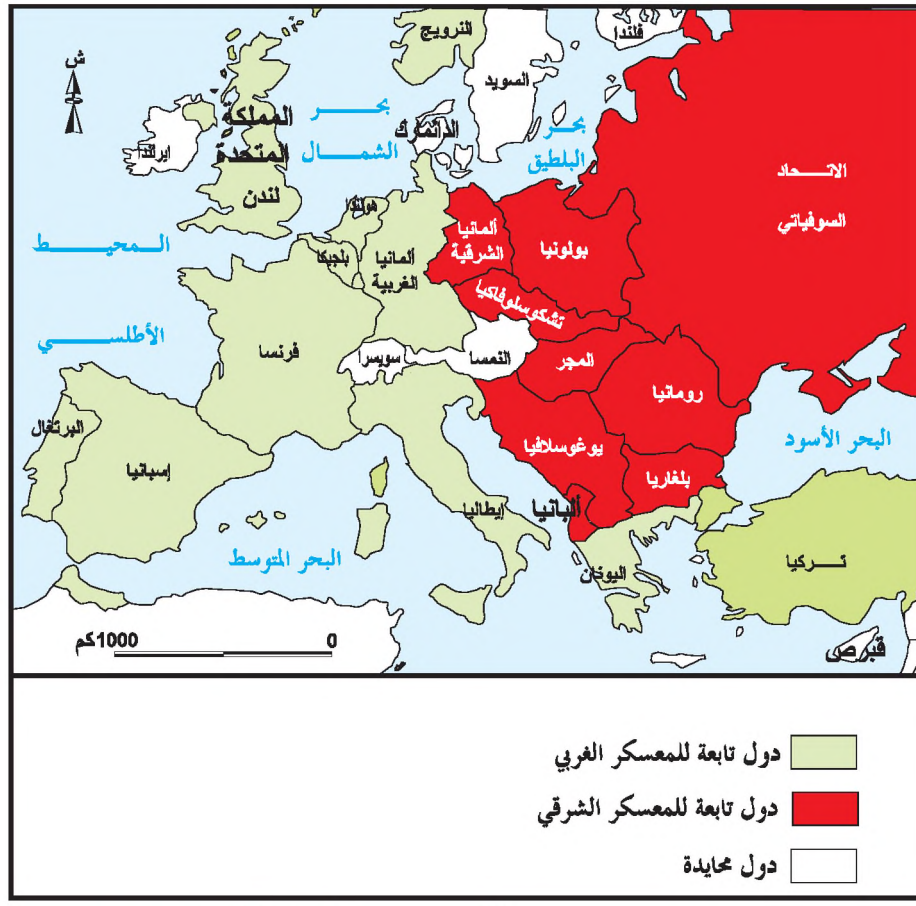

من تداعيات تكرّس القطيعة السياسية والاقتصادية في أوروبا، وظهور نظام القطبيّة الثنائية انقسام أوروبا إلى شرقيّة وغربية، وانقسام ألمانيا إلى ألمانيا فيديرالية (غربيّة) وألمانيا ديمقراطية (شرقية)

التعليمة

■ وضّح من خلال معطيات هاتين الخريطتين كيف أن القارة الأوروبية ظلت تمثل بؤرة توتّر على مستوى العلاقات الدولية حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

النشاط الثّالث أتعرف إلى نشأة منظّمة الأمم المتّحدة

الموارد

الوثيقة 13

ندوة يالطا : انعقدت بين 4 و11 فيفري 1945 حضرها الثلاثة الكبار هم من اليسار إلى اليمين : ستالين زعيم الاتحاد السوفياتي روزفيلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وونستون تشرشل رئيس الحكومة الانقليزية.

الوثيقة : 14

ميثاق الأمم المتحدة

مقاصد الهيئة ومبادؤها

المادة الأولى :

مقاصد الأمم المتّحدة هي :

1) حفظ السلم والأمن الدولي، وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة لمنع الأسباب التي تهدد السلم ولإزالتها، وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الاخلال بالسلم. وتتدرع بالوسائل السلمية وفقا لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الاخلال بالسلم أو لتسويتها.

2) إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها، وكذلك اتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام.

3) تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية على تعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الأساسية للناس جميعا والتشجيع على ذلك إطلاقا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء.

المادة الثانية :

تعمل الهيئة وأعضاؤها في سعيها وراء المقاصد المذكورة في المادة الأولى وفقا للمبادئ الآتية :

1) تقوم الهيئة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها...

3) يفض جميع أعضاء الهيئة منازعتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر.

4) يمتنع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد «الأمم المتحدة».

5) يقدم جميع الأعضاء كل ما في وسعهم من عون إلى «الأمم المتحدة» في أي عمل تتخذه وفق هذا الميثاق كما يمتنعون عن مساعدة أية دولة تتخذ الأمم المتحدة ازاءها عملا من أعمال المنع أو القمع...

حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن
دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ 1945
الكويت 1995، ، ص 82 . 83

إضاءات

أجهزة الأمم المتحدة

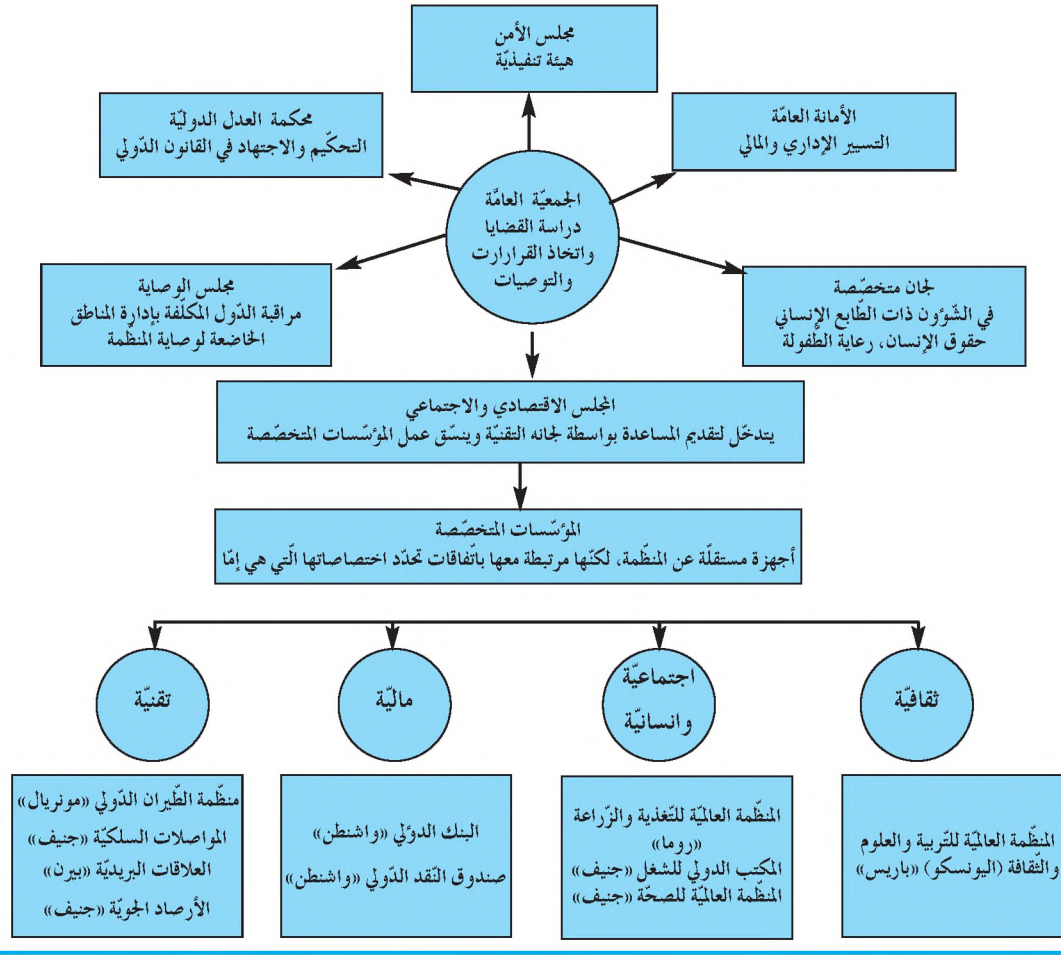

التعليمات

انطلاقا من الوثيقة (14) والإضاءات :

- وضح بالعودة إلى تجربة جمعية الأمم كيف أن الإعلان عن المبادئ السامية النبيلة غير كاف لاحلال السّلم في العالم وتطوير العلاقات بين الدول نحو التّعاون والتّكامل.
- استخلص، من خلال استعراضك لأجهزة الأمم المتحدة أهم وظائف هذه المنظّمة الدوليّة.

الوثيقة : 15

مقتطفات من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

المادة الأولى :

يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء.

المادة الثانية :

لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعلان دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أى رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء.

المادة الثالثة :

لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة الخامسة :

لا يعرض أي انسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية والوحشية أو الحاطة بالكرامة.

المادة التاسعة :

لا يجوز القبض على أي انسان أو حجزه أو نفيه تعسفا.

المادة التاسعة عشر :

لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل...

المادة السادسة والعشرون :

لكل شخص الحق في التعلم.. يجب أن تهدف التربية إلى انماء شخصية الانسان انماء كاملا وإلى تعزيز احترام الانسان والحريات الاساسيّة وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية...

أقرته الجمعية العامّة في 30 ديسمبر 1948

المصدر إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقة (15) :

- بيّن كيف أن الحرية والمساواة ركيزتان أساسيتان لحقوق الانسان.
- صنّف الحقوق المنصوص عليها في المقتطفات الواردة في هذا النص.

النشاط الرّابع أتعرف إلى الحرب الباردة وأهم أزماتها

الموارد

إضاءات

«الحرب الباردة»

الحرب الباردة «في تعريفها العام هي حالة الصراع التي لا يقع فيها اللجوء إلى المواجهة المسلحة المباشرة. ظهر هذا المصطلح أول مرّة في مارس 1947. وكان أول من استعمله هو برنار باروش Bernard Baruch ممثل الولايات المتحدة. وقد روّج هذا المصطلح، فيما بعد، الصحفي الأمريكي ولتر ليبمان Walter Lippman

إضاءات

مشروع مارشال

اقترن هذا المشروع باسم جورج مارشال الذي شغل منصب وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بين 1947 و 1948 وتمثل مشروعه في تقديم مساعدات اقتصادية للدول الأوروبية المتضرّرة من الحرب في شكل هبات بلغ مجموعها ما بين 1947 و 1955 : 19680 مليون دولار وقروض طويلة المدى تجاوزت قيمتها 6500 مليون دولار في نفس الفترة.

الوثيقة : 16

مقتطفات من محاضرة ألقاها مارشال في جوان 1947

«... إن سياستنا ليست موجهة ضد أي دولة أو أي مذهب، لكنّها موجهة ضد المجاعة والفقر واليأس والفوضى. وقد يكون هدفنا من ذلك إعادة الاقتصاد العالمي إلى وضع صحي بشكل يسمح بالعودة إلى ظروف سياسية واجتماعية تمكّن من وجود مؤسسات حرّة... إن الحكومات والأحزاب السياسيّة التي تسعى إلى تمادي بؤس البشرية بهدف الاستفادة منه سياسيا سوف تواجه معارضة الولايات المتّحدة...».

من مذكرات هاري ترومان

الجزء الثاني، ص 123 ـ 124، دار بلون للنشر.

الوثيقة 17

بداية الحرب الباردة

.. كانت النتيجة الفورية لمشروع «مارشال» الذي نظم هذه المساعدة تدعيم الكتلتين وتوسيع الهوة التي تفصل بين العالم الشيوعي والغرب. فقد انصرفت السّياسة السوفياتية إلى توثيق الرّوابط بين دول الشرق هادفة من وراء ذلك إلى خلق ما يشبه مشروع مارشال في الشرق وجعل الكتلة الشرقية مستقلة استقلالا تاما عن الغرب.

منذ هذا التاريخ نظرت كلّ من الكتلتين إلى كل قرار يتخذه الطرف الآخر بوصفه عملا هجوميا يستلزم جوابا، واعتبر كل جواب بدوره تهديدا يجب أن تتبعه استعدادات دفاعية جديدة. وهكذا استعرّ الخلاف وازدادت الشكوك، واقتنع كل طرف بأن أعماله دفاعية بحتة وبأن أعمال الطرف الآخر هجوميّة..

موريس كروزي
تاريخ الحضارات العام، العهد المعاصر
الجزء 7، ط 4، 1998، ص 419 - 420

إضاءات

من أزمات الحرب الباردة

السنة	البلد	الأحداث
1948	ألمانيا	عمد الاتّحاد السوفياتي إلى فرض حصار على مدينة برلين العاصمة الألمانيّة. قام الأمريكيّون بتزويد المدينة بواسطة جسر جوّي. وفي ماي 1949 رفع الاتّحاد السّوفياتي الحصار على برلين الغربيّة وأعقب ذلك تقسيم ألمانيا إلى ألمانيا اتّحاديّة (غربيّة) وألمانيا ديموقراطيّة (شرقيّة).
1950	كوريا	في جوان هاجمت قوّات كوريا الشّماليّة الموالية الاتّحاد السوفياتي كوريا الجنوبيّة الموالية للولايات المتّحدة الأمريكيّة وردّت كوريا الجنوبيّة الفعل بدحر القوّات المحتلّة واحتلال أجزاء من كوريا الشّماليّة. انتهت الحرب بين الكوريتين في جويلية 1953 بتوقيع الهدنة وإقرار خط العرض 38 حدّا فاصلا بين الدولتين.

التعليمات

انطلاقا من الوثيقتين (16 - 17) والإضاءات :

- عرّف بالحرب الباردة وحدّد أطرافها.
- بيّن أهداف مشروع مارشال واستنتج الطّرف المستهدف منه.
- وضح رد فعل الاتحاد السوفياتي تجاه ذلك المشروع ونتائجه.

أستخلص

المقدّمة :

نجمت عن الحرب العالمية الثانية خسائر فادحة في الأرواح والثروات. كما شهدت نهاية الحرب تعديلات في الخريطة السياسية للعالم وتمت إعادة تنظيم العلاقات الدولية باتجاه قطبية ثنائية أمريكية ـ سوفياتية. وبالتدرّج زجّت القوّتان العظميان، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي بالعالم في ما سميّ بالحرب الباردة.

I – مخلفات الحرب العالمية الثانية :

1 ـ الخسائر البشرية :

أسفرت الحرب العالمية الثانية عن أكثر من 50 مليون قتيل. وقد تفاوتت تلك الخسائر من بلد إلى آخر (1). وتكون نصف الضحايا من السكان المدنيين الذين هلكوا إمّا جرّاء القصف الجوي أو المدفعي أو داخل بعض المحتشدات : أكثر من 300.000 ضحيّة إثر إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونغازاكي اليابانيتين يومي 6 و9 أوت 1945، أكثر من 200.000 ضحية بعد قصف مدينة دراسد الألمانية خلال شهر فيفري 1945.

2 ـ المخلفات الإقتصادية :

على الرغم من أن الحرب دارت على ثلاث قارات، إلا أن الدمار لحق القارة الأوروبية بالدرجة الأولى بحيث تحوّلت «القارة القديمة» إلى حقول خرائب وأنقاض ضخمة امتدّت من لندن إلى ستالينغراد، ومن لوهافر إلى فرصوفيا، ومن هامبورغ إلى بلغراد (2).

وكانت بولونيا والاتحاد السوفياتي وألمانيا من أكثر البلدان تضررا في بناها الأساسية وعمرانها (3).

وفي آسيا جاءت اليابان على رأس قائمة البلدان المتضرّرة جرّاء عمليات القصف الجوي الذي استهدف مدنها ومناطقها الصناعية. وتكفي الإشارة إلى إندراس مدينتي هيروشيما ونغازاكي على إثر القنبلتين الذريتين عليهما في مطلع أوت 1945.

شملت الخسائر التجهيزات الأساسية من طرق وجسور وسكك حديدية وموانئ وأراض فلاحية ومناجم ومناطق صناعية وبناءات. وتعرضت مدن صناعية معروفة للدمار الشامل مثل كوفنتري ولندن (4) في بريطانيا، وهامبورغ ودارسد وكولونيا وفرانكفورت في ألمانيا، ودونتز في الاتحاد السوفياتي.

وقد قدرت خسائر الدول المشاركة في الحرب أو تلك التي تعرضت إلى الاحتلال (مثل يوغسلافيا) بأكثر من 2000 مليار دولار.

وفي مقابل انهيار أوروبا واليابان استفادت دول أمريكا الشمالية وتحديدا كندا والولايات المتحدة الأمريكية. وعلى سبيل المثال فقد تضاعف الإنتاج الصناعي الأمريكي مرّة ونصف ما بين 1939 و 1945 كما ارتفع الدخل القومي في هذا البلد بنسبة 75 ٪ خلال نفس الفترة.

3 ـ الأزمة المعنوية والفكرية :

اهتز الوجدان الإنساني بسبب فظاعات الحرب وأهوالها، وتلا ذلك لفترة من الزمن شك في القيم الأخلاقية في الغرب، وبرزت في المجالات الفكرية والفنية اتجاهات جديدة (5 و5 مكرر) مثلما تجلى ذلك في أعمال الفيلسوف الألماني كارل ياسبرز (الإثم الألماني ـ القنبلة الذرية–ومستقبل الإنسانية) وأعمال الفيلسوف الفرنسي

جون بول سارتر (دروب الحرية ـ الجدار ـ الغثيان...) وأعمال السينمائي الإيطالي روبرتو روسيليني (شريط ألمانيا السنة الصّفر)

II – التحولات الجغرا ـ سياسيّة :

1 ـ الخريطة الجديدة للعالم سنة 1945 :

أ ـ في القارة الأوروبية :

تمثلت أهم التغييرات الترابية في أوروبا في :

ـ فقدان ألمانيا لأجزاء من ترابها، وترسيم حدودها الشرقيّة على طول خط الأودر ـ نايس (Oder-Neisse) كما قسمت ألمانيا، وعاصمتها برلين إلى أربع مناطق بين الحلفاء الأربعة (الولايات المتحدة الأمريكية، وانقلترا، وفرنسا، والاتحاد السوفياتي) (6)

ـ توسّع الاتحاد السوفياتي غربا، وهو البلد الذي استفاد أكثر من غيره من الإلحاقات الترابية آنذاك (7) على حساب بولونيا ورومانيا وفنلندا.

ـ تعديلات في ترسيم حدود بولونيا (7) التي تمثلت في تخليها شرقا عن مقاطعات لفائدة الاتحاد السوفياتي وتعويضا غربا بأراضي على حساب ألمانيا...

ب ـ في بقية القارات :

ـ في افريقيا : فقدان إيطاليا لمستعمراتها الإفريقيّة.

ـ في آسيا : تراجع اليابان إلى حدودها لعام 1894

وجدير بالإشارة إلى أن التغييرات الترابية التي شهدتها الخريطة العالمية لم تكن بمثل أهمية التعديلات التي شهدتها الخريطة السياسية للعالم بعد الحرب العالمية الأولى.

2 ـ ظهور قوتين عظميين تتنافسان على زعامة العالم.

اضطرت ظروف الحرب دول التحالف إلى تنسيق جهودها قصد القضاء على الأنظمة الدكتاتورية التوسعية. وقد عُقِدت في هذا الشأن قمم عديدة لم تلبث أن تحولت إلى مؤتمرات لبحث أهم القضايا السياسية الراهنة ومستقبل العلاقات الدولية.

ولقد كشفت تلك المؤتمرات عن خلافات جوهرية بين الحلفاء (الولايات المتحدة وبريطانيا من جهة. والاتحاد السوفياتي من جهة ثانية)، ومن ثمّ ساد التخوّف والحذر المتبادل اللقاءات بين الطرفين و لم يقع التوصل إلى نتائج إيجابية في نهاية الحرب رغم تعدّد المؤتمرات على مختلف المستويات.

ونتيجة لكل هذا برزت كتلتان (8) أدى ظهورهما إلى إرساء نظام دولي لما بعد الحرب على أساس القطبية الثنائية (9) وتقاسم مناطق النفوذ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. وكانت هاتان القوّتان العظميان متعارضتين في نظامهما السياسي والاقتصادي والاجتماعي تعارضا عميقا مما جعلهما على طرفي نقيض (10، 11، 12)

III – نشأة منظّمة الأمم المتحدة :

1 ـ ظروف نشأة المنظمة :

بالرغم من الاختلافات وتباين المواقف بين الحلفاء قبل نهاية الحرب وبعدها إزاء عديد القضايا فإن الرئيس الأمريكي روزفلت والزعيم السوفياتي ستالين والوزير الأول البريطاني تشرشل المجتمعين في يالطا في 11 فيفري 1945 (13) قرّروا إنشاء منظمة دولية جديدة تحل محل جمعية الأمم المنهارة. وقد حدّد مؤتمر سان فرانسيسكو في 26 جوان 1945 دستورها في «ميثاق الأمم المتحدة» (14) . كما تم الاتفاق على أن تكون مدينة نيويورك مقر المنظمة الدائم.

2 ـ ميثاق الأمم المتحدة :

احتوى ميثاق المنظمة الأممية الجديدة على مبادئ وأهداف من بينها صيانة السلم والأمن (في العالم) (14) (الاحجام عن اللجوء إلى الحرب لفضّ النزاعات بين الدول) وتفعيل التعاون الاقتصادي والاجتماعي والتقارب بين الشعوب. كما شدّد الميثاق على ضرورة السهر على احترام حقوق الانسان الأساسية (15) وقد اشتملت المنظمة على عدّة مؤسسات وأجهزة وآليات مثل الجمعية العامة ومجلس الأمن إلى جانب الوصاية والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ومحكمة العدل الدولية.)

IV – الحرب الباردة : 1947 ـ 1953 :

لعل السمة البارزة التي ميّزت العلاقات الدولية في إطار نظام القطبية الثنائية دخول العالم ما سمّي بالحرب الباردة.

1 ـ مشروع مارشال Marschall وبداية «الحرب الباردة» :

اتخذت الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي (بزعامة الاتحاد السوفياتي) والغربي (بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية) في بداية الأمر شكل قطيعة سياسية واقتصادية على إثر الإعلان عن مشروع مارشال سنة 1947 (16) الذي اعتبره السوفيات محاولة أمريكية للهيمنة على أوروبا الغربية سياسيا واقتصاديا (17).

ورد الاتحاد السوفياتي على تلك المبادرة بانشاء مكتب الإعلام الشيوعي (الكومنفورم). وكان الهدف من بعثه تعبئة الأقطار الأوروبية ضد المشروع.

ولما أنشأت دول أوروبا الغربية المنظمة الأروبية للتعاون الاقتصادي (O.C.D.E)، جاء الرد السوفياتي والدول الاشتراكية الدائرة في فلكه من خلال إنشاء مجلس المساعدة الإقتصادية المتبادلة (الكوميكون COMECON)

2 ـ ظهور الأحلاف العسكرية وأزمات «الحرب الباردة » :

لقد تعمق الصراع بين المعسكرين بظهور الأحلاف العسكرية إذ كونت دول المعسكر الغربي منظمة حلف شمال الأطلسي (OTAN) عام 1949، وجاء الرد السوفياتي ودول الكتلة الاشتراكية (باستثناء يوغسلافيا) من خلال تأسيس حلف فرصوفيا سنة 1955.

وبلغت الحرب الباردة ذروتها إثر أزمتي برلين وكوريا. ولقد ترتب على امتلاك القوتين العظميين القنبلة الذرية نشوء ما سمّي بتوازن الرّعب، وهو ما جعل قطبي الصراع يتحاشيان الدخول في مواجهة مباشرة تكون لها عواقب وخيمة على البشرية جمعاء.

الخاتمة :

أفرزت نهاية الحرب العالميّة الثّانيّة أوضاعا دوليّة جديدة من أبرز خصائصها انقسام العالم إلى معسكرين متنافسين : الأوّل غربي رأسمالي والثّاني شرقي اشتراكي ودخلت العلاقات الدوليّة مرحلة من التّنافس تسببت في تهديد السّلام العالمي في عدّة مناطق من المعمورة. و لم تنته «الحرب الباردة» والثنائيّة القطبيّة إلاّ في نهاية ثمانينات القرن العشرين مع انهيار الاتّحاد السوفياتي.

الدرس الثّاني عشر تحرّر الشّعوب المستعمرة

المدخل

أدرس تحرّر الشعوب المستعمرة في إفريقيا وآسيا بعد الحرب العالمية الثانية لأتعرّف على أهم العوامل التي ساعدت على انعتاق تلك الشعوب من ربقة الاحتلال، ولأتبيّن أبرز السمات العامة لموجة الإستقلالات حتى نهاية ستينات القرن العشرين.

النشاط الأول أتعرّف إلى العوامل المساعدة على تحرير الشعوب المستعمرة :

الموارد

إضاءات

أحدث الاستعمار، إثر الحرب العالمية الأولى وبعد أزمة الثلاثينات، اختلالات عميقة في المجتمعات التقليدية الرازحة تحت هيمنة الاحتلال. وتجلى ذلك في تكثيف استغلال المستعمرات ومحاولة «تعصيرها» من خلال تركيز تجهيزات أساسية متطورة، وتطوير الصناعات الاستخراجية، وتوسيع مساحات الزراعات التصديرية على حساب الزراعات المعيشية الضرورية للسكان المحلّيين، فضلا عن إغراق أسواق المستعمرات بالمنتوجات المعملية للمتروبول (الوطن الأم) وهو ما انعكس سلبا على الصناعات الحرفية الأهلية وزاد في نسب البطالة. كما تفاقمت ظاهرة النزوح الريفي وتكاثر سكان أحياء الصفيح في المدن الكبرى.

الوثيقة : 1

موقف الزّعيم السّينغالي ليوبولد سدار سانغور من الاستعمار الفرنسي

«... يجري الاستعداد لإعطاء المستعمرات والمحميّات مواقع أفضل في صلب المجموعة الفرنسيّة... باستثناء إفريقيا السّوداء الّتي لن يكون لها سوى مَوْطِئَ قدم صغير... لقد طُلب منّا أن نتعاون لأجل إعادة صياغة فرنسا حتّى تكون في راقٍ من الإنسانيّة والعالميّة. نحن موافقون، لكن لا ينبغي للميتروبول أن تُخطئ في حساباتها أو تحاول التحيّل. لقد مات «الزّنجي الطيب» وعلى ذوي النّزعة الأبوية أن يقوموا بتأبينه».

ليوبولد سيدار سنغور (L.S. SENGHOR) : الدّفاع عن إفريقيا السّوداء.

مقال نشر في مجلّة "ESPRIT" بباريس في عدد جويلية 1945

الوثيقة : 2

تردّي أحوال المستعمرات

«يُحدثوننا عن التقدم الذي حققه ستعمار و«الإنجازات» وغير ذلك، يحدثوننا عن الأمراض التي اختفت ومستويات العيش التي ارتفعت... أما أنا فأحدثهم عن آلاف الرجال الذين ضحّى بهم الاستعمار، عن أولئك الذين انتزعوا من أراضيهم وسُلبت منهم عاداتهم وتقاليدهم... و... حكمتهم..

أحدثكم عن ملايين الرجال الذين لُقّنوا - بطريقة منهجية - الخوف، وعقدة النقص واليأس..

أحدثكم عن اقتصاديات أهلية دُمّرت، عن زراعات معيشية اختفت، عن سوء تغذية في ازدياد، عن زراعات موجهة فقط لصالح المتروبول عن سلبٍ منظم للمنتجات والمواد الأولية...».

ايمي سيزار Aimé Cesaire

خطب حول الاستعمار (1950) المنشورات الإفريقية، 1989 ، ص 19 – 20

التعليمات

بالإعتماد على الاضاءات والوثيقتين (1 و2):

- بيّن تغيّر الأوضاع في المستعمرات بعد الحرب العالمية الثانية باتجاه يسهل على قادة الحركات الوطنية تعبئة قطاعات واسعة من السكان ضد الاستعمار والدول المستعمرة.
- أذكر أهم القرائن التي اعتمدها ايمي سيزار لدحض مقولة «المهمّة الحضارية» للاستعمار.

الوثيقة : 3

الزّعيمان الهنديان غاندي (إلى اليمين) ونهرو

الوثيقة : 4

الزعيم هو شي منه Ho Chi Minh
(1890 – 1969) مؤسس جبهة استقلال فيتنام سنة 1941
أصبح عام 1954 رئيسا للجمهورية الشعبية لفيتنام الشمالي.

الوثيقة : 5

أحمد سوكارنو (1901 – 1970) مؤسّس الحزب الوطني الأندونيسي سنة 1927 ورئيس لأوّل جمهوريّة أندونيسيّة مستقلّة، يعود له الفضل في تنظيم مؤتمر باندونغ سنة 1955

الوثيقة : 6

المستعمرات عبء ثقيل

« لم تعد المستعمرات اليوم برهان سعادة ولا هي علامة قوة. لقد استحالت الهند اليوم عبءًا جدّ مرهق. إن الأساطيل الصغيرة لهي اليوم بالنسبة إليها (البلدان الاستعمارية) أفضل من بلدان ما وراء البحار...».

ونستون تشرشل
ذكرها شارل ديغول في «مذكرات الحرب :
الإنقاذ 1944 - 1946». (وثائق الملاحق) بلون، 1959.

التعليمة

باعتماد الوثيقة (6) :

- أبرز الأسباب الكامنة وراء تحول المستعمرات إلى عبء أثقل كاهل الدّول الاستعمارية الكبرى.

الوثيقة : 7

«من الطبيعي أن ترتفع الانتقادات إثر توقيعنا على اتفاقية مؤلمة مثل هذه*..
أقول فقط لمن ينتقدنا بحدّة وشدّة : لا تنسوا ديان بيان فو Dien Bien Phu ووقائع أخرى أدت بنا إلى هذه الحال.. هل تعتقدون فعلا أنه بإمكاننا، وخريطة الحرب في مستعمراتنا على ما تعرفون، الحصول على ما هو أفضل ؟
أيتها السّيدات، أيها السّادة لقد طوينا اليوم صفحة من صفحات تاريخنا... وليكن لدينا من برود الأعصاب والشجاعة ما يجعلنا نستخلص ممّا حدث درسا هو بالتأكيد أليم ولكنه يمكن أن يكون مفيدا لنا في المستقبل في إطار إعادة بناء علاقات فرنسا مع مستعمراتها السابقة ضمن «الاتحاد الفرنسيّ...».

مقتطف من خطاب منداس فرانس أمام الجمعية الوطنية الفرنسيّة (23 جويلية 1954،
أخذ من الجريدة الرسمية Journal Officiel ، الحوارات البرلمانية، الجمعية الوطنية (1954)

* يلمح منداس فرانس إلى الاتفاقية التي أعقبت إقرار فرنسا بهزيمتها في الهند الصينية وقرارها منح هذا البلد استقلاله.

التعليمة

■ استخلص من هذه الوثيقة أهم تداعيات هزيمة «ديان بيان فو» على السّياسة الإستعمارية الفرنسية.

الوثيقة : 8

هزيمة الإمبراطوريات الاستعمارية في الحرب وأثرها في المستعمرات

«وجاء تأثير الحرب العالمية الثانية حاسما في هذا المجال. وضعف النظام الاستعماري تجلى بأجلى مظاهره في الانهيار الذي آلت إليه الإمبراطوريات الاستعمارية في آسيا أمام الغزو الياباني..
أما في باقي القارات فإن انتصارات رومل المدوّية، وهزيمة فرنسا، أحدثا رجّة عنيفة تجاوبت أرجاءها كل بلدان الشرق الأدنى وشمالي إفريقيا [...] والحرب التي جندت مئات الألوف من الهنود والإفريقيين للدفاع عن الدول الأوروبية، أتاحت لهم الفرصة أن يقارنوا بين ما هم عليه من مستوى حياتي متدنّ ومستوى العيش الذي يرفل فيه الأوروبيون، كل ذلك حرك فيهم الهمم وبعث فيهم الرّغبة الشديدة لوضع حدّ لما يستهدفون له هم وخيرات بلادهم، من استغلال مشين، وعوّلوا على المطالبة بحريّة بلادهم واستقلالها..»

موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، العهد المعاصر، ج 7، بيروت 1988، ص 622

التعليمة

■ استخلص من خلال هذا النص تأثير الحرب العالمية الثانية على الدول الإستعمارية الكبرى وعلى شعوب المستعمرات في نفس الوقت.

الوثيقة : 9

كان الاتحاد السوفياتي يدافع منذ الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى عن البلدان الواقعة تحت الاستعمار [...] وكان أن وقف إلى جانب زعماء الحركات القومية في كل من بلدان الشرق وإفريقيا. ولقد شجع هذا الموقف شعوب هذه الأقطار على الصمود في وجه الدول المستعمرة عندما راحت تحاول توطيد نفوذها وتأييد سلطتها على تلك البلدان بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

موريس كروزيه، نفس المرجع، ص 623

الوثيقة : 10

تأثير الماركسيّة في مثقّفي المستعمرات : هوشي منه (1960)

«... لقد قرأت أطروحات لينين الّتي قدّمها لي أحد الرّفاق، وهي أطروحات تتعلّق بمشكل القوميّات وشعوب المستعمرات (أطروحات المؤتمر الثّاني للأمميّة الثّالثة (1920)).

لقد توصلتُ إلى فهم ما تحويه. وقد هزّت هذه الأطروحات مشاعري وأثارت فيّ حماسا فيّاضا وبعثت فيّ أملا كبيرا وساعدتني على النّظر إلى المشاكل بأكثر وضوح».

ج، لاكوتور Lacouture . خمس رجال وفرنسا. باريس 1961 الصّفحتان 22 و23.

التعليمة

■ اعتماد الوثيقتين (9 و10) . حدّد أسباب مناصرة الإتحاد السوفياتي لحركات التحرر الوطنيّ في العالم.

الوثيقة : 11

قرار مجلس النواب الأمريكي بتاريخ 23 جوان 1955

«بناء على مساندة الشعب الأمريكي التقليدية للشعوب الأخرى في توقها إلى تحقيق استقلالها... يقرر مجلس النوّاب... أنّه يتعيّن على الولايات المتحدة قيادة سياستها الخارجية بشكل يضمن مساعدة الشعوب الأخرى في جهودها من أجل الاستقلال حتى تتساوى بباقي الأمم في العالم.»

كتاب التاريخ، السنة الرابعة ثانوي، م.ق.ب. تونس 2001، ص 137.

الوثيقة : 12

(J.F. DULLES)

مقتطفات من تصريح لجون فوستر دولس

كاتب الدّولة الأمريكية أمام الكونغرس الأمريكي يوم 18 مارس 1953

1) إنّنا ندفع باتّجاه الحكم الذّاتي أكثر ممّا يبدو ظاهريّا.

2) إنّنا قد نحدّ أحيانا من جماح البعض لأنّه يتبيّن لنا أنّ عملا متسرّعا قد لا يفضي عمليّا إلى الاستقلال بل إلى عبودية أشنع من التّبعيّة السّابقة.

3) إنّنا قادرون على التّمييز بين الحالات الّتي يمثّل فيها التّهديد الشّيوعي حجّة تبرّر التّريّث والحالات الّتي لا تنطوي على أي سبب وجيه يستوجب التّريّث.

إنّ لنا أسباب وجيهة تجعلنا نتمسّك بالوحدة مع حلفائنا الغربيّين، لكن ذلك لا ينسينا أنّنا كنّا أوّل مستعمرة انتزعت استقلالها. إنّنا لم نسلّم صكّا على بياض لأيّة قوّة استعماريّة».

كتاب التّاريخ المعاصر نشر Hachette، باريس 1992، صفحة 81

التعليمات

باعتماد الوثيقتين (11 و12) :

- استخلص أهم دوافع مساندة الولايات المتحدة الأمريكية لحركات التحرير في العالم غداة الحرب العالمية الثانية.
- قارن (بالاعتماد على مكتسباتك) بين مساندة الولايات المتحدة لحركات التحرير ودعم الاتحاد السّوفياتي لها في نفس تلك الفترة.

الوثيقة : 13

احتلت المسألة الاستعمارية حيزا لا بأس به في ميثاق الأمم المتحدة حيث شغلت ثلاثة فصول كاملة : الفصل الحادي عشر وعنوانه : «التصريح الخاصّ بالأقاليم التي لا تتمتع بالحكم الذاتي» (المادتان 73. 74) والفصل الثاني عشر الذي يحتوي على النصوص المتعلقة بنظام الوصاية (المواد 75-85.) والفصل الثالث عشر والذي يحتوي على النصوص المتعلقة بتشكيل وظائف وسلطات وقواعد التصويت وإجراءات مجلس الوصاية (المواد 86 - 91). ويبلغ عدد مواد هذه الفصول الثلاثة 19 مادة من إجمالي مواد الميثاق البالغ عددها 111.

حسن نافعة.

«الأمم المتحدة في نصف قرن، الكويت، 1995، ص 160

الوثيقة : 14

قرار منظّمة الأمم المتحدة المتعلّق بحقّ الشّعوب في تقرير مصيرها (16 / 12 / 1952)

«... على الدّول الأعضاء في المنظّمة الاعتراف بحقّ سكّان الأقاليم الواقعة تحت وصايتها والخاضعة لإدارتها في تقرير مصيرهم وإعانة هذه الشّعوب على بلوغ ذلك. وعليها أن تسهّل ممارسة هذا الحقّ لشعوب هذه الأقاليم، وذلك تماشيا مع روح ميثاق الأمم المتحدّة ومبادئه فيما يتعلّق بكلّ إقليم، وعليها الاعتماد على الإرادة المعبّر عنها بحريّة للسّكان المعنيّين، علما بأنّ إرادة هؤلاء السّكان تحدّد عن طريق الاستفتاء وبطرق ديمقراطيّة أخرى معترف بها، على أنّه من الأفضل أنّه يكون ذلك تحت إشراف الأمم المتّحدة».

ورد بالموقع الرقمي Cliotexte

الوثيقة : 15

«إن الجمعية العامة... إذ تعلن عن ضرورة التصفية العاجلة واللامشروطة لجميع أشكال الاستعمار ومظاهره..

تقرّر ما يلي :

- يعد إخضاع الشعوب للنير والسيطرة والاستغلال الأجنبي خرقا للحقوق الأساسية للإنسان ويتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة.
- من حق كافة الشعوب أن تقرر مصيرها بحرية وأن تتمتع بمقتضى هذا الحق بحريتها الكاملة في اختيار نظامها السياسيّ.
- لا يحق إطلاقا اتّخاذ ضعف الأهلية في الميادين السياسية والاقتصادية.. أو في ميدان التعليم ذريعة لتأخير الاستقلال..
- العمل على وقف الأعمال العسكرية وكلّ أنواع الاجراءات القمعية الموجهة ضد الشعوب المستعمرة لتمكينها من الممارسة السلمية والحرة لحقها في الاستقلال التام واحترام وحدة ترابها الوطنيّ.

من **القرار الأمميّ رقم** 1514 بتاريخ 14 ديسمبر 1960 ذكره حسن نافعة

الأمم المتحدة في نصف قرن، الكويت 1995، ص 161.

التعليمات

باعتماد الوثائق (13 و14 و15) :

- تبيّن الدور الهام الذي نهضت به الأمم المتحدة من أجل مساندة الشعوب المستعمرة والمولّى عليها.
- حاول تبيان أسباب تحول المنظمة الأممية لمنبر لإدانة الاستعمار والمطالبة بالاستقلال.

الوثيقة : 16

مقتطفات من خطاب الاختتام الّذي ألقاه جَوَاهِرْ لاَلْ نَهرُو أمام ندوة باندونغ (24 / 4 / 1955)

... لقد كانت باندونغ طوال هذا الأسبوع محطّ الأنظار أو بالأحرى عاصمة إفريقيا وآسيا... لقد اجتمعنا هنا لأنّ قوى هائلة أخذت تتحرّك داخل هذه القارات الكبرى، دافعة بملايين البشر إلى النّهوض وقلوبهم طافحة بالحيويّة والحماس وإرادة تغيير أوضاعهم... لقد سجّلنا تأخّر وتراجعَ ركبنا عن سباق العالم... إلاّ أنّنا مقرون العزم خلال هذه المرحلة الجديدة من تاريخ إفريقيا وآسيا على تدارك ما فاتنا... إنّنا نمثّل بلداننا كبيرة لها وزنها في هذا العالم. ونحن نريد العيش أحرارا ودون تلقّي أوامر من أيّ كان. وإنّنا نعير أهميّة للصّداقة مع القوى العظمى لكنّنا... لن نتعاون في المستقبل معها إلاّ على قدم المساواة... ولهذا فنحن نرفع أصواتنا ضدّ الهيمنة والاستعمار اللّذين عانى منهما طويلا الكثير منّا... إنّنا نريد أن نكون أصدقاء للغرب والشّرق ولكلّ العالم... إنّي على اقتناع بأنّ ليس ثمّة مأساة أكثر هولا ممّا عانته إفريقيا منذ قرون، أي منذ العهد الّذي كان فيه الملايين من الأفارقة يُشحنون بصفتهم عبيدا إلى أمريكا أو غيرها، وكان نصفهم يموت أثناء الرّحلة. لكن حتّى في أيّامنا هذه وللأسف، فإنّ مأساة إفريقيا لا تضاهيها مأساة أيّة قارّة أخرى، وذلك من جرّاء ما تعانيه من عنصريّة وأوضاع سياسيّة. وعلى آسيا أن تعين إفريقيا بأقصى إمكانياتها لأنّنا قارّتان أختان».

ورد «بخطب» جواهر لال نهرو 1949 - 1961، نيودلهي

الموقع الرقمي : http:/ww3.ac-creteil.fr/hge/spip/article.php3?id article=374

الوثيقة : 17

فقرة من البلاغ النّهائي لندوة باندونغ

(تضامن النّدوة مع حركات التحرّر في المغرب العربي)

تعلن الندوة :

- وجوب وضع حد للاستعمار بكل أشكاله...

- إن استعباد الشعوب واستغلالها مناف لحقوق الإنسان الأساسية ومتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة... وتؤكد دعمها استقلال تلك الشعوب.

«... أمام الوضع المتردّي السّائد في إفريقيا الشّمالية وأمام ما تواصل من رفض منح شعوبها حقّها في تقرير المصير، فإنّ النّدوة تؤيّد حقّ شعوب الجزائر وتونس والمغرب في تقرير المصير والاستقلال، وتطلب من الحكومة الفرنسيّة إيجاد حلّ سلمي لهذه القضيّة في أسرع الأوقات».

ورد بالموقع الرقمي Cliotexte

التعليمة

بالاعتماد على الوثيقتين (16 و17)

■ استخلص أهمية مساندة مؤتمر باندونغ لحركات التّحرير في العالم، وتوقف عند معاني التضامن الافريقي الآسيوي.

النشاط الثّاني أتعرّف إلى أنماط التحرّر وموجة استقلال المستعمرات في آسيا

الموارد

الوثيقة : 18

ديان بيان فو

... وفي ديان بيان فو دكّ جيشنا أعظم قامة للعدو في الهند الصينية وهزم 16.000 مقاتل من بين أشدّ المقاتلين واضراهم. وأثناء هذه المعركة التي امتدت بين شتاء 1953. وربيع 1954 خسر العدو على كامل الجبهات المتصلة بديان بيان فو (110.000) رجل...

كان الإمبرياليون الفرنسيون والأمريكيون يعتقدون بواسطة مخطط «نافار» خوض معركة حاسمة. وفعلا فقد كانت ديان بيان فو حاسمة. هذا الانتصار العظيم لشعبنا وجيشنا جسّم هزيمة نكراء للإمبرياليين المعتدين...

وحق لشعبنا أن يفتخر بذلك. لقد أقمنا، تحت قيادة حزبنا ورئيسنا «هوشي منه» حجة تاريخية كبرى تتمثل في «أن شعبا مستعمرا وضعيفا لكن موحدا في الكفاح، يَهُبّ بعزم للدفاع عن الاستقلال والسلم، لقادر تماما على هزم قوى الإمبريالية المعتدية.

وهكذا فان ديان بيان فو ليست انتصارا لشعبنا فحسب، بل هي انتصار لجميع الشعوب الضعيفة التي تكافح للتخلص من نير الاستعمار والامبريالية. هذا هو مغزاها. سوف يسجل التاريخ أنها من أهم أحداث حركة شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا الجنوبية التي تناضل لتحقيق حريتها وسيادتها وتقرير مصيرها.

الجنرال جياب «حرب الشعب، جيش الشعب»

ماسبيرو، ص 180 - 181 و182

التعليمة

■ بيّن بالاعتماد على الوثيقة (18) الأسلوب الذي توخّاه الشعب الفيتناميّ للتحرّر من الاستعمار... وما هي معاني انهزام قوّة عسكرية عظمى أمام جبهة تحرير محدودة الإمكانيّات والوسائل ؟

الوثيقة : 19

مقتطفات من الدستور الفرنسي لسنة 1946

الفصل 60 : يتكون الاتحاد الفرنسي من الجمهورية الفرنسية (فرنسا الوطن الأم ومقاطعات ما وراء البحار) والدول الشريكة (المحميات والبلدان الواقعة تحت الانتداب) .

الفصل 64 : يرأس رئيس الجمهورية الفرنسية الاتحاد الفرنسي...

الفصل 65 : يتألف المجلس الأعلى للاتحاد من ممثلين عن الحكومة الفرنسية وممثلي الدّول الشريكة...

الفصل 81 : يعتبر مواطن الاتحاد الفرنسي جميع الفرنسيين ورعايا الدول الشريكة...

الدستور الفرنسي 27 أكتوبر 1946

إضاءات

رابطة الشعوب الفرنسية Communanté Française تعوّض الاتحاد الفرنسي :
أقرت آخر حكومات الجمهورية الرابعة الفرنسية بموجب قانون صادر في جوان 1958 إجراء استفتاء حول دستور جديد نصّ على إنشاء «رابطة الشعوب الفرنسية» ومهد الجنرال دي غول لهذا القرار بخطاب قال فيه : إن كل بلد يصمم على الاستقلال يناله بمجرد أن يصوت بلا وكل بلد يشعر مع الأيام بقدرته على تسلم مقاليد أموره، له وحده أن يتخذ هذا القرار...» وتم الاستفتاء في سبتمبر 1958 وأسفر عن انتظام ما تبقى من مستعمرات فرنسية ضمن ما يسمى «برابطة الشعوب الفرنسية» وكانت غينيا بزعامة سيكو توري أول من اختار الانفصال...

موجة تحرر المستعمرات بعد الحرب العالمية الثانية

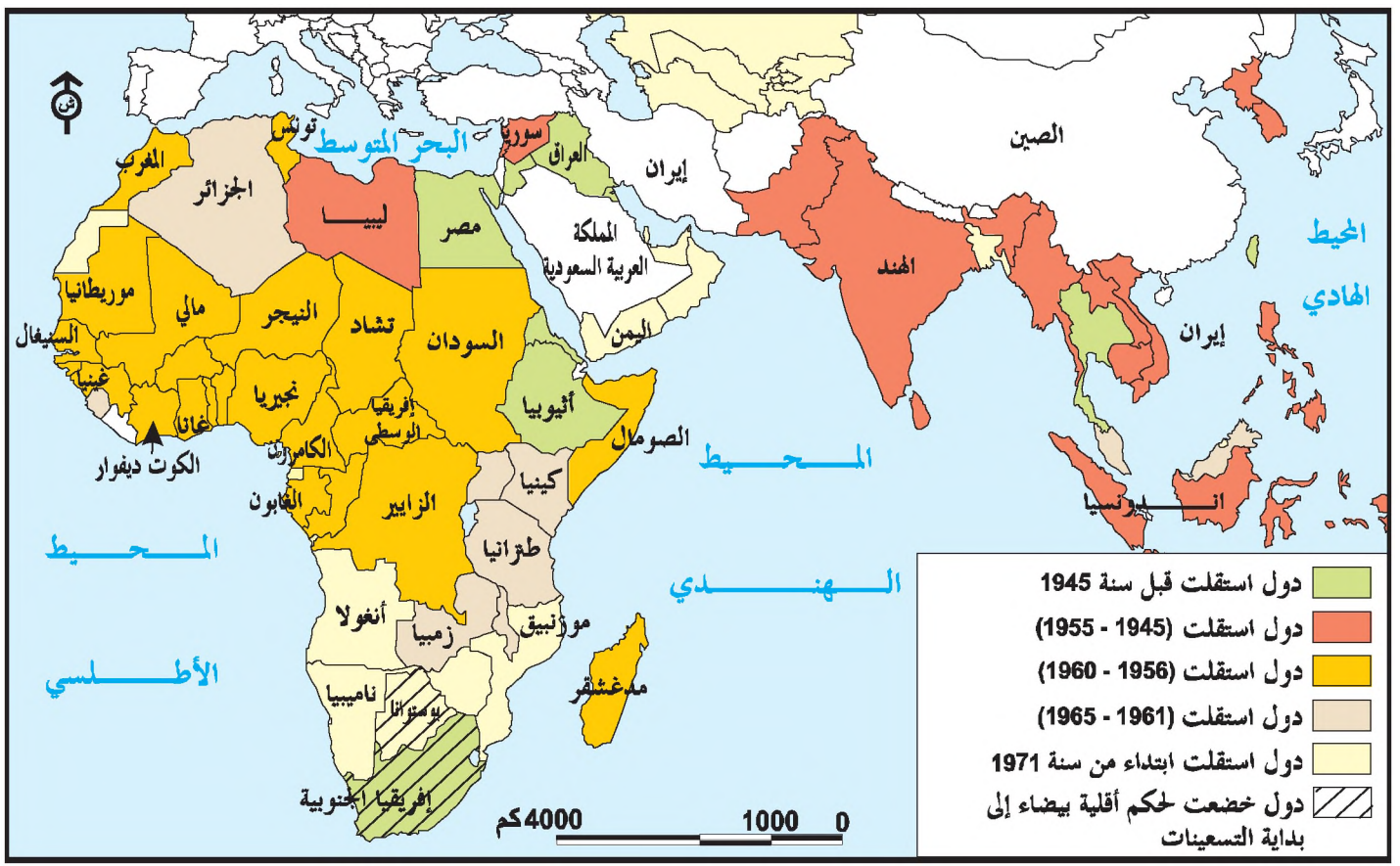

الوثيقة : 21

الانحسار الاستعماري

«يجمع المؤرّخون المعاصرون، بلا استثناء على أن العقد الأخير من الزمان ـ وهو العقد الذي يبدأ بالنصف الثاني من الخمسينات ويمتد حتى وقتنا هذا ـ [1967] يعتبر من أهمّ فترات التاريخ الحديث، باعتباره هو العقد الذي شهد فيه العالم قمّة المدّ التحرّري الجارف الذي انحسر أمامه الحكم الاستعماري في عشرات من الدول الافريقية والآسياوية وفي أجزاء أخرى من العالم، حتى حقت تسميته في الجمعية العامة للأمم المتحدة بأنه «عقد تصفية الإستعمار».

وإذا كان انحسار الحكم الاستعماري المباشر عن معظم أجزاء افريقيا هو من المعالم المميّزة لهذا العقد، فإن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن الدول الاستعمارية... كفت عن محاولاتها من أجل الحفاظ على مصالحها الاحتكارية في القارة والاستمرار في فرض سلطانها الاستعماري على شعوبها مستخدمة في ذلك أساليب مستحدثة ومختفية وراء أقنعة متعدّدة كلما اضطرت إلى ذلك اضطرارا، بل وكاشفة عن حقيقة وجهها الاستعماري الاستغلالي متحدية كل القوى التحرريّة المناهضة لها إذا أعيتها الحيل والسبل وأساليب الخداع...».

حمدي حافظ

المشكلات العالمية المعاصرة، القاهرة 1968، ص 563

التعليمة

بالاعتماد على الوثيقتين (19 ـ 21) والإضاءات :

- بيّن الأساليب التي يجنح إليها الاستعمار في الإبقاء على مصالحه في مستعمراته القديمة.

أستخلص

المقدّمة :

شهد العالم، بعد الحرب العالمية الثانية تفكّك الإمبراطوريات الاستعمارية التقليدية إثر موجة الاستقلالات التي توّجت عقودا من نضال شعوب المستعمرات في آسيا وافريقيا من أجل الظفر بالاستقلال، وحق تقرير المصير.

I - العوامل المساعدة على تحرّر الشعوب المستعمرة :

إن العوامل التي ساعدت على انعتاق الشعوب المستعمرة عديدة ومتداخلة. ومن أهم هذه العوامل نذكر :

1 ـ العوامل الداخلية :

أ ـ استفحال أزمة المستعمرات :

ساءت أحوال شعوب المستعمرات خلال فترة ما بين الحربين العالميتين لا سيما بعد أزمة الثلاثينات. ولقد اكتشفت تلك الشعوب زيف ما كان يبشر به الاستعمار الغربي من مبادئ ومثل، منذ السنوات الأولى لتمركزه. ويمكن إيجاز السياسات الاستعمارية الأوروبية في ثلاث نقاط : أولاها الاستئثار بموارد المستعمرات وثرواتها خدمة للميتروبول (الوطن الأم)، وثانيها التفرّد بمقدرات المستعمرات وإدارة شؤونها بمعزل عن السكان من الأهالي، وثالثها النظرة المتعالية على سكان المستعمرات الذين عوملوا بوصفهم تابعين لا مواطنين. وهنا يصح القول ان العامل الأول في تحرير الشعوب هو الاستعمار نفسه، إذ شكلت الظاهرة الاستعمارية، بكل تناقضاتها حافزا لشحذ الوعي لدى الشعوب المستعمرة.

ب ـ مشاركة شعوب المستعمرات في الحرب العالمية الثانية :

ساهمت شعوب المستعمرات، مثلما كان الحال خلال الحرب العالمية الأولى، في الجهد القتالي خلال الحرب العالمية الثانية في صفّ مستعمريهم. ومن الأمثلة على ذلك زجّ الانقليز بأكثر من مليون مقاتل هندي في الحرب. كما فاق عدد المقاتلين من أصل مغاربي في الجيش الفرنسي 220.000 رجل. وفضلا عن ذلك زوّدت المستعمرات الدول الاستعمارية خلال الحرب بما كانت تحتاجه من مواد أولية وغذاء. ولقد حصلت بعض المستعمرات، والحرب على أشدها، على وعود بالاستقلال، شأن الهند والفيليبين. وقد تسنى لجندي المستعمرات مقارنة مستويات عيش الأوروبيين الرفيعة وما كانوا عليه في بلادهم من مستوى حياة متدنية وهو ما حرّك فيهم الرغبة في الانعتاق.

ج ـ احتداد الوعي الوطني، ودور النخب المحلّية :

استغلّت النخب المثقّفة في جميع المستعمرات، أي تلك التي تلقت تعليما عصريا في المدارس والكليات الاستعمارية، وتشبعت بالأفكار الليبيرالية ومبادئ الثورة الفرنسية تحديدا، أزمة الدول الاستعمارية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وركّزت دعايتها على التناقض الصارخ بين المبادئ والقيم الإنسانية النبيلة وممارسات السياسة الاستعمارية، ثم هبّت تنكر على الإستعمار ادعاءاته (1 و2) وتنادي عاليا بحقها في التحرّر منه.

وبالتدريج تجذرت الحركات الوطنية في المستعمرات الفرنسيّة والبريطانية والبلجيكيّة في كل من آسيا وإفريقيا بفضل جهود زعامات أصبح للبعض منها صيت دولي (3 و4 و5) واعتمدت العديد من الشعوب الكفاح المسلّح وغيره من أشكال المقاومة السياسية العنيفة مما جعل تكلفة الاحتلال تصبح باهظة بالنسبة للدول الاستعمارية (6) و لم يكن أمام هذه الأخيرة من حلّ سوى الرضوخ لمطالب الوطنيين (7.)

2 ـ العوامل الخارجية :

أ ـ تداعيات الحرب العالمية الثانية على الدول الاستعمارية الكبرى :

فقدت الامبراطوريات الاستعمارية الكبرى خلال الحرب الكثير من هيبتها ونفوذها المعنوي في نظر سكان المستعمرات بعد أن منيت بهزائم عسكرية منكرة في أوروبا وآسيا وإفريقيا (8). فقد احتل الألمان هولندا وبلجيكا وقسما هاما من فرنسا. وقامت الجيوش اليابانية باحتلال المستعمرات الأوروبية في جنوب شرقي آسيا وشجعت تطور الحركات الوطنية ودعت تلك الشعوب إلى الوقوف إلى جانبها للقضاء على استعمار «البيض».

وتجدر الإشارة إلى أن اليابان، بما حققته من مكاسب قبل هزيمتها عام 1945 قد فرضت هيبة الإنسان الآسيوي وحرّرته من عقده تجاه الغرب. ونتيجة لذلك اغتنم الوطنيون الفيتناميون تلك الظروف لتأسيس «حزب استقلال فيتنام» أو حزب «ألفيت منه Viet Minh الشيوعي خلال سنة 1941 بقيادة هوشي منه (3) الذي رسم كغاية له الاستقلال عن فرنسا وإقامة جمهورية اشتراكية ديموقراطية.

ب ـ مناهضة العملاقين للاستعمار :

تميّزت مواقف الاتحاد السوفياتي بمناهضة الاستعمار ودعم حركات التحرّر الوطني سياسيا على المسرح الدولي، وماديا على أرض الواقع وفي ساحات المواجهة (9)

وجاءت مناصرة الاتحاد السوفياتي لحركات التحرر تماشيا مع الايديولوجية الماركسية اللينينية الرافضة، من حيث المبدأ، لاستغلال الإنسان للانسان أو شعب لشعب (10)

ثم إن هذا الموقف كان يمثل جزءا من استراتيجية كانت ترمي إلى اضعاف المعسكر الغربي وحرمانه من عمقه الاستراتيجي والاقتصادي على الساحة الدولية ممثلا في المستعمرات.

كما عارضت الولايات المتحدة الاستعمار الأوروبي (11) وادعى الرؤساء الأمريكيون في فترة ما بعد الحرب وخلال الحرب الباردة أن مناوأة الولايات المتحدة للاستعمار موقف مبدئي باعتبار أن الولايات المتحدة نفسها عانت منه وخاضت حربا للحصول على استقلالها (12). ثم إن الولايات المتحدة دخلت الحرب ضد النازية انتصارا للحرية والديمقراطية. ومما ينبغي إبرازه هنا أن هذا الموقف الأمريكي المناهض للاستعمار، على أهميته، لا يجب أن يحجب رغبة الولايات المتحدة في تعويض الاستعمار التقليدي في المناطق التي سينجلي عنها، ولكن بوسائل وأساليب أخرى لم يكن بينها الاحتلال المباشر.

ج ـ دور الأمم المتحدة :

خصص ميثاق الأمم المتحدة حيّزا مهما للمسألة الاستعمارية (13). وعلقت الشعوب المستعمرة بعد الحرب العالمية الثانية آمالا كبيرة على منظمة الأمم المتحدة في نضالها من أجل نيل استقلالها، ناهيك وأن المنظمة الأممية الجديدة قد لقيت الدعم، في نشاطها المناهض للاستعمار من لدن الولايات المتحدة والاتحاد السّوفياتي.

وتحوّلت الجمعية العامة إلى منبر لإدانة الاستعمار والمطالبة بحق تقرير المصير للشعوب المولى عليها ومن بين القرارات المهمة قرار المنظمة الأممية بتاريخ 16 ديسمبر 1952 المتعلق بحق الشعوب في تقرير مصيرها (14) وخاصة القرار الأممي عدد 1514 بتاريخ 14 ديسمبر 1960 وهو أهم قرار ضد الإستعمار (15)

د ـ التضامن الإفريقي ـ الآسيوي (مؤتمر باندونغ)

تجلى هذا التضامن بين الدول الحديثة العهد بالاستقلال والشعوب المستعمرة في مؤتمر باندونغ Bandoung . (18 –24 أفريل 1955) المنعقد بجزيرة جاوة بأندونيسيا، إذ طالبت الدول المشاركة (26، دولة آسيوية و6 دول إفريقية)، في تقريرها النهائي بحق شعوب المستعمرات في تقرير مصيرها بنفسها (16) وبمحاربة التمييز العنصري لتحقيق المساواة بين جميع الأجناس والقوميات، وانطلاقا من تلك المبادئ ساند المؤتمرون حقوق العرب في فلسطين، وندّدوا بأساليب الاستعمار الفرنسيّ في المغرب العربي (17)

II ـ أنماط التحرّر وموجة استقلال المستعمرات في آسيا وإفريقيا :

1 ـ أنماط التحرّر :

اختلفت أساليب ووسائل نيل شعوب المستعمرات لاستقلالها وذلك وفقا للظروف الخاصة بكل بلد من ناحية، ولطبيعة الإستعمار بهذا البلد أو ذاك من ناحية أخرى.

لقد رَاوَحت مختلف حركات التحرر بين أنواع عديدة من أساليب النضال. بين النضال السياسي عن طريق الأطر الحزبية، وهو حال تونس (الحزب الدستوري) والهند (حزب المؤتمر) ، والنضال المسلّح بواسطة حرب العصابات، شأن جبهة التحرير الوطني في الجزائر والفيتكونغ في فيتنام الجنوبي.

كما جنحت الشعوب المستعمرة إلى أشكال نضالية أخرى لم تكن أقلّ فاعلية مثل النضال المهني عن طريق النقابات (شنّ الإضرابات العامة السياسية، مقاطعة البضائع الأجنبية).. والنضال صلب الجمعيات إذ تشبثت الشعوب المستعمرة بتراثها الثقافي وتقاليدها و لم تتح للمستعمر فرصة محوه عن طريق فرض لغته وثقافته.

ولئن زاوجت أغلب حركات التحرير بين النضال السياسيّ والنضال المسلح فإنه لا بد من التمييز بين حركات غلّبت آلية النضال السياسي (تونس، مصر، الهند)، في تمشّيها، وأخرى طغى على أساوب نضالها من أجل التحرّر الجانب العسكري (الجزائر فيتنام على سبيل المثال (18)

ويمكن القول أن نيل الشعوب المستعمرة لاستقلالها قد تم وفق آليات ثلاث :

ـ دول استقلّت طبقا لوعود سابقة مقابل تنازلات اقتصادية وعسكرية : الهند، الفيليبين، ليبيا...

ـ دول استقلت على مراحل إذ غالبا ما اعتمدت فرنسا وبريطانيا سياسات مرحلية في السير بمستعمراتها إلى الاستقلال. وعلى سبيل المثال فقد حاولت فرنسا المحافظة على حضورها في إفريقيا من خلال إحداث الإتحاد الفرنسيّ (19) في مرحلة أولى، ورابطة الشعوب الفرنسيّة في مرحلة ثانية، ولكنها اضطرت في آخر الأمر، إلى منح أغلب مستعمراتها استقلالها سنة 1960.

ـ دول انتزعت استقلالها انتزاعا، أي أنها توخّت أسلوب العمل المسلّح حتى بلوغ أهدافها شأن أندونيسيا وفيتنام والجزائر.

2 ـ خريطة موجة استقلالات الدول الافريقية والآسيوية :

عرفت موجة استقلال شعوب المستعمرات بعد الحرب العالمية الثانية مَدًا كبيرا ويمكن تقسيمها إلى طورين كبيرين :

– الطور الأول : امتد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى موفى الخمسينات وشمل الأقطار الآسيوية وجل أقطار شمال إفريقيا

– الطور الثاني : منذ بداية الستينات وشمل أساسا الأقطار الإفريقية.

الخاتمة :

لم يكن طريق الشعوب المستعمرة من أجل التحرّر معبدا ولا سالكا دائما، وإنما كان طريقا طويلا وشاقا ذلك أن بعض البلدان المستعمرة حصلت على استقلالها بسهولة نسبيّة مستفيدة في ذلك من الظرفية العالمية لما بعد الحرب، ومن قوّة دفع التيّارات المناهضة للاِستعمار، ومن إطار الأمم المتحدة، واضطرت شعوب أخرى إلى تقديم مئات آلاف من الشهداء ثمنا للاستقلال.

وفي حين حصلت شعوب على استقلالها في مراحل مبكّرة، فإن شعوبا أخرى انتظرت سنين طويلة و لم تنل استقلالها إلا منذ مدّة ليست بالبعيدة.

ورغم الموجة العارمة لحركات الاستقلال التي عرفها العالم منذ أكثر من 50 سنة فإن هناك أقاليم في العالم لم تحصل بعد على استقلالها.

تمهيد لدراسة تونس من 1920 إلى 1956 :
الأطوار الكبرى للحركة الوطنية التّونسيّة

لم ينتظر التونسيون سنة 1920 لمواجهة الاستعمار الفرنسي بل انطلقت هذه المواجهة منذ أن وطأت أقدام الجيوش الفرنسية تراب تونس في أفريل 1881. ويرى البعض أن هذه المقاومة للتغلغل الأجنبي قد انطلقت منذ ثورة علي بن غذاهم سنة 1864 بل وقبل ذلك منذ بداية الإصلاحات في عهد أحمد باي، ألم يمثل التصدّي للاحتلال الأجنبي وهيمنته وجها رئيسيا من أوجه تلك الإصلاحات وهدفا أساسيا من أهدافها ؟

غير أن الحركة الوطنية التونسية الحديثة والتي توج نشاطها بنيل تونس الاستقلال التام سنة 1956 وإن استمدت جذورها من تلك الحركة الإصلاحية ومن المواجهة المسلحة لسنة 1881 فإن جذورها القريبة تلك تعود إلى حركة الشباب التونسي التي برزت قبل الحرب العالمية الأولى. ولم تتبلور ملامح هذه الحركة الحديثة حقا إلا بعد تلك الحرب. ويمكن تقسيم الفترة 1920 - 1956 بالنسبة للحركة الوطنية التونسية الحديثة إلى مرحلتين أساسيتين مثلت الحرب العالمية الثانية حدّا فاصلا بينهما لما طرأ على هذه الحركة إثرها من تحولات عميقة شملت جوانبها المختلفة من تنظيم وبرامج وأشكال نضال ولاختلاف حصيلة النضال بين الفترتين.

1 - **المرحلة الأولى (الطور الأول)** الممتدة من 1920 تاريخ تأسيس الحزب الحر الدستوري التّونسي إلى 1938 - 1939 تاريخ حوادث 9 أفريل واندلاع الحرب العالمية الثانية : يمكن اعتبار هذه المرحلة بمثابة مرحلة تأسيس للحركة الوطنية، فالوطنيون رغم غزارة نشاطهم وتنوعه لم يفلحوا في تحقيق ما حددوه من أهداف آنذاك، فجوهر ما توصلوا إليه هو تأسيسهم لمنظمات وطنية وبداية تحديد مشروع وطني وخوض تجارب نضالية ثرية شكّلت جميعها الأسس التي اعتمدوا عليها لتحقيق الانتصار على النظام الاستعماري بعد الحرب العالمية الثانية، لذلك يمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة التأسيس وسوف ندرسها على هذا الأساس.

على أن اختلاف الظروف وتباين سمات تطور الحركة الوطنية بين العشرينات والثلاثينات تجعلنا نقسم هذه المرحلة الأولى إلى فترتين.

- فترة العشرينات التي شهدت بالخصوص نشأة أول حزب سياسي وطني تونسي وهو الحزب الحر الدستوري التونسي بزعامة عبد العزيز الثعالبي.
- فترة الثلاثينات التي تميزت بانبعاث الحزب الدستوري الجديد ونضاله الشعبي بزعامة الحبيب بورقيبة.

2 - **المرحلة الثانية (الطور الثاني)** : منذ الحرب العالمية الثانية إلى الاستقلال التام سنة 1956. ولعلّ ميزتها الأساسيّة هي بلوغ الحركة الوطنية التونسية درجة عالية من النضج والاكتمال مكّنتها من خوض المعركة الحاسمة ضدّ الاستعمار الفرنسي وتتويج تلك المعركة بالظفر بالاستقلال التام.

الدرس الثّالث عشر

الحركة الوطنيّة التّونسيّة قبل الحرب العالميّة الثّانية : طور التأسيس

الجزء الأوّل : الحركة الوطنيّة في العشرينات

المدخل

أتناول بالدرس في هذا القسم الظروف الداخلية والخارجية التي دفعت الوطنيين التونسيين إلى استئناف نضالهم بعد الحرب العالمية الأولى وأتعرف إلى أوجه ذلك النضال وحصيلته.

النشاط الأول

أدرس ظروف تطور الحركة الوطنية التونسية في بداية العشرينات.

الموارد

الوثيقة : 1

الوضع المعاشي للتونسيين

«... على هذا المنوال أخذت الحكومة تضرب الضرائب وتفرض الإتاوات على عاتق الأمة* حتى ضاق ذرعها ونفد أكثر ما لديها... ولو وقف الأمر عند هذا الحد لقلنا بعض الشر أهون من بعض، ولكن انضم لهذه الضائقة ارتفاع فاحش في أثمان المعاش والموارد الضرورية للحياة حتى أصبح جل التونسيين في حالة بؤس وشقاء لا مزيد عليهما...».

جريدة الصواب، 15 **فيفري** 1924

* جرى منذ 1919 الترفيع في قيمة ضريبة الاستيطان (على الأشخاص) والقانون (على الزيتون) والعشر (على الحبوب) وإحداث ضرائب على الماشية.

إضاءات

لتكثيف الوجود الفرنسي بتونس عمدت السلطات الاستعماريّة في بداية العشرينات إلى اتّخاذ عدّة إجراءات منها :

- **إقرار الثلث الاستعماري** : منح الموظّفين الفرنسيين زيادة 33٪ في مرتّبهم.
- **إصدار قانون التجنيس** في 20 ديسمبر 1923 يَمنحُ الجنسيّة الفرنسيّة للرّاغبين فيها من الأجانب المقيمين بتونس أو من التّونسيين .

ازدياد الواردات التّونسيّة من فرنسا بالألف طن

السّنة	1918	1919	1920	1921
الحجم	180	320	540	590

الاستحواذ على الأراضي الفلاحيّة بالهكتار

السّنة	1919	1923	1927	1929
المساحة	19.600	20.121	14.849	19

الإنتاج الفلاحي في بداية العشرينات حسب القنطار

السّنة/ المادّة	القمح الصلب	الشعير	الزيتون
1921	2.098.500	2.500.000	48.000
1922	800.000	400.000	20.000

تطوّر قطيع الماشية بالرأس

السّنة/ القطيع	غنم	ماعز
1919	2.661.579	1.660.621
1924	1.378.840	797.970

ملاحظات : جميع الأرقام تقريبيّة

شهدت تونس في 1920 و 1924 الجفاف.

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقة (1) والإضاءات،

- ابرز سياسة فرنسا الاستعمارية في تونس في بداية العشرينات.
- بين مميزات الوضع الاقتصادي والاجتماعي للتونسيين.

الوثيقة : 2

نداء من اللجنة الجزائرية التونسية إلى الرئيس الأمريكي ولسن (2 جانفي 1919)

سيّدي الرئيس،
بعد التحيّة وبالغ الاحترام نسمح لأنفسنا بتقديم مطالبنا معبّرين بذلك عن مشاعر الشعب التونسي والجزائري. ففي خضمّ المطامح الإمبريالية المختلفة الأغراض رفعتم صوتكم دفاعا عن الشّعوب المضطهدة بحقها في الحياة الحرّة... لقد ضحّى الشعب الجزائري والتونسي بدمائه السخيّة في سبيل فرنسا، ورغم ذلك فهو محروم دائما من حقوقه المشروعة ومستعبد من قبل قلّة من المعمّرين، لهذا فإنّ مواطنينا يطالبون بحقهم في إرسال ممثلين عنهم لحضور مؤتمر السلم ليدافعوا عن قضيتهم ويظفروا بما يمكّنهم قانونا من ممارسة حقوقهم كاملة...
إنّ الشعب الجزائري والتونسي يضع آماله فيكم سيّدي الرئيس لاسترجاع حقه في التحكّم في مصيره بنفسه».

ورد النداء في : **محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية التونسية**، الجزء الأول، ص 44، منشورات الحزب الاشتراكي الدستوري 1974

الوثيقة : 3

أحمد توفيق المدني* يشيد بالكفاح الوطني التركي والمصري

«أمّا أنا شخصيّا، فكنت أكتب كلّ يوم طيلة أعوام مقالا يحلّل الحالة السياسيّة الخارجية...
... كنت أناضل النضال العنيف في تأييد الشعب التركي الذي قام شيوخه ونساؤه وصبيانه... [بعد] أن فرض [الأجنبي الجشع] على سلطانهم معاهدة «سيفر» القاسية، فقالوا كرجل واحد لا : لا، لا نقبل... وسجّلوا في تاريخهم الحديث أروع صفحات التضحية والكفاح والجهاد... إلى أن قهروا العدو... وحطّموا معاهدة «سيفر» وعوضوها بمعاهدة «لوزان» التي حققت لهم الاستقلال الوطني الشامل فوق الأرض التركية كاملة.
كنت إلى جانب ذلك أشيد بالكفاح الشعبي... الذي يخوضه المصريون وهم يؤيدون سعد زغلول ويحبطون مساعي الإنقليز... كنت أبشّر بذلك وكنت أستحثّ قومي إلى جهاد موفّق ومشاركة في حركة عالمية عاتية تسير بهم نحو حياة الحرية والكرامة...».

أحمد توفيق المدني : حياة الكفاح (مذكرات) ج I ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 241 - 242

* **أحمد توفيق المدني** : ولد بتونس لعائلة من أصل جزائري، كان من مؤسسي الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920، أبعد إلى الجزائر سنة 1925 لمواقفه المناهضة للاستعمار الفرنسي لتونس.

الوثيقة : 4

الشرط الثامن من الشروط الـ21 التي وضعها المؤتمر الثاني للأممية الثالثة الشيوعية المنعقد في جويلية ـ أوت 1920 لقبول انضمام الأحزاب الشيوعية إليها

«إنّ من واجب الأحزاب التي تمتلك برجوازية بلدانها مستعمرات وتضطهد أمما اتّباع خط سياسي وعملي واضح في مسألة المستعمرات والقوميات المضطهدة. فعلى كلّ حزب، ينتمي إلى مثل هذه البلدان، ويريد الانضمام إلى الأممية الثالثة، أن يشنّع بممارسة إمبرياليي بلده داخل المستعمرات ومشاريعهم، وأن يساند كلّ حركة تحرر تبرز بها مساندة فعلية لا بمجرّد القول، وأن يزرع في قلوب عمّال بلده مشاعر الأخوّة الحقّة إزاء جماهير المستعمرات الكادحة والقوميات المضطهدة، وأن يحرّض جيش بلده تحريضا مستمرّا على رفض قمع الشّعوب المولّى عليها».

عن لينين : خطب في مؤتمرات الأممية الشيوعية، دار التقدم، موسكو

لينين (1870 ـ 1924) : زعيم الثورة البلشفية الشيوعية بروسيا في أكتوبر 1917.

الأممية الثالثة الشيوعية : أو الكومنترن Komintern منظمة عالمية ضمّت الحزب الشيوعي السوفياتي وعدة أحزاب شيوعية في العالم، تأسست في مارس 1919 بموسكو واستمرّت إلى سنة 1943 وكان لها صدى في مختلف أنحاء العالم بما في ذلك المستعمرات. ففي تونس، تأسّس أوّل تنظيم شيوعي في مطلع العشرينات بصفته جناحا تابعا للفرع الفرنسي لهذه الأممية، وطالب الشيوعيون بتونس في العشرينات باستقلال تونس، ودعّموا حركة محمد علي الحامي النقابية.

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق (2 ـ 3 ـ 4)

■ حدّد الأحداث الدوليّة التي كان لها أثرها في الحركة الوطنية التّونسية.

النشاط الثّاني أتبين مظاهر تطور الحركة الوطنية في العشرينات :

الموارد

إضاءات

حركة الشباب التونسي : هي امتداد للحركة الإصلاحية للقرن XIX اتّخذت طابعا وطنيا بعد الاحتلال الفرنسي لتونس وتبلورت مع إصدار جريدة ناطقة باسمها باللسان الفرنسي «التونسي» LE TUNISIEN في 1907 ، وعبّرت فيها عن أفكارها ومطالبها، ومن أبرز قادتها علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي...

استند الوطنيون عند استئناف نشاطهم الوطني في العشرينات على دروس تلك الحركة ولعلّ أبرزها :

- محدودية آفاق النضال إذ اقتصر الشبان التونسيون على المطالبة «بتشريك» التونسيين في إدارة البلاد فقبلوا المشاركة في «الجمعية الشورية»*
- عدم وجود حزب كان بإمكانه تأمين استمرارية الحركة عند تعرض قادتها إلى القمع كما حصل بعد حوادث «الترامواي»**.
- نخبويتها وانحصارها في العاصمة تونس.

***المجلس الشوري : أو الجمعية الشورية أو الندوة الاستشارية**، مؤسّسة تمثيلية أحدثتها فرنسا منذ 1890 ضمّت نوابا منتخبين عن المعمّرين الفرنسيين بتونس، وفي 1907 أحدث قسم تونسي داخلها رحّبت به حركة الشباب التونسي باعتباره شكلا من أشكال تشريك الأهالي في إدارة شؤون البلاد، ولهذه الجمعية صبغة استشارية بحتة فيما يتعلق بمشاريع سلطات الحماية المالية والجبائية لا غير.

****أحداث الترامواي فيفري - مارس 1912** : قاطع سكان العاصمة شركة الترامواي إثر مقتل تونسي داسته عربة الترامواي، وتحولت المقاطعة إلى حركة مطلبية سياسية عند تأسيس لجنة أشرف عليها بعض قادة حركة الشباب التونسي (المطالبة بمنح الأولوية في تشغيل التونسيين بالشركة ومساواة التونسيين في الأجور مع العمال الأوروبيين...) وأمام صمود المقاطعة التجأت سلطات الحماية إلى القمع فاعتقلت قادة حركة الشباب التونسي وسجنت بعضهم ونفت آخرين ومنعت صدور صحيفة «التونسي» فتلاشت الحركة.

الوثيقة : 5

نشاط الثعالبي بباريس في بداية العشرينات

«لقد تحوّل الثعالبي في مهمّة إلى باريس بعد الاتّفاق مع بعض أعضاء الحزب* وذلك للالتحاق بأحمد السقا** والعمل معه على استمالة السياسيين الفرنسيين إلى المطالب التونسية التي ينبغي عرضها في كتاب «تونس الشهيدة»***.

ومن جهة أخرى فقد صرّح الثعالبي أنه انخرط في الجمعيات والتنظيمات الآتية : لجنة فرنسا والشرق، الجمعية الفرنسية للمشرق، اللجنة الفرنسية الإسلامية... وقد كان لهذا النشاط الذي قام به الثعالبي لدى مختلف الأحزاب السياسية والمؤتمرات واللجان وعن طريق الصحافة، نتيجة مزدوجة :

- بيدو أنّ الرأي العام (الفرنسي) قد أبدى تعاطفه مع الشعب التونسي...
- لقد قبل الحزب الاشتراكي (الفرنسي) النظر في المسائل التونسية والقيام بمهمّة عرضها على البرلمان (الفرنسي)».

عبد العزيز الثعالبي : تونس الشهيدة، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثّانية، 1988 ، بيروت، الملحق، من تقرير قاضي التحقيق العقيد «بارون» حول قضية الثعالبي، ص 338 و343 و347

* **الحزب** : هو «الحزب التونسي» وهو تجمع كونه الوطنيون سنة 1919 عند استئناف نشاطهم إثر الحرب العالمية الأولى.

** **أحمد السقا** : محامي تونسي أصيل المنستير كان أول مبعوث عن الوطنيين إلى باريس بعد الحرب العالمية الأولى للتعريف بالقضية الوطنية وكسب تأييد الرأي العام الفرنسي لها.

*** **«تونس الشهيدة»** : لم يكن هذا الكتاب من الإنتاج الشخصي لعبد العزيز الثعالبي بل هو ثمرة مجهود العديد من الشباب التونسي... تكمن أهميته في تحليل نظام الحماية وانعكاساته الوخيمة على الشعب التونسي وكذلك في المطالب التي تضمنها وأهمها : إقامة نظام دستوري ديمقراطي يرتكز على الفصل بين السلط وتكوين حكومة تحت إشراف الباي مسؤولة أمام سلطة تشريعية يمثلها مجلس أعلى متركب من 60 عضوا يعيّن الباي عشرة منهم والبقية ينتخبهم الشعب التونسي لمدة 4 سنوات، وإقامة سلطة قضائية مستقلة.

الوثيقة : 6

نشأة الحزب الحر الدستوري التونسي

«في شهر فيفري من سنة 1920، جاءت من باريس رسالة من الشيخ عبد العزيز الثعالبي* ... يقول فيها ما ملخّصه :

1 - إنّ حركة ولسون قد أخفقت وأنّ الآمال المبنيّة عليها قد انهارت، وقد علمت الشعوب العربية كلّها أنّها لا تنال حقها إلاّ بجهودها وجهادها، ولهذا لزم الاستعداد لكفاح طويل مرير ربّما ولجت رحابه الأجيال.

2 - إنّه لم يعد الآن في الإمكان المطالبة بإلغاء الحماية فذلك قول لا يسمع له اليوم إنّما يجب أن نطالب بإعلان الدستور التونسي، وأخذ زمام الحكم بأيدينا وإدارة بلادنا بأنفسنا، وتكتفي فرنسا بالإشراف والحماية الخارجية، كما هو منطوق ومفهوم معاهدة 1881.

3 - يجب أن يتطوّر الحزب وينتظم ويجب أن يدعى الحزب الدستوري وأن يشمل كلّ الطبقات التونسيّة.

أحمد توفيق المدني، ذكر سابقا، ص 173

* عبد العزيز الثعالبي 1874 - 1944 : ولد بمدينة تونس، زاول تعليمه بجامع الزيتونة، يعدّ من المفكرين العرب المصلحين واصطدم برجال الدين المحافظين. كان عضوا نشيطا في حركة الشباب التونسي وأبعدته فرنسا عن تونس بسبب هذا النشاط سنة 1912. في 1919 سافر إلى باريس للدفاع عن القضية التونسية وأصدر سنة 1920 بمعيّة أحمد السقا كتاب «تونس الشهيدة» فوقع إيقافه بباريس في 31 جويلية 1920 وأرجع إلى تونس. وفي سنة 1921 أطلق سراحه وغادر تونس في شهر جويلية 1923 و لم يعد إليها إلا سنة 1937. فشل في التوفيق بين الحزبين الدستوريين القديم والجديد، وتقلّص نشاطه بعد أحداث أفريل 1938 إلى أن توفي بتونس.

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق (2 - 5 - 6) والإضاءات

- بيّن الأنشطة الّتي قام بها الوطنيّون قبيل تأسيس الحزب الدّستوري.
- استخرج دواعي تأسيس هذا الحزب بزعامة عبد العزيز الثعالبي مبرزا مدى استفادة الوطنيين من تجربة حركة الشّباب التّونسي.

الوثيقة : 7

برنامج الحزب وتعديله

«رجع الوفد الأول من باريس... يقول للذين أرسلوه... إننا قد وجدنا قلوبا مغلقة... فيما يتعلق بالمطالب السياسية فالقوم (السلطات الفرنسية) هنالك قد أجمعوا... على أن المطلبين الأساسيين : المجلس التشريعي والحكومة المسؤولة لديه ينفيان معاهدة الحماية ويتناقضان مع سلطة الباي التشريعية ومع وجود الحماية الفرنسية وأنه لا يمكن إجراء مفاوضات في شأنهما...

وهكذا اجتمع الدستوريون وتداولوا في الأمر (و) قرروا أخيرا تعديل صيغة المطلبين* وأصبحت المطالب الدستورية المعدلة كما يلي :

أولا : مجلس تفاوضي مشترك بين التونسيين والفرنسيين يملك حق وضع منهاج أعماله.

ثانيا : حكومة مسؤولة أمام هذا المجلس باستثناء المقيم العام الفرنسي والجنرال قائد جيش الاحتلال والأميرال قائد البحرية.

ثالثا : الفصل بين السلط التشريعية والقضائية والتنفيذية.

رابعا : قبول التونسيين في جميع الوظائف العامّة إذا استوت الكفاءات.

خامسا : التساوي المطلق في المرتبات بين التونسيين والفرنسيين.

سادسا : انتخاب حر للمجالس البلدية.

سابعا : حريّة الصحافة والاجتماع والمؤسّسات.

ثامنا : التعليم الإجباري العام.

تاسعا : مشاركة التونسيين في ابتياع الأرض المخصصة للمستعمرين».

* **برر أحد قادة الدستور هذا التعديل بالقول** : «إن السياسة تطورات متتالية تسمو أحيانا وتنحط أحيانا حسب الظروف والمواقف، فبالأمس كنا نطالب بالحرية والاستقلال... ثم عندما رأينا إخفاق ولسون وتكالب المنتصرين طالبنا بالمجلس التشريعي والحكومة المسؤولة، واليوم نرى أننا أصبحنا وحيدين بين قبضة الفرنسيين وقد أبوا الاستماع لنا... رأينا أنه يجب علينا أن نعدل نوعا ما مطالبنا لفظيا حتى نتمكن من الاستحواذ على قسم من الرأي العام... وما مطالبنا هذه إلا مرحلة من مراحل الكفاح الطويل خضعنا فيها لظروف الزمان وظروف المكان...».

أحمد توفيق المدني : ذكر سابقا، ص 185 ـ 189

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقة (7)

- صنّف مطالب الحزب الدستوري.
- بين التعديلات التي أدخلت على برنامج الحزب الدستوري ومبرراتها.

الوثيقة : 8

مقتطفات من العريضة التي سلمها وفد الأربعين إلى الملك محمد الناصر (باي تونس من 1906 إلى 1922)

قدم وفد من الدستوريين يوم 18 جوان إلى الباي عريضة ممضاة من قبل آلاف التونسيين ومما جاء فيها :

«نحن شاعرون بالمطالب المشروعة لنا... ولذلك يمّمت الأمّة التونسية ساحتكم... وهي مجتمعة الإرادة على أن تكون مسيرة مثل ما كان آباؤها من قبل بدستور محرّر يعلن ويضمن الحقوق والحريات العمومية وفصل السلط عن بعضها وإشراك الأمة إشراكا تاما من غير ما تفرقة بين الأجناس والأديان في حكم البلاد مع مراعاة الواجبات التي علينا في صورة المشاركة. وكما شارك آباؤنا أسلافكم من قبل فإننا نريد أن نشترك معكم أيضا الآن...».

وردت بجريدة «مرشد الأمة» 24 جوان 1920

الوثيقة : 9

الحزب الدستوري والموالون لسلطات الحماية في بداية العشرينات

«أخذت عصابات الاستعمار تنادي جهارا وبصفة ملحّة باستيلاء الحكومة على أراضي الأوقاف وإلحاقها بإدارة الاستعمار وتوزيعها على المستعمرين... عندئذ رأى الذين يعيشون من موارد الأوقاف الخاصة الخطر ماثلا أمام أعينهم ومنهم كثرة من شيوخ «الطرق الصوفية» فأخذوا يقتربون من الحزب... وجد الحزب الفرصة سانحة لبثّ دعايته وبسط نفوذه، إلى طبقات من الشعب كانت إلى ذلك الحين بعيدة عن الحزب فوقع الاتصال مع الشيوخ البارزين وقرّر الحزب ضمّ اثنين من أعيانهم للوفد المقرّر إرساله إلى باريس. وكانت ضربة ماهرة وخطة حكيمة، فهي تشعر الشعب من جهة أن الوحدة الوطنية التامّة مطلقة لا فرق فيها بين المحامين والدكاترة وشيوخ الطرق، وهي تشعر الحكومة من جهة أخرى بأنّ سلاحها القوي وعدّتها في إبقاء الشعب مكبّلا بالحديد ألا وهو شيوخ الطرق الدينية قد أفلت من أيديها، وانضمّ للشعب، فلم يبق لها بتونس من يؤيّدها أو يبثّ الخوف والرّعب منها».

أحمد توفيق المدني، ذكر سابقا، ص 174 - 175

إضاءات

نسب المنخرطين في الحزب الدّستوري فيما بين 1921 - 1934 حسب مهنهم

المهنة	العمّال	الحرفيون	تجار وأصحاب أملاك	تلاميذ وطلبة	الموظفون
النّسبة %	31.5	34.8	20	9.5	4.2

في 1924 بلغ عدد المنخرطين بالحزب 45.000 منخرطا توطرهم 70 شعبة.

الوثيقة : 10

إرسال الوفود إلى السلطات الفرنسية

«نمت العاطفة السياسية في التونسيين وكثرت الشكوى من نظام الحكومة وأعمالها بما أدى إلى تشكيل حزب سياسي هو الحزب الحر الذي تأسس في رمضان 1339 الموافق سنة 1920 والذي أعلن بالشكوى من سوء النظام الحاضر وطلب من الحكومة الفرنسية تغيير شكل حكومة البلاد التونسية طبق برنامج سطر فيه مطالبه التسعة المعروفة وعرضها على رجال فرنسا بواسطة وفود تكررت* مرات لإفهامهم حقيقة الحالة الموجودة بالبلاد التونسية وأحقية المطالب التي قدمت لهم حتى يعطوها عن رضى منهم».

الطاهر الحداد : العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، من الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الدار العربية للكتاب، تونس 1999، ص 42 ـ 43.

* **الوفود :** بلغ عدد الوفود التي أرسلها الحزب فيما بين 1920 و 1924 الثلاثة وفود و لم تحقق شيئا يذكر.

الوثيقة : 11

إضراب ومسيرة شعبية تأييدا للباي محمد الناصر
عند تهديده بالتخلي عن العرش إن لم تستجب فرنسا لمطالبه خاصّة منها إقامة نظام دستوري

«كانت صبيحة يوم الخميس من أفريل (1922) صبيحة مشرقة... وقد كان الإضراب شاملا كاملا لم يشذ عنه أحد، وسار الناس إلى المرسى... فما جاءت الساعة العاشرة صباحا حتى كانت بلدة المرسى التي يقع بها القصر تستقبل ما لا يقل عن خمسين ألف رجل... وخرج الأمير المنصف باي (ابن محمد الناصر) وأبلغه الذين كانوا إلى جانب الباب قرار الشعب بالتمسك بالملك وتأييد مسعاه...».

أحمد توفيق المدني، ذكر سابقا، ص 252 ـ 253

التعليمات

- ابرز بالاعتماد على الوثيقتين (8 ـ 9) ، سياسة الوطنيين إزاء الباي والفئات المعروفة بولائها لسلطات الحماية مبينا أهدافها ومدى نجاحها.
- بالإعتماد على الوثيقتين (10 ـ 11) والإضاءات، بين أساليب تأطير الحزب الدّستوري للشّعب التّونسي وطرائق إشراكه في النضال الوطني.
- ابرز بالاعتماد على الوثيقتين (7 ـ 10) الطريقة التي اعتمدها الحزب تجاه فرنسا لتحقيق أهدافه.

الوثيقة : 12

إصلاحات جويلية 1922

«كانت تلك الإصلاحات كما يلي :

أوّلا : مجالس القيادات وهي مجالس منتخبة من التونسيين خاصّة، تعطي رأيها للحكومة فيما يتعلّق بالمسائل المالية الخاصة بالناحية، فهي استشارية محضة ولا تشارك فيها الطبقة المتنوّرة أصلا.

ثانيا : المجلس الكبير : وهو النقطة الأساسية في هذه الإصلاحات، له حق النظر في الميزانية التونسية كما تعرضها الحكومة، وليس له حقّ ابتكار في الموضوع، إنّما له حقّ المناقشة، وعدد الفرنسيين بهذا المجلس 50 عضوا أمّا أهل البلاد التونسيين فلم تخصّص لهم إلاّ 41 مقعدا ينتخبهم أعضاء مجالس الجهات وأعضاء الغرف التجاريّة الزراعيّة، وما كان للمجلس إلاّ الدور الاستشاري فحسب، فالمقيم العام ممثل فرنسا وصاحب السلطة الحقيقة في البلاد ما كان عليه أن يتقيّد بأفكار وآراء أعضاء المجلس بل كان هو الحكم المطلق... وكان كلّ من القسمين (التونسي والفرنسي في المجلس الكبير) يجلس على حدة ولا اتّصال له قانونا بالقسم الآخر إلاّ في جلسات الافتتاح والاختتام.

هذه الفأرة الضئيلة التي تمخض عنها جبل الإصلاحات !»

أحمد توفيق المدني، ذكر سابقا، ص 271 ـ 272

التعليمة

بالاعتماد على الوثيقة [12] بين حصيلة نضال الحزب الدستوري وموقف أحمد توفيق المدني منها وأسبابه.

الوثيقة : 13

تهيؤ العمال التونسيين للنقابات

«غير أن الزمان أنضجها (آلام العمال) وهيّأتها الحوادث للتأثير على العمال التونسيين... وأهمّ أسباب التأثير هو نجاح حركة العمال في أروبا التي ألزمت القوانين أن تعترف بها وبمؤسساتها وبحقّ الاعتصاب... ثمّ مجيء طبقات من العمال الأوروبيين مع الاحتلال الفرنسي وجعلهم ممتازين في عملهم وأجورهم عن العمال التونسيين ويقدمون إذا طلبوا الشغل عن العمال التونسيين بأجور أرفع... ثمّ إنّ هؤلاء العملة الأوروبيين... أنشؤوا بعد مدّة اتحادا نقابيا يربطهم بجامعة العمال في باريس وذلك سنة 1919 وصاروا يباشرون اعتصابات منظمة في المعامل وشركات سكك الحديد وينالون من ذلك ربحا و لم يقتصر العمال التونسيون على مشاهدة ذلك فقط بل اشتركوا معهم في الاعتصابات وانتظموا في سلك نقاباتهم وحضروا اجتماعاتهم وسمعوا خطب الزعماء منهم الذين كانوا ينادون بحرية الإنسان والمساواة بين أفراده... غير أنّ تساهل زعمائهم في الأخذ بناصر العملة التونسيين وحتى في توزيع الإعانات لهم أيّام الاعتصاب مع أنّهم يؤدون واجبا واحدا، كلّ ذلك جعل العمال التونسيين يشعرون بوجود الحيف والميز حتى في داخل النقابات التي تدعوهم إلى مقاومة الحيف... فكانوا يتسلّلون من هذه النقابات شيئا فشيئا...».

الطاهر الحداد : العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، الدار العربية للكتاب، 1999 ص 58 ـ 59 ـ 60

الوثيقة : 14

صدى اعتصاب عمالة الرصيف بتونس في أوت 1924

«لكنّ هذا الاعتصاب الأخير قد فارق الاعتصابات الماضية وكان مبدأ لحياة جديدة. فإنّ وجود طائفة من المفكرين الصادقين التحمت بالمعتصمين ووجود حركة عامة قبل ذلك في البلاد معناها طلب حقوق ضائعة قد غيّر استعداد أولائك العملة... وقد عملت هذه النخبة المفكرة لربطهم بعامة الأمّة وربطها بحسن الدعاية التي استعملت في إيجاد التضامن والشعور الذي يضمّ أجزاء الأمّة إلى بعضها».

الطاهر الحداد : ذكر سابقا، ص 84

الوثيقة : 15

القانون الأساسي لجامعة عموم العملة التونسية لسنة 1924

الفصل الأول : الغرض من جامعة عموم العملة التونسية أن تجمع الأجراء جميعهم في دائرة اقتصادية بصرف النظر عن جنسياتهم وأديانهم للدفاع عن مصالحهم المادية والأدبية وتنظيمها بجميع الطرق الممكنة وهي تدار طبقا لهذا القانون».

الطاهر الحداد : ذكر سابقا، ص 178

إضاءات

محمد علي الحامي 1896 - 1928 :

«ولد محمد علي بحامة قابس، وكان أبوه مزارعا، نزح إلى العاصمة ثمّ هاجر إلى الشرق الأوسط حيث اشتغل في تركيا سائقا لدى أنور باشا ثمّ كاتبا خاصا له [أنور باشا قائد عسكري تركي تعرف على محمد علي عند مشاركته في الحرب ضدّ إيطاليا عند غزوها للبيبا سنة 1911]. وانتقل إلى ألمانيا سنة 1921 حيث سجّل نفسه بجامعة «برلين» لدراسة الاقتصاد ثمّ حاول عند عودته إلى تونس في 1924 أن يؤسّس تعاضديات إنتاج واستهلاك. فدعا الحرفيين وصغار التجار إلى ذلك. ولكنّه تخلّى عن هذا المشروع مع اندلاع الحركة الإضرابيّة (1924) وكرّس جهوده لجامعة عموم العملة التونسية ».

عبد السلام بن حميدة : الحركة النقابية الوطنية للمشغيلة بتونس، دار محمد علي، صفاقس - تونس، ج I، 1984، ص 62

التعليمة

بالاعتماد على الوثائق (13 ـ 14 ـ 15) والإضاءات

■ بين الظروف والعوامل التي ساعدت العمال التونسيين على إنشاء جامعة عموم العملة التونسية وابرز أهدافها.

النشاط الثّالث

أتعرف إلى سياسة السلطات الفرنسية إزاء تطور الحركة الوطنية بوجهيها السياسي والنقابي.

الموارد

الوثيقة : 16

إيقاف أعضاء جامعة عموم العملة التونسية الأولى

«فتمّ يوم 5 فيفري 1925 إيقاف عضوي الجامعة محمد علي والمختار العياري بالسجن المدني وأضافوا إليهما «فندوري» ممثل الحزب الشيوعي في تونس بتهمة المؤامرة ضدّ أمن الدولة الداخلي... وفي زوال هذا اليوم... ألقي القبض على العضوين محمود كبادي ومحمد الغنوشي وأضافوا إليهما السيّد علي القروي... وإيقافهم كان لعين الدعوة الأولى.

ويوم الخميس 12 نوفمبر 1925 نشرت قضيّة المؤامرة التي أقامها الحقّ العام الفرنسي ضدّ أعضاء الجامعة وم. «فندوري» وفي مساء اليوم الخامس (17 نوفمبر) تلي نصّ الحكم : محمد علي والمختار العياري و«فندوري» بالنفي لعشرة أعوام عن التراب الفرنسي وتوابعه، محمد الغنوشي ومحمود كبادي وعلي القروي بخمسة أعوام، ونفذ الحكم عشيّة 28 نوفمبر 1925 حيث أركبوهم البحر إلى إيطاليا».

الطاهر الحداد : سبق ذكره، ص 232 ـ 233 و236 ـ 238

إضاءات

من الإجراءات القمعيّة الّتي اتّخذتها سلطات الحماية : القوانين الزجريّة 29 جانفي 1926 : جعل جميع القضايا السياسيّة من مشمولات المحاكم الفرنسيّة عوضا عن المحاكم التّونسيّة.

فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى

* دولة استعماريّة تسعى إلى المزيد من التوسّع الاستعماري : سيطرت على سوريا ولبنان تحت غطاء «الانتداب» الّذي سنته جمعيّة الأمم، اقتسمت التوغو والكاميرون مع انقلترا واسترجعت كامل الأراضي الّتي كانت تنازلت عنها لألمانيا في 1911 في إفريقيا الاستوائيّة...
* دولة تعاني من مخلّفات الحرب : فقدت فرنسا 14٪ من رجالها المتراوحة أعمارهم بين 15 و 50 سنة و 30 ٪ من ثروتها الوطنيّة.

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقة (16) والإضاءات

- بين كيف واجهت فرنسا تطور الحركة الوطنية التونسية بوجهيها السياسي والنقابي.
- ابرز دوافع هذه السياسة الفرنسية إزاء الحركة الوطنية في العشرينات.

أستخلص

المقدّمة :

بعد خمود بدأ منذ سنة 1912 (حوادث الترمواي) إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، استأنف الوطنيون نشاطهم مستغلين ظروفا داخلية وخارجية أفرزتها هذه الحرب وسمحت لهم بتطوير حركتهم في جوانب متعددة. وتجسد هذا التطور بالخصوص في تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي (1920) ونشأة جامعة عموم العملة التونسية الأولى (1924 - 1925.)

I – ظروف تطوّر الحركة الوطنية التونسية في بداية العشرينات :

1 - الظروف الداخلية [1] :

تمثلت هذه الظروف أساسا في تزايد الاستغلال الاستعماري وتردي أوضاع الشعب التونسي في بداية العشرينات. فقد كثفت فرنسا من استغلالها لمستعمراتها بما في ذلك تونس بهدف تجاوز خسائرها المنجرّة عن الحرب ومن أجل إعادة بناء اقتصادها، ومن مظاهر هذا الاستغلال :

– انتزاع المزيد من الأراضي الفلاحية.

– إغراق السوق التونسية بالبضائع الفرنسية.

– إثقال كاهل الأهالي بالضرائب.

– تدعيم الوجود الفرنسي على حساب التونسيين باتخاذ عدة إجراءات مثل إقرار الثلث الاستعماري وإصدار قانون التجنيس...

أضرت هذه السياسة - إضافة إلى رداءة المحاصيل الفلاحية في بعض السنوات - بمصالح مختلف فئات الشعب التونسي في الأرياف والمدن التي عانت من غلاء المعيشة.

2 - الظروف الخارجية [2–3–4]

أ– بروز مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير

مثل مبدأ أساسيا من مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن الـ14 التي ارتكز عليها مؤتمر السلم باريس، ونادت به الثورة البلشفية في روسيا سنة 1917 وحاولت تكريسه عند إرسائها الدولة السوفياتية متعدد القوميات ودافعت عنه عبر الأممية الثالثة الشيوعية.

ب– أحداث الشرق الأوسط

من أهم هذه الأحداث حركة حزب الوفد المصرية بقيادة سعد زغلول وتتويج نضالها بإلغاء معاهدة الحماية البريطانية على مصر سنة 1922. وكذلك الحركة الوطنية التركية بزعامة مصطفى كمال التي تمكنت من تعويض معاهدة «سيفر» (1920) بمعاهدة «لوزان» (1923) التي أقرت استقلال تركيا ووحدتها الترابية.

II – مظاهر تطور الحركة الوطنية في العشرينات

1 ـ تأسيس الحزب الدستوري التونسي

أراد الوطنيون استغلال هذه الظروف الجديدة لتنشيط حركتهم مع تجاوز نقائصها كما ظهرت في تجربة حركة الشّباب التونسي فسعوا إلى تأسيس حزب وطني ومهدوا إليه بعدة أعمال.

أ– التمهيد لتأسيس الحزب [5]

من أبرز ما قام به الوطنيون قبل تأسيس حزبهم :

- إعادة تجميع أنفسهم مكونين ما عرف بـ «الحزب التونسي».
- إرسال مذكرة إلى الرئيس ولسن والوفود المشاركة في مؤتمر السلم بباريس في جانفي 1919 طالبوا فيها بتطبيق مبدأ حق تقرير المصير على المسألة التونسية وإرسال وفد يمثل تونس في المؤتمر.
- إرسال وفد إلى باريس لتعريف الرأي العام الفرنسي بالقضية التونسية وكسب تأييده وتوجهوا بالخصوص إلى الاشتراكيين المؤيدين عموما لمبدأ حقّ تقرير المصير.
- نشر كتاب «تونس الشهيدة» باللغة الفرنسية في إطار التعريف بالمسألة التونسية، وتكمن أهميّة هذا الكتاب في بلورته للمشروع الوطني.

ب– تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي مارس 1920 بزعامة عبد العزيز الثعالبي [6]

ارتباط تأسيسه ببعض الملابسات منها :

– فقدان الوطنيين الأمل في تكريس مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير على تونس، إذ لم يستجب ولسن ولا مؤتمر السلم بباريس إلى ندائهم في هذه الصدد.

– إخفاق الاشتراكيين في فرنسا في الانتخابات التشريعية لسنة 1919 وقد كانوا يعولون على نجاحهم لنيل مطالبهم أمام هذا الوضع، رأى الوطنيون أن بلوغ حق تقرير المصير يتطلب خوض نضال طويل الأمد وهو ما يقتضي تأسيس حزب يؤمّن استمرارية الحركة وقيادتها وكان لعبد العزيز الدور الرئيسي في تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي. وتمثلت أبرز هياكله في اللجنة التنفيذية (قيادة الحزب ومعظمها من أعيان العاصمة) والمجلس الملي (هيكل وسطي) والشعب الدستورية (هياكله القاعدية).

ج– برنامج الحزب الحر الدستوري التونسي [7]

استمده الدّستوريون من كتاب «تونس الشهيدة»، ولئن شمل جوانب متعددة اقتصادية واجتماعية فإنه ركز على الجانب السياسي بالخصوص، وتخلوا فيه عن فكرة «التشريك» (الجمعية الشورية) وطالبوا بإرساء نظام دستوري يقوم على الفصل بين السلطات الثلاث وتكوين حكومة مسؤولة أمام مجلس تشريعي (برلمان) منتخب ويقر الحريات... واضطر الدستوريين إلى تعديل بعض بنوده تحت ضغط غلاة الاستعمار والسلطات الاستعمارية، فعوضوا مطلب المجلس التشريعي بمجلس مشترك بين التونسيين والفرنسيين واستثنوا من المسؤولية أمامه كلا من المقيم العام وقادة جيش الاحتلال وهكذا لم يطالب الدستوريون بإلغاء الحماية صَرَاحةً ولكن يفضي إرساء مثل هذا النظام الدستوري حسب رأيهم إلى تحقيق التحرّر واستعادة السيادة الوطنية ولو بصفة تدريجية.

د– نشاط الحزب الحر الدستوري التونسي

تعددت اتجاهات هذا النشاط :

*** تجاه الباي والفئات التونسية الموالية للاستعمار [8–9]**

حرص الدستوريون على جلب الباي وأفراد العائلة الحسينية إلى صفهم من أجل إبراز كيان الدولة التونسية وإثبات وجودها إزاء تسلّط أجهزة الحماية وإضفاء الصبغة الشرعية والقانونية على مطالبهم وقد نجحوا في هذا المسعى إلى

حدّ كبير مع الباي محمد الناصر الذي ساند إقامة نظام دستوري بتونس رغم أن سلطات الحماية تمكنت من إحباط مسعاه.

كما سعوا إلى استقطاب الفئات الموالية لسلطات الحماية بهدف توسيع جبهة المؤيدين للمطالب الوطنية وخلق فراغ سياسي حول نظام الحماية وهو ما قاموا به مثلا مع شيوخ الطرق الصوفية في بداية العشرينات.

* **تجاه الجماهير : تمثل ذلك في : (10 — 11)**

— استقطابها من مختلف الأوساط الاجتماعية ومختلف أرجاء المملكة فنقل الحزب الحركة الوطنية شيئا فشيئا من حركة نخبوية محصورة في العاصمة كما كان الأمر في حركة الشباب التونسي إلى حركة شعبية تنتشر في الأرياف والمدن.

- توعيتها بحقيقة الاستعمار الفرنسي وبخطورته عليها عبر الصحف أو الاجتماعات بنوادي الحزب أو الأنشطة الثقافية...

- تشريكها في النضال وإن كان الدستوريين مالوا في هذه المرحلة إلى تجنب تشريك الجماهير الشعبية في النضال مباشرة مكتفين بدعوتها إلى إمضاء العرائض وإرسال برقيات الاحتجاج.... لكن لم يمنع ذلك من تنظيم بعض الإضرابات الناجحة أو المسيرات الشعبية مثل المسيرة التي نظموها بالعاصمة في أفريل 1922 تأييدا لموقف محمد الناصر باي إزاء سلطات الحماية.

* **تجاه السلطات الاستعمارية : سياية الوفود (7 – 10)**

بلغ عدد الوفودالتي أوفدها الحزب الدستوري إلى سلطات الحماية في باريس أو تونس فيما بين 1920 و1924 ثلاثة وفود كان هدفها التعريف بمطالبه وتوضيحها ومحاولة إقناع تلك السلطات بوجاهتها قصد تلبيتها لكن دون جدوى.

هـ– حصيلة نشاط الحزب (12)

لم يحقق الحزب الدستوري مطالبه في العشرينات وكانت إصلاحات جويلية 1922 التي قامت بها فرنسا وخاصة إحداث المجلس الكبير بعيدة كل البعد عن المجلس التشريعي الذي طالب به أو حتى عن المجلس المشترك الذي قبل مشاركة المعمرين فيه... ولذلك يمكن القول أن أهم حصيلة لنشاطه كانت نشر الوعي الوطني الذي ساهم في نشأة أول حركة نقابية عمالية بتونس والتي مثلت المظهر الآخر من مظاهر تطور الحركة الوطنية في هذه الفترة.

2 - نشأة الحركة النقابية التونسية المستقلة جامعة عموم العملة التونسية الأولى بزعامة محمد علي الحامي (13 - 14 - 15)

أ– ظروف نشأتها

* بداية تشكل نواة طبقة عمالية خاصة في ميادين العمل الاستعمارية

* تأثر العمال التونسيين بالحركة الدستورية والحركة الاشتراكية والشيوعية بتونس وتدربهم على العمل النقابي داخل النقابات الفرنسية.

* إهمال «إتحاد النقابات» الفرنسي لمصالحهم وحصر اهتمامه بمصالح العمال الفرنسيين.

* إضرابات عمّال الرّصيف بتونس وبنزرت في أوت 1924 والّتي كانت المناسبة المباشرة لالتقاء العمّال بمجموعة من المثقّفين الوطنيين وعلى رأسهم محمد علي الحامّي الذي يُعدُّ المؤسس الأول للجامعة.

حملت هذه الظروف العمال التونسيين على تكوين نقابات مستقلة عن النقابات الفرنسية تدافع عن مصالحهم وتثبت هويتهم الوطنية.

ب- ميلادها

أسس عمال الرصيف بتونس وبنزرت أثناء إضرابهم عن العمل نقابات مستقلة عن النقابات الفرنسية وسايرهم في ذلك عمال عدة قطاعات أخرى وحرفيون في العاصمة وفي بعض مدن البلاد مثل صفاقس، وفي 3 ديسمبر 1924 قرر قادة النقابات تكوين جامعة تضمهم جميعا، أعلن محمد علي كاتبها العام عن إنشائها رسميا يوم 1 نوفمبر 1924. وانعقد أول موتمر لها يوم 18 جانفي 1925 وصادق على قانونها الأساسي الذي حدد فصله الأول هدف الجامعة وهو تجميع كافة الأجراء العاملين بتونس مهما كانت جنسياتهم وأديانهم للدفاع عن مصالحهم المادية والمعنويّة وكلّ ذلك للردّ على قادة الكنفدرالية العامّة للشغل الفرنسيّة الذين اتهموها بالتعصّب الدّيني والعرقي.

ج- نشاطها

يمكن حصره في أمرين :

* محاولة نشر الفكرة النقابية وتأسيس النقابات.
* شن بعض الإضرابات : إضراب عمال مقطع الحجر وأفران الجير والإسمنت بحمام الأنف بهدف الزيادة في الأجور...

د- المصاعب التي واجهتها :

باستثناء السند الذي لاقته من الشيوعيين في تونس وبعض الدستوريين عند نشأتها واجهت الجامعة العداء الشديد من قبل النقابات الفرنسية والمعمرين وسلطات الحماية كما تخلى عنها الحزب الدستوري عندما قررت هذه السلطات القضاء عليها طمعا في أن تلبي حكومة اليسار التي تشكلت سنة 1924 مطالبه. فلم تستطع أن تعمر طويلا.

III ـ سياسة السلطات الفرنسية إزاء تطور الحركة الوطنية بوجهيها السّياسي والنقابي (16)

لم تكن فرنسا في العشرينات في وضع يجعلها تساير المطالب الوطنية وتقبل بحق تقرير المصير. فقد خرجت من الحرب العالمية الأولى مظفرة يحركها نهم شديد للحصول على المزيد من المستعمرات لا التفريط فيما تمتلكه منها، فقد مثلت فترة العشرينات أوج المد الاستعماري الغربي، ومن ناحية أخرى كانت في حاجة إلى مستعمراتها لإعادة بناء نفسها وتجاوز أضرار تلك الحرب. فسلكت أساسا سياسة قمعية إزاء الوطنين مستعملة مختلف الأساليب انتهت بها إلى إضعاف الحزب الدستوري فانكمش على نفسه وقضت على جامعة العمال قضاء تاما.

ومع تحسن الوضع الاقتصادي والاجتماعي بتونس منذ أواسط العشرينات دخلت الحركة الوطنية فترة ركود تواصلت إلى بداية الثلاثينات.

الدرس الثّالث عشر

الحركة الوطنيّة قبل الحرب العالميّة الثّانية :
طور التأسيس

الجزء الثّاني : الحركة الوطنيّة في الثّلاثينات

المدخل

نهضت الحركة الوطنية في بداية الثلاثينات من جديد بعد الركود الذي عرفته منذ أواسط العشرينات، وارتقى الوطنيون بحركتهم إلى مستويات أعلى في البرامج السياسية والتنظيم وطرائق النضال... سأدرس الظروف التي سمحت بذلك التطور وأتبين مظاهره وكيف انتهى الأمر إلى الصدام بين الحركة الوطنية وسلطات الحماية كما جسدته أحداث أفريل 1938.

النشاط الأول أدرس ظرفيّة الثلاثينات

الموارد

الوثيقة : 1

المجاعة بالبلاد التونسية في بداية الثلاثينات

«سبق من الصحافة العربيّة، قبل اجتماع المجلس الكبير، أن لفتت الأنظار إلى خطورة الحالة... وألحت إلحاحا متزايدا يوما فيوما واصفة نكبة صغار الفلاحين الأهليين الذين اضطروا إلى بيع البقية الضئيلة التي أبقاها لهم المرابون من مكاسبهم لاقتناء قوت أبنائهم اليومي.

ومن كافة أنحاء الإيالة... ما انفكت الرسائل تتوارد متضرعة للحكومة أن تتدخل بسرعة لمقاومة آفة تنتشر في الأغلبية الساحقة من الأهالي الذين تنال منهم الأزمة بصورة خاصة نظرا للفقر المزمن الذي أصبحوا عليه بعد الاستغلال الاستعماري المسلط عليهم منذ نصف قرن...

ولاحظ السيد الطاهر بن عمار (عضو المجلس الكبير) «أنه من المصلحة حسب رأيه أن تجتمع لجنة المالية حالا...»

ولاحظ السيد عبد العزيز الباجي أن المسألة تستدعي غاية السرعة... فالمجاعة عمت الكاف حيث مات جوعا 13 شخصا... كما نبه السيد ابن رمضان إلى وفيات «انجرت عن الجوع في عمل المهدية...».

من مقال **للحبيب بورقيبة** حول المجاعة صدر في صوت التونسي La voix du Tunisien في 9 ماي 1931،

ذكره **علي المحجوبي** في كتابه : الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، 1986، ص 175 - 177

الوثيقة : 2

معالجة سلطات الحماية للأزمة

«... استغربنا وتألمنا من موقف الحكومة إذ كان منها تجاه قضية واحدة وأزمة عامة نزلت على كافة المتساكنين بهذه البلاد دون تمييز أن أسرعت إلى إغاثة الجالية الفرنسية، رغم أن هذه الجالية لا تمثل بحال مجموع البلاد بينما لم ترصد ولو دانقا* واحدا لمقاومة الكارثة التي حلت بالأهالي».

من مقال للحبيب بورقيبة صدر في الصوت التونسي 2 و9 ماي و13جوان 1931،

ذكره علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 181.

* الدانق : كلمة فارسية وهو سدس الدرهم.

إضاءات

ثمن قنطار القمح والشّعير في بداية الثلاثينات بالفرنك

المنتوج / السّنة	القمح	الشعير
1930	145	61
1931	164	73

عرفت تونس خلال سنتي 1930 و 1931 جفافا حادّا وانتشار الجراد في 1932 ورافق انتشار المجاعة تفشي الأوبئة كالحمّى والتيفوس.

من مظاهر انتشار أزمة الثلاثينات العالميّة بتونس : انهيار أسعار المواد الفلاحيّة والمنجميّة (بالفرنك)

المنتوج/ السّنة	1929	1932
القمح الصّلب (القنطار)	148	128
زيت الزّيتون (القنطار)	750	405
الحديد (الطّن)	85	36

أندري نوشي : أزمة 1930 بتونس وبدايات الدّستور الجديد، ورد بمجلّة الغرب الإسلامي والبحر الأبيض المتوسّط ، عدد 8 ، 1970 ص، 113 –123

الوثيقة : 3

خطر البطالة

«استفيد من التقرير الذي قدّمه م. بواسي العضو بالمجلس الكبير والكاتب العام لاستثمار شركة صفاقس ـ قفصة أنّه وقع فصل 13900 عامل من 20950 من عملة مناجم الشركة المذكورة عن العمل بسبب غلق أو نقصان العمل بها. ويجب أن يضاف على هذا العدد من العملة المسلمين التونسيين أو الطرابلسيين عشرون ألف عامل آخرون حسبما ذكرته جريدة تونس الاشتراكية... وقد رأيت بعيني رأسي في نهج الرصاص رجلا يبحث بإصبعه في المزبلة حتى عثر على قطعة من الخبز الجاف الملوّث وأكلها بنهم وشهيّة كما لو كانت قطعة حلوى، كما أنّ حوادث السرس التي ذكرتها «الدبيش تونزيان» لا بدّ أن تتكرّر إلى ما لا نهاية له. وقد وقعت حوادث بعدها تشبهها هذا الأسبوع في الحارة اليهودية حيث ارتمى ثلاثة أو أربعة من الجياع على فرن هنالك للاستحواذ على الخبز .

علي بوحاجب :«الإرادة»، عدد 34، 21 نوفمبر 1934،

ورد بكتاب : المجتمع التونسي والاستغلال الاستعماري، لنور الدين الدقي وليلى عدة والهادي جلاب، تونس، 1997، ص 100 ـ 101

الوثيقة : 4

وفي سرعة هائلة قضي على صناعتنا نهائيا بواسطة هذه المصنوعات القطنية الصادرة عن فرنسا* ... وحرائر ليون.. وموبيليات باريس، كلّ هذه قضت على مثيلاتها من منتوجات البلاد وأمام هذا التيار الجارف... لم يعد في إمكان الصناعة التونسية مكافحة هذا الخطر العنيف طويلا... فكان الكساد والبطالة اللذان وصلا في السنين الأخيرة إلى المنتهى وجاءت أزمة الفلاحة التي تسبب عنها عدم قدرة الفلاح على الاقتناء...».

تقرير **محمد شنيق** رئيس الحجرة الأهلية إلى «فيانو» وكيل وزير الخارجية الفرنسية
نشرته «النهضة» يوم 8 ماي 1937، نفس المرجع، ص 43 - 44

* منذ سنة 1928 فرضت فرنسا على تونس الوحدة القمرقية بين البلدين.

التعليمات

- ابرز من خلال الوثائق (1-2-3-4) والإضاءات مظاهر الأزمة الاقتصادية والاجتماعية بتونس في الثلاثينات.
- بين عواملها وطريقة معالجة سلطات الحماية لها.

الوثيقة : 5

«حدثت في تونس حادثتان كبيرتان يرجع إليهما الفضل في استئناف الشعب التونسي لكفاحه السياسي.. أمّا الحادثة الأولى فهي انعقاد المؤتمر الأفخارستي* بعاصمة تونس في ماي 1930 وأمّا الحادثة الثانية فهي ما عمدت إليه السلطة الفرنسية من إعداد العدّة لإقامة احتفالات بمناسبة مرور خمسين سنة على احتلال تونس... ومن المصادفات أن كثر عدد الوفيات بين المتجنّسين في تلك المدّة... فكان الشعب يمانع في دفنهم في مقابر المسلمين ممّا أدّى إلى مصادمات بين الشعب والقوّات الفرنسيّة**».

الحبيب ثامر : هذه تونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 147 - 149

* المؤتمر الأفخرستي : تظاهرة دينية مسيحية كاثوليكية انتظمت بقرطاج خلال شهر ماي من سنة 1930 بدعم مادي ومعنوي من سلطات الحماية.

** تصدى الأهالي في عدة جهات من البلاد إلى محاولة سلطات الحماية دفن المتجنسين في المقابر الإسلامية وانطلقت المصادمات حول هذه القضية منذ بداية 1933 في بنزرت وتواصلت بعد إصدار فتوى في أفريل 1933 تقضي بإمكانية دفن المتجنسين في المقابر الإسلامية إن أعلنوا عن توبتهم، وفرضت هذه التحركات الشعبية على سلطات الحماية أن تخصّص مقابر خاصة بالمتجنسين.

الوثيقة : 6

بروز مجموعة العمل التونسي*

«لكن تطورت الحالة منذ إبعادي (1925) وتطورت الحركة السياسية بأن دخل الميدان جماعة من الشبان الأحرار ومن خريجي المعاهد العليا الفرنسية... ونشروا صحفا قوية اللهجة... وأخذ اسمهم يعلو... وعلى رأسهم ثلاث أقطاب : الأستاذ الحبيب بورقيبة المحامي، والدكتور محمود الماطري الطبيب، والأستاذ الطاهر صفر المحامي... وأصبح الشعب ينظر إليهم بعين الإجلال والإكبار...».

أحمد توفيق المدني، ذكر سابقا، ج II ، ص 237 - 238

* نشر هؤلاء الشبان مقالات صحفية في عدة جرائد مثل صوت التونسي وفي 1 نوفمبر 1932 أسّس الحبيب بورقيبة جريدة «العمل التونسي» بمعية محمود الماطري ومحمد بورقيبة... وعرفوا باسم «مجموعة العمل التونسي» نسبة لتلك الجريدة، وأصبحت لهم مكانة هامة بفضل المقالات التي تناولوا فيها بالدرس مشاغل التونسيين خاصة ما ارتبط منها بمسألة المتجنسين والمؤتمر الأفخرستي والأزمة الاقتصادية...

التعليمة

بالاعتماد على الوثيقتين [5–6] اذكر الإجراءات التي تحدّت بها سلطات الحماية مشاعر التّونسيين وردود فعل التونسيين إزاءها.

إضاءات

من مظاهر التجديد الثقافي في تونس خلال الثلاثينات

كتاب وأدباء تونسيّون وبعض مؤلفاتهم في الثلاثينات		
الإسم	حياته	بعض مؤلّفاته
زين العابدين السنوسي	1901 - 1965	الأدب التّونسي في القرن الرّابع عشر – في حضارة الأندلس
الطّاهر الحدّاد	1901 - 1935	العمّال التّونسيّون وظهور الحركة النّقابيّة – امرأتنا في الشّريعة والمجتمع.
أبو القاسم الشّابّي	1906 - 1934	الخيال الشعري عند العرب– أغاني الحياة.

جماعة مقهى تحت السّور : مجموعة من الأدباء والفنّانين والصحفيين كانوا يلتقون في مقهى يعرف باسم مقهى تحت السّور موجود بشارع باب بنات بباب سويقة بتونس العاصمة نذكر من بين روّادها علي الدّوعاجي...

نوادي وجمعيّات ثقافيّة تونسيّة في الثلاثينات	
الإسم	تاريخ التأسيس
جمعيّة الخلدونيّة	1896 (جرى إحياؤها)
جمعيّة الصّادقيّة	1905 (جرى إحياؤها)
فرقة السّعادة	1924
الرشيديّة	1934
الاتحاد المسرحي	1936

التعليمة

■ بالاعتماد على الإضاءات ، أبرز مظاهر تطوّر الحركة الثّقافيّة في تونس خلال الثلاثينات.

الوثيقة : 7

الصراع الفرنسي الإيطالي على تونس

«كثر اللغط في الأيام الأخيرة في جرائد فرنسا وإيطاليا حول حزازات قديمة كانت نائمة في صدور الإيطاليين، ثم استفاقت دفعة واحدة فأخذوا يتحرشون بالفرنسيين في اجتماع نيابي عُقد في رومة تنادوا فيه بالسفوى (Savoie) وكرسكا وتونس... إن إيطاليا الفاشستية أصبحت تحدث نفسها بالمغامرة لمزاحمة فرنسا الديمقراطية والمطالبة باستعمار بلادنا... وكفانا بذلك مغامرة عجيبة تقض مضاجع التونسيين... فقد كانوا بالأمس أمام خصم واحد... فإذا هم اليوم أمام خصم ثان عنيف أشد عليهم ضراوة من الأول...».

أورد المقال **أحمد خالد** في كتابه، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي، عبد العزيز الثعالبي، الإرادة في 21 - 12 - 1938 الدار العربية للكتاب، 2001، ص 448 - 449

الوثيقة : 8

أزمة البنوك في فرنسا

«إن نظامنا البنكي الذي يعد اليوم أقل صمودا منه في سنة 1913 تؤثر فيه بعمق الأزمة التي شملت بلادنا بعد انقلترا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية... لقد أدت الصعوبات التي عرفتها بنوك النمسا وألمانيا التي كانت مرتبطة ارتباطا متينا بالإيداعات الأجنبية إلى اضطرابات في لندن ونيويورك كان لها وقع سريع في فرنسا...»

أ. بوز، A. Pose **العملة ومؤسساتها**، المنشورات الجامعية الفرنسية 1942، بيلان، I، 1988، **ص** 226

إضاءات

تطوّر مؤشّر الإنتاج الصّناعي بفرنسا

السّنة	1929	1932
المؤشّر	100	71.6

جوانب من الوضع العام بفرنسا في الثلاثينات

تطوّر عدد العاطلين المتمتّعين بالرّعاية العموميّة في فرنسا		
1931	1932	1934
54.600	273.800	341.000

الجبهة الشعبية : هي اتحاد لقوى اليسار منها الشيوعيون والاشتراكيون... وصلت إلى الحكم في 1936 متصدية إلى الرابطات الفاشية التي كانت تسعى إلى السيطرة عليه، حققت حكومة الجبهة الشعبية إصلاحات اجتماعية هامة : أسبوع عمل بـ40 ساعة وزيادة في الأجور، وإقرار العطل خالصة الأجر، والعقود المشتركة... وسلكت سياسة تحررية إزاء المستعمرات. بدأت في الانحلال منذ جوان 1937 عند استقالة حكومة «ليون بلوم» (زعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي) وانتهى حكمها سنة 1938.

الرابطات الفاشية : هي منظمات فاشية فرنسية أقواها المنظمة المعروفة باسم «صلبان النار» وقد تكونت في بداية الثلاثينات، وكانت هذه المنظمات معادية للديمقراطية والنظام البرلماني والشيوعية وتنادي بإرساء نظام قوي وسعت إلى إقامته في فرنسا.

التعليمة

■ بالاعتماد على الوثيقتين (7–8) والإضاءات، أبرز مميزات ظرفية الثلاثينات على المستوى الدولي وانعكاساتها على تونس.

النشاط الثّاني أتبين مظاهر تطور الحركة الوطنية في الثلاثينات

الموارد

الوثيقة : 9

تصريح الحزب الدستوري (الصادر عن مؤتمر نهج الجبل بالعاصمة)

«إن الحزب الدستوري المجتمع في مؤتمر قومي يومي 12 و13 ماي 1933
بعد اطلاعه على النّشاط السياسي للحزب خلال الثلاثة عشر سنة الأخيرة أي منذ تأسيسه
وحيث أن رسالة الحزب الدستوري التونسي... تتمثل في دفع الشعب التونسي نحو تحرير أصبح محتّما
يعلن أن الغاية التي سطرها لعمله السياسي في تحرير الشعب التونسي والحصول على دستور يصون الشخصية التونسية وسيادة الشعب وذلك بواسطة :

– برلمان تونسي ينتخب بالاقتراع العام يملك حقّ وضع منهاج أعماله وتكون له كامل السلطة التشريعية.
– حكومة مسؤولة أمام هذا البرلمان
– الفصل بين السلط التشريعية والتنفيذية والقضائية
– عدالة تونسية يخضع لها جميع السكان المستقرين بالبلاد
– الحريات العمومية لكل التونسيين دون تمييز
– التعليم الإجباري العام
– حماية الحياة الاقتصادية...».

العمل التونسي، 20 ماي 1933، **علي المحجوبي**، ذكر سابقا، ص 157 - 158

التعليمة

■ بالاعتماد على الوثيقة (9) وعلى برنامج الحزب الدستوري في العشرينات، قارن بين البرنامجين مبرزا أوجه تطور برنامج الثلاثينات عن برنامج العشرينات.

الوثيقة : 10

انشقاق الحزب الدّستوري وانعقاد مؤتمر قصر هلال

«لكن الخلاف بين الطريقتين التقليدية والعصرية... (قد) جعل الانسجام صعبا بين الفريقين (الأعضاء القدامى للجنة التنفيذية والأعضاء الشبان من مجموعة العمل التونسي) وأحدث بلبلة عند الأقدمين... كما أحدث كدرا عند الجدد الذين أضناهم سير الأقدمين الوئيد. لكن ذلك لم يمنع المقيم الفرنسي من إعلان حل الحزب...

كانت نتيجة حل الحكومة للحزب أن انكمش الأقدمون... ينتظرون انجلاء العاصفة، بينما كان الأعضاء الجدد يتحركون ويكتبون ويخطبون... والتف حولهم الشباب وعامة الشعب، وسادت بين الفريقين موجة من الشك والريب... (وانسحب الشبان من الحزب) وأخذ نجم الشبان يعلو بعد ذلك ودعوتهم تنتشر إلى أن انعقد بعد ذلك بسنة (1934) مؤتمر الحزب بقصر هلال وقد دعا إلى عقده الشبان المذكورون ودعوا إليه اللجنة التنفيذية فلم تحضر... وقرر المؤتمر مما قرر :

أولا : إلغاء اللجنة التنفيذية.

ثانيا : انتخاب «ديوان سياسي» يرأسه الدكتور محمود المطاري ويتولى أمانته العامة الأستاذ الحبيب بورقيبة.

ثالثا : من وراء الديوان السياسي يقع المجلس الملي.

رابعا : السعي إلى تحقيق مطالب 12 و13 ماي 1933 المتخذ بمؤتمر نهج الجبل باستعمال كل الوسائل وبذل كل الجهود».

أحمد توفيق المدني، ذكر سابقا، ص 239 . 240 . 241

إضاءات

الحبيب بورقيبة

«ولد بالمنستير من عائلة تنتسب إلى الطبقة الوسطى بجهة الساحل. عاد من فرنسا في جويلية 1927، بعد حصوله على الإجازة في الحقوق ودبلوم العلوم السياسية ليشتغل بالمحاماة. بدأ نشاطه السياسي بتحرير مقالات بـ«اللواء التونسي» ثم بـ«صوت التونسي» ثمّ في 1 نوفمبر 1932 أصدر جريدة «العمل التونسي» باللغة الفرنسية. وفي 12 ماي 1933 قرّر الحزب الدستوري في مؤتمره بنهج الجبل قبول «جماعة العمل التونسي» في الحزب وانتخابهم بمن فيهم الحبيب بورقيبة أعضاء باللجنة التنفيذية. لكن سرعان ما استقال منها في 9 سبتمبر 1933. وفي 2 مارس 1934 انعقد مؤتمر قصر هلال وبعث الحزب الدستوري الجديد برئاسة الدكتور محمود المطاري بينما شغل الحبيب بورقيبة منصب الأمين العام. تعرّض للاعتقال في سبتمبر 1934 (سياسة المقيم العام مارسيل بيروتون القمعية) ليطلق سراحه في ماي 1936. وقاد حزبه في سياسة حوار مع حكومة الجبهة الشعبية التي انتهت إلى الفشل وإلى مواجهات 9 أفريل 1938 فاعتقل من جديد متّهما بالتآمر على أمن الدولة وبقي في السجن إلى سنة 1943 ».

محمد بوذينة : مشاهير التونسيين، دار سراس للنشر، تونس، 1992

إضاءات

الحزبان الدّستوريان في 1938 : عدد المنخرطين وتوزّعهم الجغرافي (أرقام تقريبيّة)

الجهة	الدّستور الجديد	الدّستور القديم
الشّمال	4000	6000
الوسط والسّاحل	20000	4000
الجنوب	4000	2000

تطّور عدد شعب الدّستور الجديد من 50 إلى 400 شعبة فيما بين 1934 و 1937 قبل تعرّضه إلى القمع بعد أحداث أفريل 1938

التعليمات

انطلاقا من الوثيقة (10) والإضاءات :

- بيّن كيف نشأ الحزب الدستوري الجديد.
- ابرز تطوره وما تميز به مقارنة بالدستور القديم.

إضاءات

بعض المنظّمات الشعبيّة المهنيّة الّتي أسّسها التّونسيون في الثلاثينات

المنظّمة	تاريخ تأسيسها
النّقابة الصّناعيّة للفلاّحين التّونسين	1933
اتّحاد النّقابات التّونسيّة للأعراف	1936
الجامعة العامّة للمتوظّفين التّونسيين	1936
النّقابة التّونسيّة لمعلّمي اللّغة العربيّة	1936
نقابات الفلاّحين التّونسيين بالجنوب	1936

إضاءات

بلقاسم القناوي : أصيل المطوية بالجنوب التونسي مناضل من الدستور الجديد، سجن ببرج البوف سنة 1934 ساهم في إحياء جامعة عموم العملة التونسية سنة 1937 وتولى منصب الكاتب العام بها. انحلت في 1938.

الوثيقة : 11

الصراع بين جامعة عموم العملة التونسية الثانية والحزب الدستوري الجديد

«... ذكرت جريدة «البتي ماتان» أن السيد بلقاسم القناوي قد أفضى بالتصريحات التالية : ... ومن جهة أخرى فإن حركتنا التي نقوم بها هي حركة نقابية بحتة ولا تمتّ إلى أي حزب سياسي بأية صلة بينما نقابات بنزرت* منخرطين في سلك الدستور الجديد ويكفي شاهدا على ذلك أن كان يقودهم السيد الهادي نويرة ومقاصدهم جلية وهي وضع س.ج.ت.ت. (جامعة عموم العملة التونسية) تحت إمرة الدستور الجديد الأمر الذي لا أرضاه ولا يرضى به رفيق من رفاقي».

جريدة النهضة 1 فيفري 1938، أورد المقال علي المحجوبي، ذكر سابقا، ص 254

* اقتحم نوابها وعلى رأسهم الهادي نويرة وهو عضو بالدستور الجديد قاعة مؤتمر الجامعة فانسحب قسم من المؤتمرين وقدموا شكوى إلى الشرطة، بينما سطا نواب بنزرت والمناصرون لهم على قيادتها التي قضت عليها سلطات الحماية فيما بعد.

التعليمات

- بالاعتماد على الوثيقة (11) والإضاءات أبرز المجهود الذي بذله التونسيون في تأسيس المنظمات المهنية.
- بين سبب الخلاف بين الدستور الجديد وجامعة عموم العملة التونسية الثانية ونتيجته بالنسبة للجامعة.

الوثيقة : 12

مذكرة إلى «فيانو» Vienot وكيل وزير الخارجية الفرنسية في عهد حكومة الجبهة الشعبية
قدمها الحبيب بورقيبة لفتح حوار معها وذلك يوم 28 جوان 1936

«لذلك يلزم العدول عن تلك السياسة (المتبعة) والقضاء تدريجيا على الامتيازات الفضيعة التي فرضتها على البلاد وذلك بالوسائل التالية :

1 ـ إيقاف الاستعمار الرسمي.

2 ـ حذف الثلث الاستعماري.

3 ـ تحرير النظام الجبائي وذلك بتوظيف أداء تدريجي على المداخيل وحذف الأداءات غير القارة.

4 ـ مقاومة الارتشاء والعبث بأموال الدولة.

5 ـ تعويض نظام السيطرة بنظام دستوري ديمقراطي يمكن الشعب من المشاركة في الحكم.

ومن الممكن في هذا المضمار تقرير حقّ الانتخاب العام وتوسيع مشمولات المجلس الكبير كتوطئة لإصلاح أبعد مدى في سبيل صبغ نظام البلاد بالصبغة الديمقراطية».

الحبيب بورقيبة : بين تونس وفرنسا، وزارة الإعلام، ص 110 ـ 111 ـ 112.

الوثيقة : 13

حوادث 9 أفريل 1938

«... ولكن حزب المعمّرين الفرنسيين بتونس ثار في وجه هذه التجربة (تجربة أرمان قيون* التحررية)حتى قضى عليها بالإخفاق و لم يمض عليها أكثر من 9 أشهر، فعادت الحركة الوطنية إلى سبيل القطيعة والتمرد والتصميم على التضحية وعلى تحرير الوطن التونسي بأيدي التونسيين ودمائهم، وانطلق الشبّان من طلبة المعهدين الزيتوني والصادقي يعملون منادين لتطبيق هذه الخطة التي انعقد عليها مؤتمر الحزب الدستوري الجديد في 1937 فدخلت بذلك الحركة في طور العصيان المدني والتصادم مع السلطة، وساد الاضطراب في الطلبة، وأصبحت الصادقية مركز توجيه حركات الشباب بقيادة الأستاذ علي البلهوان**، وتوجّهت الإدارة إلى الأستاذ بالتهديد فزاد ذلك الطلبة اضطرابا وإصرارا على موقفهم، ثمّ قرّرت فصله فأعلن الطلبة الإضراب وأغلقت الحكومة المعهد، وأضرب طلبة الجامع تضامنا مع طلبة الصادقية، وأضربت البلاد إضرابا عاما، وتظاهرت الجماهير أمام السفارة الفرنسية في 8 أفريل، ودعي الأستاذ البلهوان من الغد إلى دار المحكمة الفرنسية ليعتقل، وتظاهر الطلبة أمام المحكمة فاصطدموا بأعوان الأمن اصطداما مدبّرا كون المقتلة التاريخية الكبرى مقتلة 9 أفريل التي سقط فيها من الطلبة المتظاهرين نحو المائة قتيل، وخيّم الحزن على البلاد واستمرّ الإضراب... حتى أعلنت حالة الحصار وألقي القبض على زعماء الحركة ودخلت البلاد تحت الحكم العسكري».

محمد الفاضل ابن عاشور : الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص 198.

* **أرمان قيون** Armand Guillon

عيّن في 21 مارس 1936 مقيما عاما بتونس وبقي بمنصبه إلى 1938. اتبع سياسة ليبرالية في بداية عهده تبعا لتوجّهات حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا، وجدت سياسته معارضة شديدة من قبل غلاة الاستعمار من المتفوقين ومجموعة هامة من الموظفين الفرنسيين العاملين بتونس الذين أفشلوا أيضا تجربة الحوار التي جرت بين الدستور الجديد وحكومة الجبهة الشعبية وأدّى ذلك الفشل إلى حوادث 9 أفريل 1938.

** **علي البلهوان** 1909 - 1958

ولد بتونس، بعد حصوله على الإجازة في اللّغة والآداب العربية بكليّة الآداب بباريس عاد إلى تونس سنة 1935 وعيّن أستاذا بالمدرسة الصادقية، في مارس 1938 جرى فصله عن العمل، كان من قادة مظاهرة 8 أفريل 1938 واعتقل وحوكم يوم 9 أفريل وبقي بالسجن إلى سنة 1943

إضاءات

جدول أحداث 9 أفريل 1938

- جانفي 1938 : مواجهات دموية في بنزرت بين قوات الاحتلال والمتظاهرين المحتجّين على طرد حسن النوري رئيس الشعبة الدستورية للحزب الجديد إلى الجزائر.
- مارس 1938 :
- انعقاد المجلس الملي للدستور الجديد والدعوة إلى العصيان المدني.
- فصل علي البلهوان عن العمل.
- إضراب تلاميذ الصادقية تضامنا مع البلهوان.
- أفريل 1938 : حملة اعتقالات ضدّ مناضلي الدستور الجديد (الهادي نويرة، صالح بن يوسف...).
- 8 أفريل 1938 : إضراب عام ومظاهرة بالعاصمة بقيادة المنجي سليم وعلي البلهوان وتجمّع أمام الإقامة العامة ورفع شعارات وطنية مثل : «حكومة وطنية» و«برلمان تونسي».
- 9 أفريل : محاكمة البلهوان، مواجهات بين قوات الاحتلال والمتظاهرين من الطلبة والفئات الشعبية المحتجّين على المحاكمة : 22 قتيلا وأكثر من 150 جريحا.
- أفريل : إعلان حالة الحصار على مدينة تونس وحل الدستور الجديد واعتقال قادته وإحالتهم على المحكمة العسكرية وتعطيل الصحف الوطنية.

التعليمات

بالإعتماد على الوثائق (7 – 12 – 13) والإضاءات

- بين تطور العلاقات بين الدستور الجديد والحكومة الفرنسية فيما بين 1936 – 1938
- بين أسبابه.
- بين عوامل شدة القمع الفرنسي في أحداث 9 أفريل 1938.

أستخلص

المقدّمة :

سجلت الحركة الوطنية في الثلاثينات تطورا هاما في برامجها وتنظيماتها وطرائق عملها وذلك تحت تأثير مجموعة من الظروف الداخلية والخارجية تولدت جوهريا عن أزمة الثلاثينات الاقتصادية العالمية وانتهى هذا التطور باحتداد العلاقة بينها وبين سلطات الحماية وبلغ ذروته في حوادث 9 أفريل 1938.

I – ظرفية الثلاثينات

1 ـ ظرفية الثلاثينات في الداخل

أ– الأزمة الاقتصادية وانعكاساتها (1–2–3–4)

*** الأزمة الاقتصادية**

شهدت تونس أزمة مزدوجة :

ـ أزمة تقليدية تمثلت في تدهور الإنتاج الفلاحي بسبب الجفاف والجراد في بداية الثلاثينات.

ـ أزمة عصرية متولدة عن أزمة الثلاثينات الاقتصادية العالمية ومن تجلياتها تدهور قطاعي الفلاحة والمناجم عماد الاقتصاد التونسي آنذاك نتيجة انخفاض أسعار موادهما وانحسار الأسواق الخارجية أمامها.

ـ تأزم الصناعات والتجارة التونسية تبعا لذلك وبسبب اشتداد منافسة البضائع الفرنسية التي استفادت من الوحدة القمرقية المفروضة على تونس منذ 1928.

*** انعكاساتها :**

أثرت الأزمة في مختلف مكونات المجتمع بتونس آنذاك.

ـ المعمرون الفرنسيون الذي ازداد تشبثهم بامتيازاتهم ورفض التنازل عنها أو حتى عن جزء ضئيل منها لفائدة التونسيين.

ـ تدهور أوضاع مختلف الفئات التونسية :

ـ الفئات الشعبية من حرفيين وصغار تجار ومزارعين فقراء وعمال فتحول قسم منهم إلى نازحين بالأحياء الشعبية حول المدن الكبرى خاصة العاصمة ومنهم من أصبح عاطلا عن العمل أو التحق بمأوى العجز (التكيّة)... وتهددهم جميعا المجاعة... وهيأتهم أوضاعهم تلك للانخراط في النضال دون تردد.

ـ كبار الفلاحين وأرباب الصناعة والتجارة من التونسيين بمن فيهم من كان مستفيدا من النظام الاستعماري فبدأ يتحول موقفهم من هذا النظام خاصة وأن سلطات الحماية قصرت اهتمامها خلال الأزمة على أوضاع المعمرين فحسب مهملة مصالحهم ومصالح التونسيين عامّة، وبدأت بذلك تتزعزع بعض الأركان الداخلية التي قام عليها نظام الحماية بتونس.

وازداد حنق التونسيين مع السياسة الاستفزازية التي اتبعتها فرنسا منذ مطلع الثلاثينات.

ب– سياسة سلطات الحماية الاستفزازية لمشاعر التونسيين (5 ـ 6)

تجسدت في تنظيم المؤتمر الأفخرستي في ماي 1930 والاحتفال بمرور خمسين سنة عن الاحتلال الفرنسي لتونس (1931) وفي محاولة فرض دفن المتجنسين التونسيين بالجنسية الفرنسية في المقابر الإسلامية.

كانت هذه السياسة الاستفزازية مع تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية أرضية مناسبة لبروز قوّتين جديدتين على الساحة الوطنية :

- الجماهير الشعبية التي انخرطت انخراطا مباشرا في التصدي لسلطات الحماية.
- مجموعة «العمل التونسي» التي استخلصت أهمية انخراط تلك الجماهير في النضال الوطني عندما فرضت عليها إحداث مقابر خاصة بالمتجنسين وعدم دفنهم في المقابر الإسلامية.

ج- التجديد الثقافي

تجسد هذا التجديد في بروز عدة أدباء ومفكرين في مختلف مجالات الفكر والفن... مثل أبي القاسم الشابي والطاهر الحداد ومجموعة تحت السور وأعضاء الجمعيات الثقافية كالخلدونية وقدماء الصادقية وفرقة الرشيدية الموسيقية والصحافة... وتناولوا في أعمالهم مشاغل التونسيين وعبروا عن تطلعاتهم نحو الانعتاق الاجتماعي والسياسي. وساهمت كتاباتهم في مزيد الارتقاء بالوعي الوطني...

2 - ظرفية الثلاثينات بالخارج [7-8]

- **اشتداد الصرع بين الدول الاستعمارية الليبرالية (أو الديمقراطية) منها والفاشية** : فقد عززت أزمة الثلاثينات الأنظمة الفاشية في العالم وصارت هذه الأنظمة تطالب بما سمته مجالها الحيوي أي بإعادة اقتسام المستعمرات ومناطق النفوذ بينها وبين القوى الاستعمارية الديمقراطية، وشمل هذا الصراع مناطق عديدة من العالم بما في ذلك تونس التي أصبحت إيطاليا الفاشية تسعى إلى الهيمنة عليها على حساب فرنسا.
- **اضطراب الوضع الفرنسي** : لم تسلم فرنسا بدورها من أزمة الثلاثينات فاحتدمت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وانعكس ذلك على الوضع السياسي بها حيث انعدم الاستقرار السياسي (أربع وزارات في سنة واحدة وهي سنة 1934) كما اشتد الصّراع على السلطة بين الرابطات الفاشية من جهة والجبهة الشعبية من جهة أخرى التي استطاعت الارتقاء إلى الحكم في 1936. وأثّرت هذه الأوضاع في سياستها الاستعمارية فتقلبت بين سياسة التصلب إزاء الحركات الوطنية وبين السياسة التحررية.

أثرت هذه الظروف الداخلية والخارجية تأثيرا ملحوظا في تطور الحركة الوطنية التونسية خلال الثلاثينات والذي انتهى باحتدام الصراع بينها وبين سلطات الحماية.

II - مظاهر تطور الحركة الوطنية في الثلاثينات

1 - استفاقة الحزب الحر الدستوري التونسي : تعديل برنامجه السياسي [9]

خرج الحز الحر الدستوري من حالة الركود التي كان عليها منذ أواسط العشرينات فعقد في ماي 1933 مؤتمره بتونس والمعروف بمؤتمر نهج الجبل، ومن أهم قرارات هذا المؤتمر هو تعديل برنامجه السياسي للعشرينات، فقد طالب بإقامة نظام دستوري يشتمل على برلمان منتخب عن طريق الاقتراع العام وحكومة مسؤولة أمامه متخليا عن المجلس التفاوضي المتناصف وعن استثناء المقيم العام من المسؤوليات أمام ذلك البرلمان، لكنه في نفس الوقت حافظ على طابع الاعتدال الذي تميز به فلم يدع إلى إنهاء نظام الحماية صراحة.

ومن ناحية أخرى قرر ضم مجموعة «العمل التونسي» وعلى رأسها الحبيب بورقيبة إلى اللجنة التنفيذية.

2 ـ انشقاق الحزب الدستوري وميلاد الحزب الحر الدستوري الجديد : مؤتمر قصر هلال 2 مارس 1934 [10] :

إن سبب هذا الانشقاق هو الخلاف الذي نشب بين القادة القدامى للحزب والقادة الجدد من مجموعة «العمل التونسي»، و لم يتعلق الخلاف بالأهداف بقدر ما تعلق بأساليب النضال. فأمام سياسة القمع التي واجهت بها سلطات الحماية انتعاشة الحزب الدستوري والتظاهرات الشعبية دعا القادة القدامى إلى التهدئة في حين نادى القادة الشبان إلى المواجهة وتعبئة الجماهير الشعبية لتحدي تلك السلطات، وأمام استحالة التوفيق بين الطرفين انعقد مؤتمر استثنائي بقصر هلال بالساحل التونسي بدعوة من الدستوريين الجدد ودون موافقة القادة القدامى ومن أهم القرارات التي اتخذها هي حل اللجنة التنفيذية وتعويضها بقيادة جديدة تسمى الديوان السياسي، ورفضت تلك اللجنة هذا القرار فتواجد بذلك حزبان دستوريان :

ـ الحزب الدستور القديم بقيادة اللجنة التنفيذية ومن أبرز قادته صالح فرحات ومحي الدين القليبي...

ـ الحزب الدستور الجديد بقيادة الديوان السياسي ومن أبرز قادته الحبيب بورقيبة ومحمود الماطري... المنتمين أساسا إلى الفئات المتوسطة المنحدرة من الساحل وغيرها من مناطق البلاد ومن المتخرجين من الجامعات الفرنسية..

ولئن أدى هذا الانشقاق إلى إضعاف الحركة الوطنية في بداية الأمر فإنه سرعان ما سمح بتطورها من جديد على يد الدستور الجديد الذي متن علاقاته بالجماهير الشعبية وقد هيأتها ظرفية الثلاثينات إلى التفاعل مع أسلوبه النضالي داعيا إياها إلى مقاطعة البضائع الفرنسية والامتناع عن دفع الضرائب فعمد المقيم العام »»بيروطون« المعروف بسياسته القمعية إلى اعتقال قادته وعلى رأسهم الحبيب بورقيبة في سبتمبر 1934. لكن خلافا للحزب الدستوري القديم تحدى الحزب الدستوري الجديد هذا القمع وصمد أمامه إلى أن اضطرت فرنسا إلى تغيير سياستها عندما عينت مقيما عاما جديدا في 1936 عرف بسياسته التحررية وهو «ارمون قيون» وتعمقت هذه السياسة عند ارتقاء الجبهة الشعبية إلى السلطة في فرنسا، فكانت فرصة للحزب الدستوري الجديد لكي يتحول إلى حزب جماهيري حقيقي بازدياد عدد منخرطيه وعدد شعبه فأصبح أهم قوة سياسية وطنية في البلاد.

3 ـ إحياء جامعة عموم العملة التونسية على يد بلقاسم القناوي 1937 ـ 1938 (11)

لم تنحصر جهود الوطنيين في تأسيس الأحزاب السياسية بل شملت أيضا تكوين المنظمات الشعبية المهنية وغيرها، ومن أهم هذه المنظمات التي أحياها الوطنيون في الثلاثينات هي جامعة عموم العملة التونسية، بفضل جهود بعض من بقي من رفاق محمد علي الحامي ومناضلين من الدستور الجديد. وارتبط تأسيسها بظرفية ملائمة تمثلت في سياسة الجبهة الشعبية التحررية والاعتراف بالحق النقابي في تونس منذ 1932. التأم مؤتمرها التأسيسي في جوان 1937 وانتخب بلقاسم القناوي أمينا عاما لها، تألفت من عدّة نقابات ضمت عمال القطاع التقليدي وعمال المناجم والموانئ لكن بقي إشعاعها دون إشعاع الكنفدرالية العامة للشغل الفرنسية آنذاك، وأهم نشاط قامت به قبل التئام مؤتمرها هو تنظيمها إضراب عمال مناجم الفسفاط بجهة قفصة في شهر مارس 1937 وواجهته سلطات الحماية بالقمع الدموي، انفرط عقدها سنة 1938 بسبب الاختلاف بين قادتها وقادة الدستور الجديد حول العلاقة بين النضال النقابي والنضال السياسي الوطني وأجهزت عليها سياسة التعسف الاستعمارية.

4- تجذر الحركة الوطنية واحتدام الصراع مع سلطات الحماية : حوادث 9 أفريل 1938 [12–13] :

أ- فشل الحوار بين الدستور الجديد وحكومة الجبهة الشعبية

عدل الدستور الجديد من نهجه النضالي عند ارتقاء الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا فسلك سياسة التفاوض معها متقدما بمطالب معتدلة مستمدة من برنامج سنة 1933 وتفاعلت معه حكومة الجبهة عندما أعلن «بيار فينو» كاتب الدولة المساعد لوزير خارجيتها سنة 1937 عن برنامج إصلاحات في تونس يهدف إجمالا إلى توسيع مشاركة التونسيين في إدارة شؤون بلادهم وتأسيس لجنة تشريعية استشارية، رحب الدستور الجديد بهذا البرنامج بينما عارضه المعمرون بكل شدة فأجهضوه.

ب- احتداد العلاقات بين الدستور الجديد وسلطات الحماية

مالت عندئذ الحكومة الفرنسية إلى اتباع سياسة التصلب إزاء الوطنيين فاحتدت العلاقات معها خاصة وقد برز داخل الدستور الجديد تيار راديكالي دعا إلى إنهاء سياسة الحوار وتصعيد النضال ضد سلطات الحماية تجسّد بالخصوص في تنظيم مظاهرة كبرى يوم 8 أفريل 1938 أمام مقر الإقامة العامة الفرنسية بالعاصمة رفع فيها المتظاهرون شعارات وطنية (حكومة تونسية وبرلمان تونسي) فقابلت سلطات الحماية هذا التصعيد بقمع أشد فكانت أحداث 9 أفريل، وكان سببها المباشر هو اعتقال الزّعيم الوطني الأستاذ علي البلهوان ومحاكمته في ذلك اليوم حيث نظم تلاميذ الصادقية احتجاجا أمام المحكمة سرعان ما تحول إلى مصادمات دموية مع قوات الاحتلال انخرط فيها سكان الأحياء الشعبية بالعاصمة. واعتقلت سلطات الحماية قادة الدستور الجديد وأحالتهم على المحكمة العسكرية بتهمة التآمر على أمن الدولة وأعلنت حالة الحصار على مدينة تونس ثم حالة الطوارئ في كامل البلاد وقررت حل الدستور الجديد.

لا شك أن توتر العلاقات الدولية في 1938 واشتداد الصراع الفرنسي الإيطالي حول تونس إلى جانب ضغط المعمرين على سلطات الحماية يفسر إلى حد كبير شدة القمع الفرنسي للحركة الوطنية وأساسا الدستور الجديد الذي وجد نفسه في هذه المعركة وحيدا بسبب خلافاته مع بقية الأطراف الوطنية مثل الدستور القديم وجامعة عموم العملة التونسية... وتسبب هذا القمع في تراجع النضال الوطني إلى حين اندلاع الحرب العالمية الثانية.

الخاتمة : حصيلة الطّور الأول : الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الثانية : طور التأسيس

تبيّنا إذن غزارة نشاط الوطنيين وتنوعه خلال عقدين من الزمن، غير أن هذا النشاط الغزير لم يفض إلى تحقيق الأهداف الوطنية وخاصة الاستقلال، ولذلك تبدو مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية في مسار الحركة الوطنية التونسية الحديثة مرحلة تأسيس. وبالفعل، لا تكمن أهمية ما قام به الوطنيون في هذه المرحلة من النضال الوطني من 1920 إلى 1938 - 1939 فيما توصلوا إليه من نتائج، فالحصيلة في هذا المجال كانت هزيلة جدا (إحداث المجلس الكبير ووعود «فينو» للدستور الجديد التي لم تنفذ)، وإنما تتجلى فيما ابتكروه من أفكار ومن أشكال نضال ساهمت في وضع أسس متينة للنضال الوطني : فقد كونوا المنظمات السياسية التي ستتولى قيادة الحركة الوطنية نحو الاستقلال ونذكر على وجه الخصوص الحزب الدستوري الجديد، ورسّخوا الفكرة الوطنية في مختلف أوساط التونسيين ومكنوهم من تجاوز الأفق الضيقة القبلية وما شابهها والتي ميزت ردود الفعل الأولى ضد الاستعمار كما حاولوا الربط بين وجهي الحركة الوطنية، الوجه السياسي والوجه النقابي، وحددوا من ناحية أخرى البرنامج السياسي النضالي للحركة وتلمسوا أساليب العمل السياسي مثل السّعي إلى حشد معظم أطراف التونسيين حول الهدف الوطني، كما راوحوا بين المرونة (المفاوضات) والمواجهة حسب ظروف النضال وكذلك القبول بالحد الأدنى من المطالب بصفة مؤقتة إن لم تسمح الظروف بكسب كامل المطالب. ولا يقلّل من أهمية ذلك ما اعترى نضالهم من قصور مثل عدم التوفق إلى توحيد الصف الوطني وكسب التأييد الدولي وهي النقائص التي سيتلافاها الوطنيون بعد الحرب العالمية الثانية.

أركز معلوماتي : من أبرز أحداث الحركة الوطنية في مرحلتها الأولى 1920 - 1939

- 1920 : صدور كتاب «تونس الشهيدة».
- مارس 1920 : تأسيس الحزب الدستوري التونسي بزعامة عبد العزيز الثعالبي (الدستور القديم).
- جويلية 1922 : إصلاحات جويلية 1922 : إحداث المجلس الكبير بدل الجمعية الشورية.
- نوفمبر 1924 : الإعلان عن تأسيس جامعة عموم العملة التونسية بزعامة محمد علي الحامي (الجامعة الأولى).
- 12 – 13 ماي 1933 : انعقاد مؤتمر الحزب الدستوري : مؤتمر نهج الجبل : تبني برنامج جديد للحزب وانضمام «مجموعة العمل التونسي» في قيادته (اللجنة التنفيذية) ومن أبرز أعضاء هذه المجموعة الحبيب بورقيبة.
- مارس 1934 : الانشقاق داخل الحزب الدستوري وانعقاد مؤتمر قصر هلال وانبثاق الحزب الدستوري الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة.
- فيفري 1937 : الإعلان عن مشروع «فيانو» في إطار التفاوض بين السلطات الفرنسية والدستور الجديد : توسيع مشاركة التونسيين في إدارة حكم البلاد.
- جوان 1937 : تأسيس جامعة عموم العملة التونسية الثانية بزعامة بلقاسم القناوي.
- 8 أفريل 1938 : مظاهرة كبرى نظمها الدستور الجديد أمام مقر الإقامة العامة بالعاصمة تونس رافعة شعارات وطنية مثل «حكومة وطنية» و«برلمان تونسي» وذلك إثر فشل سياسة التفاوض واحتجاجا على سياسة القمع الفرنسية.
- 9 أفريل 1938 : المصادمات الدموية بين المتظاهرين التونسيين والقوات الفرنسية.

الدرس الرابع عشر الحركة الوطنيّة منذ الحرب العالميّة الثّانية إلى الاستقلال التام 1956 : طور النضج والحسم

المدخل

دخلت الحركة الوطنيّة التونسيّة الحديثة منذ اندلاع الحرب العالميّة الثّانيّة طورها الحاسم الّذي توّج بنيل الاستقلال التّام سنة 1956. حيث وفرت هذه الحرب ظروفا محليّة ودوليّة سانحة لاكتساب الحركة قدرا هامّا من النضج ساعدها على تحقيق الاستقلال. سأتبيّن هذه الظروف وأتعرّف إلى مدى تأثيرها في نضج الحركة وحصيلتها.

النشاط الأول أتعرف إلى الظروف الملائمة لنضج الحركة الوطنيّة وتجذرها واكتمالها

الموارد

إضاءات

القطاع المنجمي : الفسفاط
تطور الإنتاج وعدد العمال خلال الحرب

السنة	1938	1943
الإنتاج/طن	2.034.000	335.000
العمال	5816	3620

تطور مؤشر القدرة الشرائيّة لبعض الفئات

السنة	1940	1944
بناء	100	74
عامل بالمناجم	100	86
محتسب	100	78

بعض الخسائر الّتي لحقت تونس خلال الحرب العالميّة الثّانيّة حسب إحصائيات المصالح الإداريّة

- 1300 كم من الطرقات
- 120 جسرا
- 80 % من المنشآت المرفئيّة التّابعة لميناءي صفاقس وسوسة
- 530 كم من الأسلاك الكهربائيّة
- 1520 كم من الأسلاك الهاتفيّة
- 15 % من التجهيزات التّابعة للسكك الحديديّة
- 180 سيّارة شاحنة

الوثيقة 1

ملامح من الوضع في تونس : شهادة أوردتها صحيفة مستقبل تونس في أفريل 1947

«تعيث المجاعة فسادا في أريافنا وتهدّد بويلاتها مئات الآلاف من المزارعين التونسيين. وأطلق صيحة الفزع وطلب الإغاثة مزارعو وحرفيو القيروان، وكانوا أوّل من أحسّ بالمجاعة. فأكثر من 20 000 شخص داخل المدينة وحواليها يعانون من شدّة البؤس والحرمان. وفي كلّ يوم يجري الإعلان عن عدّة وفيات ناجمة عن نقص في التغذيّة. أمّا في منطقة القصرين فيعيش أكثر من 125 000 مزارع في ضنك من جرّاء الجفاف وتوقّف استغلال الحلفاء. والحال ليس أفضل بالنسبة لسكان الأرياف والمدن بجهات صفاقس والساحل والكاف. ففي هذه الربوع وغيرها من المناطق الشاسعة في البلاد تنتشر البطالة والعوز والموت للجائعين. فما العمل لمعالجة هذا الوضع ؟ وكيف السبيل لمحاربة هذه الآفة، آفة المجاعة الّتي تهدّد حياة فئات واسعة من الجماهير الشعبيّة ؟»

أوردها مصطفى كريم في مقاله : أحداث 5 أوت 1947 بصفاقس، المجلة التاريخيّة المغربيّة عدد 9 جويلية 1997. تونس، ص. 319. القسم الفرنسي.

الوثيقة 2

الاقتصاد التونسي ومشاكل إنعاشه (1948)

وممّا يؤيّد هاته الملحوظات أنّ الميزان التجاري التونسي يشير إلى عجز يتفاقم العام تلو العام خصوصا منذ إقرار "الاتحاد الجمركي" حتّى أنّ العجز بلغ سنة 1947 الـ12 مليار من الفرنكات ويربو اليوم على المليار شهريّا وسوف يدوم استنزاف الثروة التونسيّة ما دام الجهاز الاقتصادي موكول أمره إلى مصالح لا تقيم وزنا للمصلحة القوميّة ولا ترى فائدة في إنعاش الإنتاج المحلّي إذ ترى الاقتصار على إنتاج المواد الخام دون غيرها من المصنوعات والمنتجات ولئن استقرّ هذا النّظام الجائر المجحف فلا سبيل لإنشاء صناعة تونسيّة بكامل معناها ولا سبيل لاستخدام مئات الآلاف من العاطلين الّذين يتزايد عددهم بتزايد السكّان (...)

من خطاب لمحمد بدرة رئيس الحجرة الأهليّة في 7 فيفري 1948. تأليف جماعي : المجتمع التونسي والاستغلال الاستعماري، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة، تونس، 1997. ص. 52–53–54.

إضاءات

تطوّر نسبة نمو السكّان بالمقارنة مع نسبة نمو الإنتاج : بعض المواد الفلاحيّة والمنجميّة 1946–1956

نمو السكان	نمو إنتاج الحبوب	نمو إنتاج الزيوت	نمو إنتاج الفسفاط
%22	%21	%14	%7

الفوارق بين الأهالي والأوروبيين سنة 1954 (أرقام تقريبيّة)

	الأهالي	الفرنسيون	أوروبيون آخرون
‰ وفيات الرضع	173	37	
‰ الوفيات	14.5	8	
% السكان الّذين يشكون نقص التغذيّة	36	10	26
% الأميين	85	11	23
% تمدرس الأطفال دون 14 سنة	20.5	94	77
نسبة السيّارات الخاصّة بين السكّان	1 لكلّ 220 ساكن	1 لكلّ 10 ساكن	

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقتين (1-2) والإضاءات:

- ابرز مظاهر تردّي الوضع الاقتصادي بالبلاد التونسيّة وعوامله
- بيّن مظاهر سوء الوضع الاجتماعي وأسبابه

إضاءات

تطوّر عدد أصحاب المهن الحرّة والموظفين العموميّين (أرقام تقريبيّة)

المهنة	1939	1947	1949	1954
أطباء	40	129	-	182
صيادلة	14	45	-	82
محامون	30	51	-	86
إداريون صنف "أ"	-	-	1345	-

المؤسسات الرأسماليّة التي كانت على ملك التونسيين وتشغل 50 أجيرا على الأقل في بداية الخمسينات (أرقام تقريبيّة)

	1951	1952	1953	1955
المجموع	17	23	31	-
% من مجموع المؤسسات بالبلاد	8.2	-	-	11

الوثيقة 3

التجهيز الصناعي

«التجهيز الصناعي باب من أبواب الازدهار لكلّ بلاد من بلدان العالم ووسيلة من الوسائل الرئيسيّة للتقدّم الاجتماعي، وهو الّذي يمكّن البلدان من استقلالها الاقتصادي الّذي هو الشرط الأساسي لكلّ استقلال حقيقي. ولأجل ذلك نرى النّظام الاستعماري يحول دون تحقيق هذه الرغبة الطبيعيّة الّتي طالما عبّرنا بمختلف المناسبات عن تعلّقنا بها.

فنشاهد اليوم وقد مضت على بلادنا عشرات السنين وهي خاضعة لنظام الاستعمار الرأسمالي أنّ مواردنا الأوّليّة سواء كانت معدنيّة أو غيرها تباع في الخارج على حالتها الطبيعيّة.

فنحن نصدّر إلى الخارج معدن الحديد ثمّ نشتري من البلدان الأجنبيّة جميع ما نحتاج إليه من المواد الحديديّة ... ثمّ إنّنا نلاحظ أيضا ... أنّ الأقطار المغلوبة على أمرها إنّما هي في غالب الأحيان عبارة عن أسواق مفتوحة لبضائع المستعمرين ومنابع للمواد الأوليّة.

فما بالنا لا نهتمّ بهذه الناحيّة العظيمة من الأمور الحيويّة ونتركها لغيرنا يديرها حسب مصلحته ويضيّق بها على حرّيتنا الاقتصاديّة الّتي هي باب من أبواب الاستقامة القوميّة.»

مقال بجريدة الحريّة 21 نوفمبر 1948. فرحات حشاد : أحبّك يا شعب، ج. 1. ص. 204—205

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقتين (2-3) والإضاءات :

- ابرز مظاهر نمو الفئات العصريّة التونسيّة
- بيّن مواقف القوى الحيّة التونسيّة من واقع تونس الاقتصادي والاجتماعي

الوثيقة 4

النثر الأدبي

«وعن الإذاعة تولّدت حياة النثر الأدبي بعد الحرب العالميّة الثانيّة بصدور مجلّة "الثريّا" في ديسمبر 1943. أصدرها الكاتب العام للإذاعات العربيّة، الأستاذ نور الدين بن محمود وهو من الأدباء البارزين، مادتها ممّا يلقى في الإذاعة من الدراسات الأدبيّة والتاريخيّة وقطع الشعر والنثر. وانتشرت هذه المجلّة في تونس وعموم المغرب العربي انتشارا واسعا، ووصلت إلى الشرق. وانتعشت برواجها حركة النثر الأدبي بالبلاد التونسيّة، فاستأنفت "المجلّة الزيتونيّة" صدورها، وأحيت نخبة من الأساتذة مجلة "المباحث" الّتي كان أصدرها ثمّ أبطلها منذ سنتين الأستاذ محمد عبد الخالق البشروش فكانت سجلاً لأرقى فنون النثر العلمي، وامتازت بإشراف نابغ من أساتذة اللغة العربيّة المتخرّجين من الجامعة الفرنسيّة، هو الأستاذ محمود المسعدي وبمنهج كتابته الّتي سارت طريقة من النثر الفنّي هي طريقة القصّة الفلسفيّة الرمزيّة، وبدراسات هامّة في الأدب والتّاريخ من أقلام بقيّة أسرة المجلّة.

وأصدرت جريدة "النهضة" في جانفي 1944 عددا أسبوعيا خاصا بالأدب والتّاريخ والأخبار العلميّة باسم "النهضة الأدبيّة" يشرف عليها الأستاذ الطيّب العنابي، وخصّصت "الزهرة" ركنا أسبوعيا لذلك.»

محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبيّة والفكريّة في تونس، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1975. ص. 211

إضاءات

ثلّة من المفكرين والأدباء والفنانين التونسيين الّذين برزوا خلال الحرب العالميّة الثّانيّة وبعدها

المجال	الاسم واللّقب
أدب (نثر) وفكر	محمود المسعدي، محمد الفاضل ابن عاشور، عثمان الكعاك، علي البلهوان، البشير خريف ...
شعر	أحمد اللغماني، مصطفى خريف، أحمد مختار الوزير، منور صمادح ...
رسم	علي بن سالم، حاتم المكي ...
مسرح	محمد الحبيب، خليفة الصطمبولي ...
موسيقى وغناء	خميس ترنان، صالح المهدي، محمد التريكي، فتحيّة خيري، حسيبة رشدي، صليحة، علي الرياحي ...

إضاءات

من أوجه تطوّر التعليم بتونس بعد الحرب العالميّة الثانيّة

– تطور عدد التلاميذ بالابتدائي وعدد المتحصّلين على شهادة التعليم الابتدائي

السنة	عدد التلاميذ	المتحصلون على الشهادة الابتدائيّة
1939	44 200	1 316
1954	139 000	3 047

– تطور التعليم الثانوي الفنّي

السنة	عدد التلاميذ	المتحصلون على البكالوريا
1939	1 568	43
1954	8 536	334

– تطورالتعليم الزيتوني

تطور عدد الفروع والتلاميذ

السنة	1945	1954
عدد الفروع	6	25
عدد التلاميذ	9 000	22 000

– تطور عدد المدارس القرآنيّة العصريّة

السنة	1945	1954
عدد المدارس	47	186
عدد التلاميذ	9 200	35 000

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقة (4) والإضاءات :

- حدّد مظاهر النهضة الثقافيّة في تونس بعد الحرب
- ابرز مميزاتها

الوثيقة 5

من مقررات مؤتمر "باندونغ"

2- بالنظر إلى الموقف غير المستقر في شمال إفريقيا وللإمعان في إنكار حقّ شعوب شمال إفريقيا في تقرير مصيرها يعلن المؤتمر تأييده لحقوق شعوب الجزائر وتونس والمغرب في تقرير المصير والاستقلال ويتعجّل الحكومة الفرنسيّة في أن تحقّق التسويّة السلمية للقضيّة دون تأخير.

عبد العزيز الشناوي وجلال يحي : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر

التعليمة

■ بالاعتماد على الوثيقة(5) وعلى مكتسباتك في درس "استقلال المستعمرات"، أبرز انتصار مبدأ حقّ الشّعوب في تقرير المصير وأهميّة ذلك بالنسبة للحركة الوطنيّة.

الوثيقة 6

من تصريح للحبيب بورقيبة أدلى به في القاهرة في 9 أوت 1947

«أمّا الآن فالقضيّة بين فرنسا والشعب التّونسي وهي على وشك تجاوز هذا النّطاق إلى الميدان الأممي. وإذا بلغت تلك المرحلة فإنّه من المحقّق أنّ فرنسا ستفرض عليها باسم السّلام والأمن فيما يخصّ البلاد التونسيّة، كما سبق في سوريا ولبنان وكما سيأتي في الهند الصينيّة، حلول حاسمة منافيّة لمصالحها.

عدّوا الأصوات الّتي قد تكون من جانب فرنسا في هيئة الأمم المتحدة عندما تبسط لديها قضية الشمال الإفريقي... فإنّكم تتصوّرون منذ الآن الحلّ الّذي قد يفرض على فرنسا لو قدّر أن يسيل الدم في إفريقيا الشماليّة وقرّرت أمريكا المسؤولة عن السلّم العالمي إيقاف القتال .. إنّ مجلس الأمن لا يؤثّر عليه تصويت هولندا أو إمساك بلجيكا ...»

الحبيب بورقيبة : بين تونس وفرنسا، وزارة الإعلام، تونس، 1985، ص. 257

التعليمة

■ بالاعتماد على الوثيقة (6) وعلى مكتسباتك، ابرز ما آل إليه وزن فرنسا الدولي وواقع إمبراطوريتها الاستعماريّة بعد الحرب العالميّة الثّانيّة.

الوثيقة 7

روني بليفان René Pleven مفوض السلطات الفرنسيّة لدى المستعمرات
يوضّح مشروع الاتّحاد الفرنسي الّذي أعلن عنه الجنرال دي غول في مؤتمر برازافيل*

«لا توجد في فرنسا الاستعماريّة الكبرى شعوب مستعبدة لتحريرها ولا حيف عنصري لإزالته، بل تعيش بها مجموعات بشريّة تنوي الأخذ بيدها لإثبات شخصيتها وتمتيع المجموعات الأكثر نضجا منها بالحرّيات السياسيّة، ولكن لا تعرف من استقلال غير استقلال فرنسا".

أوردت التّوضيح سلوى زنقار في مقالها : تونس والاتحاد الفرنسي : الموقف الوطني والمواقف الاستعماريّة 1946–1952. المجلة التّاريخيّة المغربيّة، عدد 67–68. أوت، 1992. ص. 299

* انعقد مؤتمر برازافيل من 30 جانفي إلى 8 فيفري 1944 وجمع حكام مستعمرات فرنسا في إفريقيا السوداء دعا فيه الجنرال دي غول إلى إنشاء "الاتحاد الفرنسي" الّذي أقرّه دستور 1946 الفرنسي وفي إطاره منح سكان المستعمرات بعض الحقوق دون منحهم حقّ تقرير المصير والانفصال عن فرنسا.

الوثيقة 8

مذكرة تتعلّق بقضية ملك تونس محمد المنصف باي الّذي خلعته فرنسا عن العرش في ماي 1943 قدّمها مكتب استعلامات اللجنة التنفيذيّة للحزب الدستوري القديم لأعضاء جامعة الدول العربيّة 29 ربيع الأوّل 1367 (1948)

«كانت التهمة الّتي ألصقت به (المنصف باي) هي تعاونه مع جيوش المحور أثناء احتلالها للقطر التونسي إلاّ أنّ التحقيقات الّتي أجريت من طرف الفرنسيين والحلفاء أثبتت عدم وجود هذا التّعاون ...*
والحقيقة أنّ الاستعماريين الفرنسيين نقموا على جلالته استنكاره لسياسة ابتلاع الذاتيّة التّونسيّة من طرف الفرنسيين ... فنقموا عليه ... وكان جزاءه عندهم اتهامه بتلك التهمة وإزالته عن العرش.»

محي الدين القليبي : مأساة عرش، المطبعة العصريّة، القاهرة، 1954. ص. 247

* اتخذ المنصف باي موقف الحياد إزاء الحلفاء والمحور بإشارة من بعض الوطنيين الملتفّين حوله، بينما أعلن الحبيب بورقيبة عن تأييده للحلفاء ودعا الشعب التونسي والمناضلين إلى ذلك فكسب تعاطفهم (خاصة الأمريكيين والبريطانيين) مع الحركة الوطنيّة خلال الحرب وبعدها.

الوثيقة 9

سياسة الترويع والانتقام الفرنسيّة بعد تحرير تونس من جيوش المحور في ماي 1943

«انتصبت الحملة الفرنسيّة المصاحبة لجيوش الحلفاء في كلّ بلد من بلدان المملكة تقبض على النّاس وتفتّش منازلهم وتلهب جلودهم بالسياط ... وكثيرا ما كانوا يضعون ... مضاغط حديديّة في أصابعهم كلّ ذلك لإلزامهم باعترافات على أنفسهم أو على غيرهم بأنّهم خدموا الألمان ولقد أطلقوا الرّصاص على جماعات في ساحات السّجون وتحت أسوار المدن وقتلوهم بالظنّة دون تحقيق يثبت جريمة أو حكم من القانون ... ولا تسأل عن انتهاك الحرمات وانتهاب الأرزاق وامتلاء السجون والمعتقلات بعلية القوم وأشراف الأمة ... وما يلاقونه فيها صباحا مساء من التنكيل والتعذيب ...»

المصدر السّابق، ص. 80–81

إضاءات

إصلاحات المقيم العام ماست Général Mast (1943–1947) سنة 1945. شملت بالخصوص المجلس الكبير حيث أصبح الأعضاء التونسيون منتخبين وعددهم مساويا لعدد الفرنسيين، لكن دون منح حقّ الانتخاب لأغلبيّة التونسيين ومع إبقاء صبغته الاستشاريّة وحصر دوره في النّظر في المسائل الماليّة لا غير.

إصلاحات المقيم العام مونس Jean Mons(1947–1950) سنة 1947. اهتمّت أساسا بإصلاح مجلس الوزراء، حيث بلغ عدد الوزراء التّونسيين الـ6 مع توسيع صلاحيات الوزير الأكبر (تونسي) لكن بقي المقيم العام هو رئيس مجلس الوزراء وكان النّفوذ الحقيقي بأيدي المستشارين الفرنسيين الّذين عيّنوا للعمل مع الوزراء التّونسيين.

التعليمات

من خلال الوثائق (7-8-9) والإضاءات

- بيّن طرائق تعامل فرنسا مع مستعمراتها عامّة وتونس على وجه الخصوص
- بيّن مدى توافقها مع المبادئ المعلنة دوليّا حول المستعمرات.

النشاط الثاني

أتعرف إلى مظاهر نضج الحركة الوطنيّة وتجذّرها خلال الحرب وبعدها وردود فعل فرنسا على ذلك

الموارد

الوثيقة 10

إضراب مدرّسي جامع الزيتونة

«تقدّموا (رجال التدريس بالزيتونة) في نوفمبر 1943 إلى الحكومة متذرّعين بسوء وضعهم الإداري وانحطاط مرتّباتهم، يطالبون بمنحهم حقوق الموظفين كاملة، واعتبار تعليمهم تعليما رسميّا. وحين قوبلوا بالتّجاهل والمماطلة، أعلنوا الإضراب ... واهتزّت الحكومة لذلك فبذلت جميع الوسائل السلميّة والإرهابيّة لحلّ الإضراب فلم تفلح. وسعت في إصدار مراسيم ملكيّة بإجراءات استثنائيّة فامتنع جلالة الملك وهدّد بالاستقالة وأقيمت مظاهرة شعبيّة كبرى أمام القصر الملكي بحمام الأنف لتأييد جلالته في الموقف، وتوالت مظاهر التأييد الشعبي لحركة المدرسين وأضربت الأسواق التّجاريّة بالعاصمة واضطرّت الحكومة إلى النّزول عند رغبة المدرّسين فصدر تصريح رسمي بترسيمهم على النّحو الّذي أرادوا.»

محمد الفاضل ابن عاشور، ذكر سابقا، ص. 217

الوثيقة 11

مظاهرة 8 ماي 1945

«لأوّل مرّة في تاريخ تونس السّياسي ينزل أمراء البيت المالك التّونسي بملابسهم الرّسميّة فيتقدّمون أعظم مظاهرة وقعت في البلاد منذ نشأتها السّياسيّة وذلك بمناسبة يوم 8 مايو الّذي هو يوم انتصار الحلفاء في تونس ...
ما كادت تأتي السّاعة الثّانية بعد زوال هذا اليوم حتّى نزلت القوات الشعبيّة التّونسيّة في نظام كنظام الجند ... الأمراء في الطليعة يحيط بهم الزعماء ثمّ الأشراف والعلماء فطلبة الجامع الأعظم «جامع الزيتونة» فطلبة المعاهد الأخرى فالموظفون والتّجار والمزارعون والشغالون وبقيّة أفراد الشعب.
كانت الشّوارع مكتظّة بهذه المظاهرة ... اشترك فيها الكبار والصغار والنّساء ... وحاول البوليس منعها من أن تمرّ أمام سرادق الاحتفال حيث قادة جيوش الحلفاء ورجال السلك السّياسي ...
وما كادت تمرّ جموع الفرنسيين وغيرهم أمام السرادق وتضع أكاليل الزهور على قبر الجندي المجهول حتّى ابتدأت جموع التّونسيين تتدفق أمام تلك الهيئات الرسميّة من كافة الدول الجالسة في سرادق الاحتفال أمام السفارة الفرنسيّة فاندهشت تلك الهيئات أولا من مشاركة التّونسيين في هذا العيد مع أنّ الفرنسيين قالوا عنهم أنّهم من أتباع النّازيين والفاشستيين، ثانيا أبهرهم حسن النّظام والهدوء وهذه الكثرة الساحقة، وقد بقيت الجموع تمرّ أمامهم مدّة ثلثي ساعة هاتفة بالاستقلال والحريّة ورجوع الملك*.»

محي الدين القليبي : مأساة عرش، ذكر سابقا، ص. 89 و91 و92

محمد المنصف باي

* **الملك هو محمد المنصف باي** 1881–1948 : هو ابن محمد الناصر باي الّذي تعاطف مع الدستور القديم، تولّى العرش الحسيني خلال الحرب من جوان 1942 إلى ماي 1943 وكانت له مواقف وطنيّة :
– في أوت 1942 وجّه مذكرة إلى الحكومة الفرنسيّة طالب فيها بتأسيس مجلس تشريعي تونسي وبتولّي التّونسيين جميع المناصب الإداريّة وبإجباريّة التّعليم وتأميم المؤسّسات ذات المصلحة العامّة ...
– دعا إلى تحرير الوطنيين المعتقلين منذ حوادث أفريل 1938
– ألّف حكومة وطنيّة في جانفي 1943 دون استشارة المقيم العام الفرنسي وضمّت أعضاء من الأحزاب الوطنيّة وشخصيّات وطنيّة مستقلّة.
– منح الثّلث الاستعماري للموظّفين التّونسيين
ساهم المنصف باي في المصالحة بين العرش الحسيني والقوى الوطنيّة خلال فترة حكمه ثمّ بعد خلعه حيث تكوّنت ما عرف بالحركة المنصفيّة الّتي جمعت مختلف الوطنيين ودعت إلى إعادته إلى العرش وتواصلت حتّى وفاته في 1948.

الوثيقة 12 أ

مظاهرة نسائيّة بصفاقس في جانفي 1952 احتجاجا على المعاملات التعسفيّة إزاء الزعماء الوطنيين المعتقلين

الوثيقة 12 ب

مظاهرة فيفري 1952

«كانت المظاهرة الّتي قامت بها النّسوة التّونسيات يوم 15 فيفري 1952 من أروع مظاهر الوطنيّة ... ففي السّاعة الرّابعة بعد الظهر أحاط المتظاهرون ومعظمهم من النّسوة بالإقامة العامّة ... وعند وصولهنّ كان المفوض بالإقامة العامّة نازلا من سيارته ليدخل الإقامة، وفي تلك اللّحظة بالذّات رمت امرأة قنبلة يدويّة وفي الحين أتى أعوان البوليس في سيارة فرميت عليهم قنبلة ثانيّة فانفجرت السيّارة وجرح عونان ... واستشهدت إحدى الوطنيّات وجرحت أخرى ... وقد استخدم الجند أسلحة سريعة الطلقات فجرحوا عددا وافرا من التونسيين.»

علي البلهوان : تونس الثائرة، القاهرة، 1954

التعليمة

■ بالاعتماد على الوثائق (10-11-12) حدّد الفئات التّونسيّة الّتي انضمّت إلى الكفاح الوطني منذ الحرب العالميّة الثانيّة مبرزا أهميّة ذلك في تطوّر هذا الكفاح.

الوثيقة 13

مؤتمر الدستور القديم* السرّي سنة 1944

«انعقد فعلا المؤتمر الدستوري السرّي في شهر سبتمبر 1944 بمنزل الحكيم أحمد بن ميلاد وتقرّر فيه المطالبة بالاستقلال التام بيد أنّه نظرا لظروف الحزب أوكل المؤتمر إلى اللّجنة التّنفيذيّة للحزب اختيار الوقت المناسب للإعلان بهذا الطلب.»

محمد الحبيب شلبي : خلفيات مؤتمر الاستقلال، المجلّة التاريخيّة المغربيّة عدد 23–24، نوفمبر 1981، ص. 323

* أصدر من جديد جريدة "الإرادة" عام 1948 ثمّ جريدة «الاستقلال» Indépendance

إضاءات

تونسة الحزب الشيوعي : تطوّر نسبة التّونسة في اللّجنة المركزيّة للحزب (قيادته)

1939	1948	1956
%34	% 69	%86

– أعاد الحزب الشيوعي نشر صحف ناطقة باسمه بعد الحرب "مستقبل تونس" و"الطليعة"
– أسس منظّمات تابعة له : جامعة الفلاحين المنتجين، جامعة الصنايعيّة وصغار التجار بالقطر التّونسي، اتحاد نساء تونس، اتحاد فتيات تونس (1945) والاتحاد التّونسي للشباب الديمقراطي (1946)

من مظاهر صمود الدستور الجديد أمام القمع منذ أحداث أفريل 1938 : تركيز دواوين سياسيّة بصفة سريّة

الديوان السياسي	من أعضائه القياديين	تاريخ إيقاف القادة
الخامس	الباهي الأدغم، الهادي السعيدي الهادي خفشة ...	جانفي 1940
السادس	الحبيب ثامر، الطيب سليم ...	جانفي 1941
السّابع	رشيد ادريس، يوسف بن عاشور، صلاح الدين بوشوشة ...	جوان 1941
الثّامن	حسين التريكي، بلحسين جراد، سليمان آغة ...	أكتوبر 1941

الدستور الجديد :

التوزع الجغرافي للمنخرطين عام 1946

المناطق	عدد المنخرطين
الشمال، الشمال الغربي، الوطن القبلي	33 000
الساحل، الوسط	26 000
تونس العاصمة وأحوازها	26 000
الجنوب دون المنطقة العسكريّة	18 000
المنطقة العسكريّة بالجنوب	6 000

الأرقام تقريبيّة

تطور عدد المنخرطين والشعب

	الشعب	المنخرطون
مارس 1938	135	70 000
أوت 1946	180	100 000
ماي 1950	400	210 000

الأرقام تقريبيّة

أهمّ المنظّمات الوطنيّة الشعبيّة : عدد الفروع والمنخرطين في مطلع الخمسينات (الأرقام تقريبيّة)

المنظّمة	تاريخ تأسيسها	زعيمها	عدد النقابات القاعديّة	عدد الاتحادات الجهويّة	عدد المنخرطين
الاتحاد العام التّونسي للشغل	جانفي 1946	فرحات حشاد	260	10	55 000
الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة	أفريل 1948	فرجاني بلحاج عمار	312	13	50 000
الاتحاد العام للفلاحة التونسيّة	ماي 1950	ابراهيم عبد اللّه (كاتب عام)	104	14	250 000

فرحات حشاد 1914–1952

ينتمي إلى عائلة متواضعة تشتغل بالصيد البحري ببلدة العباسيّة بشمال جزر قرقنة، و لم يزاول تعلمه إلاّ بالمرحلة الابتدائيّة. عرف اليتم منذ صغر سنّه، ويبدو أنّه اشتغل بعد حصوله على شهادة انتهاء الدروس الابتدائيّة في سنة 1928 مع أحد الخواص بصفاقس. وفي سنة 1936 اشتغل بالشركة التونسيّة للنقل بالساحل ... في فرع صفاقس ثمّ ... في سوسة وفي نفس السنة انخرط بنقابة النقل التابعة لجامعة عموم العملة التابعة للكنفدراليّة العامة للشغل الفرنسيّة، ويبدو أنّه أحرز على ثقة الأمين العام للاتحاد الإقليمي لهذه الجامعة. وبعد إضراب شنّه العمال أطرد من عمله سنة 1938 من أجل نشاطه النقابي في أغلب الظنّ .. وفي أواخر سنة 1940، نجح في مناظرة فعمل بالأشغال العامّة في صفاقس ككاتب محتسب ... وأعاد بناء نقابات جامعة عموم العملة بعد 1943 ... وقد استفاد حشاد كثيرا من وجوده بالكنفدراليّة العامّة للشغل من ناحيّة تكوينه النّظري والعملي، إذ تمكّن هذا العصامي من التعبير أمام الجماهير ومن الكتابة، وهو يقرّ بأنّ على العامل التّونسي أن ينخرط في "كفاح مزدوج ضدّ رأس المال المستثمر من جهة وضدّ الاستعمار الغاشم من جهة ثانيّة»

عبد السلام بن حميدة الحركة النقابيّة الوطنيّة للشغيلة بتونس، دار محمد علي الحامي، صفاقس– تونس، 1984، ص. 144

الوثيقة 14

الاتحاد العام التونسي للشغل بحضرة سموّ الباي

«لقد تفضّلت الحضرة العليّة بقبول وفد من الاتحاد العام التونسي للشغل يوم الجمعة في 22 أوت بقصرها العامر بقرطاج تحت رئاسة الأخ فرحات حشاد الكاتب العام للاتحاد العام التّونسي للشغل.

هذا وقد أنصتت الحضرة العليّة طيلة ساعة كاملة بكلّ انتباه إلى البسطة الّتي ألقاها الوفد والّتي تدور حول المصائب الجمّة الّتي يلاقيها الاتحاد في أداء مهمّته النقابيّة وخاصّة منذ حوادث صفاقس ... كما بيّن أسباب الإضراب العام والقمع الوحشي الّذي لا مبرّر له والّذي كانت نتيجته 31 قتلى و150 جرحى ... وأعرب (جناب الباي) عن استنكاره المصيبة العظمى الّتي أصابت عائلات الضحايا بحوادث صفاقس الأخيرة وأكّد سموّه للوفد تأييده الكامل حتّى تتابع الحركة النقابيّة سيرها الاعتيادي مصرّحا بأنّ الاتحاد لا يمكن الشكّ في أدائه لمصلحة الشغّالين أحسن أداء حتّى تتحسّن أسباب عيش جماهير العملة وحتّى تتمّ النهضة الاجتماعيّة ببلادنا.»

مقال بجريدة "الحريّة" في 24 أوت 1947. فرحات حشاد : أحبك يا شعب، ذكر سابقا.

الوثيقة 15

كتب فرحات حشاد على صفحات مجلّة بلجيكيّة مقالا نقلته مجلّة "الندوة" ليوم 25 ديسمبر 1952

«... لذلك يجد العامل نفسه في المغرب والجزائر وتونس مضطلعا بمسؤوليتين يجب عليه تأديتهما : أوّلهما التحرر الاجتماعي وثانيهما التحرر الوطني.
فهو في الواقع لا يستطيع أن يحدّ نشاطه في المهمّة الأولى وحدها لأنّه يعتقد أنّه من المستحيل عمليّا أن يحقّق مطامحه في الحقل الاقتصادي وهو رازح تحت نظام سياسي يسيطر على البلاد ولا يعترف لشعبه بالحقوق الأوّليّة الّتي تتوفّر بها شروط الإنسانيّة.»

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق (13-14-15) والإضاءات

- ابرز المظاهر الدالة على استعادة الأحزاب الوطنيّة لحيويتها أثناء الحرب العالميّة الثانيّة وبعدها
- اذكر المنظّمات الجديدة الّتي أحدثها الوطنيون مبرزا مؤشّرات أهميتها الاقتصاديّة والسياسيّة
- بين الشرط الّذي حدّدته هذه المنظّمات لتحقيق أهدافها الخاصّة ؟
- انطلاقا من الوثيقة عدد (14) واعتمادا على مكتسباتك، بيّن المصاعب الّتي واجهت الاتحاد العام التّونسي للشغل في بداية نشأته وعوامل صموده. هل توفّرت مثل هذه العوامل للحركة النقابيّة التونسيّة في الطور السابق ؟ بيّن ذلك.

الوثيقة 16

مقتطفات من لائحة مؤتمر ليلة القدر أوت 1946

«إنّ المؤتمر الوطني التونسي المنعقد بتونس مساء 26 من شهر رمضان المعظّم (ليلة 27 رمضان) عام 1365 الموافق 23 أوت عام 1946 بعد ما درس حالة البلاد السياسيّة واستمع لمختلف الخطباء صادق بالإجماع على العريضة التاليّة :
يصرّح المؤتمر الوطني التّونسي بأنّ الحماية نظام سياسي واقتصادي لا يتّفق مطلقا مع مصالح الشعب التونسي الحيويّة ولا مع حقّه في التمتّع بسيادته ويؤكّد أنّ هذا النّظام الاستعماري بعد تجربة خمس وستين سنة قد حكم على نفسه بالإخفاق ويعلن عزم الشعب التونسي الثّابت على السعي في استرجاع استقلاله التّام وفي الانضمام لجامعة الدول العربيّة ومجلس الأمم المتّحدة والمشاركة في مؤتمر السلم.»

المجلّة التّاريخيّة المغربيّة، العدد 23–24، نوفمبر 1981، ص. 334.

الوثيقة 17

مقتطفات من اللائحة العامة للمؤتمر الثالث للاتحاد العام التونسي للشغل المنعقد في أفريل 1949

«يطالب بتحقيق رغائب الشغالين المنصوص عليها في برنامج العمل الّذي سطّره المؤتمر وخاصة بالمطالب الأساسيّة القائم عليها هذا البرنامج والّتي تقتضي قبل كلّ شيء :

1– حلّ المجلس الكبير وتعويضه بمجلس وطني منتخب انتخابا حرّا مباشرا يمثّل جميع طبقات الشعب ويكون مجلسا نيابيا حقيقيا غير منقوص النفوذ ولا النظر.

2– تكوين وزارة تونسيّة حقيقيّة غير صوريّة كاملة النّفوذ والتصرّف الفعلي على قاعدة النظم الديمقراطيّة.

3– إصدار قانون تونسي للوظيف العمومي يحترم مقررات مؤتمر الجامعة للمتوظّفين التّونسيين الّذي طالب بتونسة الوظيفة جنسيّة وتعريبها لغة.

4– إنشاء مجلس اقتصادي قومي يشرف بصفة عامّة على اقتصاد البلاد ويقوم بتسطير البرامج اللاّئقة ويكون فيه تمثيل حقيقي للطبقة الشغيلة..

6– تأميم الشركات الكبرى وجميع المصالح والمعامل ذات المصلحة العامّة والضروريّة لاقتصاد البلاد كالمناجم والغاز والتيّار الكهربائي وآبار النفط وشركات النقل والأراضي الفلاحيّة الكبرى.

7– تحسين القوانين الاجتماعيّة وذلك بتطبيق نظام الأمن الاجتماعي وتعميم تطبيق التشريع الاجتماعي الحالي على جميع الشغالين بدون استثناء ... وبتحوير نظام الشغل للفلاحة وبتحسين نظام المنح العائليّة بالزيادة في مقدارها ...

8– تمكين الطبقة العاملة من التمتع التام بالحريات النقابيّة والحقوق الاجتماعيّة العامة وباحترام حقّ الإضراب

9– مقاومة البطالة مقاومة ناجعة بالاعتراف بحقّ الشغل كحقّ طبيعي ...

10– رفع المستوى الاجتماعي للشعب بجعل التعليم إجباريا على جميع الأطفال وبتحسين وتوسيع التعليم الصناعي ...»

جريدة الحريّة ليوم 24 أفريل 1949

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقتين (16-17)

- صنّف المطالب الوطنيّة ووضّحها
- قارن بين مطالب برنامج الطور السّابق وهذه المطالب.

الوثيقة 18

مؤتمر الثمانين أو الجبهة الوطنيّة عام 1944

«انعقد مؤتمر وطني يمثّل مختلف اتجاهات الشعب التونسي للنظر فيما يتطلّبه هذا الشعب وما يصبوا إليه من الأنظمة الديمقراطيّة الّتي تتماشى مع درجة رقيّه. وبعد مناقشة هامّة دارت بين الحاضرين* تمّ الاتفاق بالإجماع – نظرا للحالة الراهنة – على حصر الطلب الآن في مبدأ الاستقلال الداخلي المعبّر عنه بالسلف قوفرنمانت على أن يكون تونسيّا ديمقراطيا يعيّن شكله من طرف هيئة منتخبة بالاستشارة الشعبيّة.»

محمد الحبيب شلبي : خلفيات مؤتمر الاستقلال، المجلّة التاريخيّة العدد 23–24 نوفمبر 1981، تونس، ص.325

* ضمّ المؤتمر أعضاء عن الحزبين الدستوريين وشخصيات وطنيّة وأعضاء من المجلس الكبير (الطاهر بن عمار نائب رئيس القسم التونسي في المجلس الكبير، محمد بن رمضان عضو المجلس الكبير، محمد بدرة عضو الحجرة التجاريّة) ووزراء سابقين مثل محمد شنيق وعبد العزيز الجلولي (قايد) وشيخ المدينة سابقا.

الوثيقة 19

محضر جلسة مؤتمر ليلة القدر 23 أوت 1946

«انعقد المؤتمر الوطني العظيم تلبيّة لدعوة اللجنة التنفيذيّة للحزب الحر الدستوري التّونسي ممثلة في شخص رئيسها حضرة صاحب السعادة الأستاذ صالح فرحات المحامي بتونس ووزير العدل سابقا ودعوة الديوان السياسي للحزب المذكور ممثلا في شخص رئيسه المحترم الأستاذ صالح بن يوسف المحامي بتونس.
وقد تمثّلت جميع جهات البلاد التونسيّة وجميع طبقات الشعب في هذا المؤتمر العظيم بواسطة حضرة الوزراء السابقين ورؤساء الجامعات والشعب الدستوريّة وممثلي الجمعيات والهيئات العاملة في الميادين العلميّة والأدبيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والرياضيّة والنقابات واتحاد الشغل التونسي العام وممثلي علماء الدّين والمثقفين من محامين وأطباء ومهندسين وأساتذة التعليم الدّيني والعالي والثّانوي والابتدائي الحكومي والحر وممثلي الموظفين المباشرين والمحالين على المعاش والمزارعين والتجّار والصنّاع والمهن الحرّة والأعيان»

المجلة التاريخيّة، العدد 23–24. نوفمبر 1981. تونس، ص. 337

إضاءات

لجنة الأربعين أسّسها محمد الأمين باي ضمّت ممثلين عن الرأي العام التونسي وعن المنظّمات الوطنيّة أهمّها الحزبين الدستوريين والاتحاد العام التونسي للشغل للنظر في الإصلاحات الفرنسيّة وقد رفضت اللّجنة إصلاحات المقيم العام "دي هوتوكلوك"

التعليمة

■ حدّد حسب الوثائق (11-14-18-19) والإضاءات صيغ تكتّل القوى الوطنيّة ومناسباتها.

الوثيقة 20

البنود السبعة الّتي أعلن عنها بورقيبة في باريس في 15 أفريل 1950

«1– بعث السلطة التنفيذيّة التونسيّة المؤتمنة على السيادة التّونسيّة

2– تشكيل حكومة تونسيّة بحتة مسؤولة عن النّظام العام يرأسها وزير أكبر معين من لدن الأمير، ويتولّى الأمير رئاسة مجلس الوزراء بصفة كونه رئيس الدولة.

3– حذف الكتابة العامّة المشرفة على كافة الإدارات والماسكة بالفعل لكامل السلطة الإداريّة في البلاد

4– حذف المراقبين المدنيين

5– حذف الجندرمة الفرنسيّة

6– تأسيس بلديات منتخبة تمثّل فيها المصالح الفرنسيّة، في جميع المناطق الموجودة فيها أقليّات فرنسيّة

7– إحداث مجلس قومي منتخب بالانتخاب العام، مهمّته الأولى إعداد دستور ديمقراطي يضبط العلاقات الفرنسيّة التونسية في المستقبل على قاعدة احترام مصالح فرنسا الشرعيّة مع احترام السّيادة التونسيّة.»

الحبيب بورقيبة : بن تونس وفرنسا، ذكر سابق، ص 277–278.

الوثيقة 21

من خطاب لبورقيبة في باريس في 31 جويلية 1950

«سيّدات، سادتي،

قبل الرّجوع إلى بلادي رأيت أن أودّع جميع الّذين أعانوني – من نوّاب بالجمعيّة القوميّة أو بمجلس الشّيوخ ومستشارين بمجلس الجمهوريّة وصحفيين وسياسيين – على بسط القضيّة التّونسيّة لدى الرأي العام الفرنسي ... فقد استطاع الحزب الدستوري أن يضمّ في صفوفه ويجمع حوله كافة طبقات الأمّة، من أعيان وعمّال ومتوسطي الحال، زيادة على سمو الباي الأمير الشرعي للبلاد، الّذي تفضّل بالإعلان عن تضامنه معي في برقية وجّهها إليّ ونشرتها الصحافة الفرنسيّة.

وبعد ذلك ببضعة أيّام حلّ بباريس وفد من القسم التّونسي بالمجلس الكبير، وعلى رأسه السيّد الطّاهر بن عمار، رئيس ذلك القسم، لتأييد عملي.

وقد نقلت الصّحافة الفرنسيّة تصريحات السيّد الطّاهر بن عمار، الّتي يطالب فيها بلهجة الشدّة بإرجاع السّيادة التّونسيّة إلى نصابها.

وقد وافقت الحجرة الفلاحيّة التونسيّة على لائحة في ذلك المعنى، تنفي كلّ حقّ للجالية الفرنسيّة في المشاركة في السّيادة بالبلاد التونسيّة،

"حيث لا مجال إلاّ لسيادة واحدة هي السيادة التونسيّة"، على حدّ عباراتها.
أمّا منظّمتنا النقابيّة الكبرى، الاتحاد العام التّونسي للشغل، فإنّها وجّهت إليّ بباريس، على طريق كاتبها العام فرحات حشّاد، تأييد الطبقة الشغيلة التونسيّة.
وفي تونس أصدر المؤتمر السّنوي للاتّحاد العام للفلاحة التونسيّة ومؤتمر الاتحاد العام للصناعة لائحتين حازمتي اللهجة في الصدوع بعزمهما على تأييد الحزب الدستوري.
إنّ إجماعا كهذا لم يتخلّف أن كان له على الرأي الفرنسي وقع كبير بعد التأثير الّذي أدخله عليه اعتدال برنامجي ذي البنود السبعة.»

المصدر السابق، ص. 282–285–286

الوثيقة 22

تصريح المقيم العام الجديد "بيريلي" Périllier بإذاعة تونس، عن صحيفة النهضة 13 جوان 1950

«في السّاعة الّتي أتقلّد فيها المنصب (مقيم عام بتونس)الّذي عهدت به لي حكومة الجمهوريّة، أريد أن أتوجّه مباشرة إليكم ... وأبيّن لكُم الإجراءات الّتي قرّرت حكومة الجمهوريّة تحقيقها أو إعدادها باتفاق مع الحضرة العليّة ... ومن الإنصاف أن تسير البلاد التونسيّة بواسطة تغييرات تدريجيّة في مؤسساتها نحو حكم ذاتي داخلي ... تلك هي الأهداف التي سوف أواصل السعي لإنجازها معتمدا على موافقة حكومة الجمهوريّة وعلى تأييد سموّ الباي المعظم.»

المصدر السابق، ص. 219–224–255

إضاءات

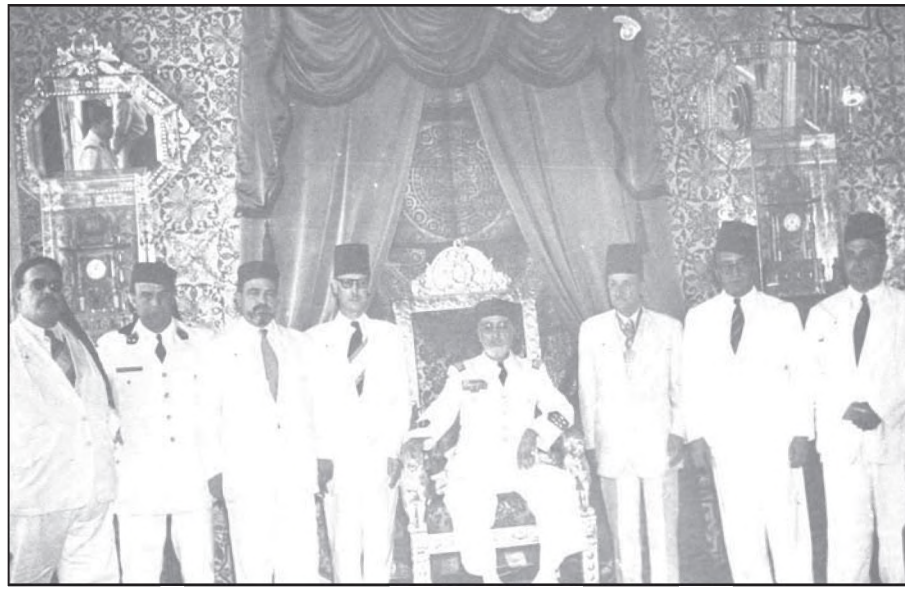

أعضاء حكومة محمد شنيق التفاوضيّة صحبة الأمين باي : أوت 1950 – مارس 1952

من اليسار إلى اليمين محمد سعد اللّه – الدكتور بن سالم – محمد صالح مزالي – الدكتور الماطري – الأمين باي – محمد شنيق – صالح بن يوسف (عن الدستور الجديد) – محمد بدرة.

التعليمات

- بالاعتماد على الوثيقة [20] ابرز أوجه الاعتدال في البنود السبعة الّتي تقدّم بها بورقيبة إلى فرنسا مقارنة بمقررات مؤتمر ليلة القدر.
- بيّن بالاعتماد على الوثيقتين [21–22] والإضاءات كيف تفاعلت جلّ القوى الوطنيّة والحكومة الفرنسيّة مع هذه المطالب.

الوثيقة 23

شكوى الحكومة التونسيّة إلى مجلس الأمن (14 جانفي 1952)

«حضرة رئيس مجلس الأمن،

أتشرّف بأن أرغب منكم أن تتفضّلوا برفع شكوى الحكومة التّونسيّة بشأن النّزاع القائم بينها وبين الحكومة الفرنسيّة.

وإنّ الصعوبات النّاتجة عن عدم تنفيذ فرنسا لتعهّداتها قد حالت بين الوزارة التّونسيّة وبين القيام بالمهمّة الّتي أنيطت بعهدتها ...

وعرضت الحكومة التّونسيّة في مذكّرة بتاريخ 31 أكتوبر 1951 شروط تحقيق الاستقلال الدّاخلي الّذي وعدت به فرنسا ...

وقد أجابت الحكومة الفرنسيّة بالرفض في مذكّرة بتاريخ 15 ديسمبر 1951 ... (حيث) أكّدت في جوابها ضرورة «مشاركة فرنسيي تونس – وهي جالية أجنبيّة – في تسيير المؤسّسات السياسيّة بتونس» وإنّ هذا الموقف المخالف للقانون الدولي يناقض مناقضة جليّة ما جاء في معاهدة 12 ماي 1881 ...

وترغب منكم الحكومة التونسيّة، اعتمادا على الفصل 32 أن تتفضلوا بالسماح لها بالمشاركة في المناقشة الخاصّة بذلك النّزاع.»

رئيس مجلس الوزراء للحكومة التونسيّة، محمد شنيق.

المعركة الحاسمة : 18 جانفي 1952. نشر كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، ص. 53

إضاءات

بعض الإضرابات العامة بتونس في الخمسينات

تاريخ الإضراب	أهدافه	القائمون به	من مميزاته
21 نوفمبر 1950	إضراب عمال هنشير النفيضة دفاعا عن حقوقهم	اتحاد الشغل	5 قتلى و12 جريحا من العمال
5 جانفي 1950	إضراب عمال الفلاحة "بوتنفيل" دفاعا عن حقوقهم	اتحاد الشغل	9 شهداء من المضربين
29 نوفمبر 1951	إضراب وطني ضدّ محاولات الجاليّة الفرنسيّة إفشال مفاوضات الحكم الذّاتي	مختلف الأطراف الوطنيّة	
ديسمبر 1951	إضراب وطني احتجاجا على مذكّرة 15 ديسمبر 1951 الفرنسيّة	مختلف الأطراف الوطنيّة	
فيفري 1952	إضراب عام	اتحاد الصناعة والتجارة	دام 15 يوما
مارس 1952	إضراب عام		دام 12 يوما

المقاومة المسلّحة : حركة "الفلاقة" : برزت منذ ربيع 1952، ضمّت ما يقارب 3000 مقاوم اعتمدوا حرب العصابات، من قادتهم الطاهر الأسود والأزهر الشرايطي وساسي الأسود وحسن عبد العزيز ومصباح جربوع... أنهى جلّ المقاومين نشاطهم المسلّح عندما بدأت المفاوضات التّونسيّة – الفرنسيّة حول الحكم الذاتي في 1954–1955

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقة [23] والإضاءات،

- هل نجحت المفاوضات التونسيّة الفرنسيّة حول الحكم الذّاتي ؟ بيّن ذلك واذكر أسبابه.
- ابرز ردود فعل الشعب التّونسي على ما آلت إليه تلك المفاوضات وطرائق النّضال الّتي اعتمدها.
- قارن بين هذه الطرّائق والطّرائق الّتي اعتمدها في الطور الأوّل.

إضاءات

الهادي شاكر : اغتيل في 13 سبتمبر 1953 من قبل منظّمة اليد الحمراء الإرهابيّة الفرنسيّة بعد أن اغتالت فرحات حشاد في 5 ديسمبر 1952

من مظاهر القمع الفرنسي للتونسيين

الوثيقة 24

رفض الحزب الدستوري لإصلاحات فوازار* (1954) :
من اللائح السّياسيّة للمجلس الملي للدستور الجديد

«إنّ المجلس الملّي المتسع للحزب الحرّ الدستوري التّونسي المنعقد في 2 أفريل 1954 بعد استعراض الكفاح القومي الّذي قام به الحزب في طليعة الشعب التّونسي من يوم 18 جانفي 1952 ردًا لفعل سياسة التعسّف والبأس الّتي كان ضحيتها عدّة من الشهداء سقطوا في ميدان الشرف وفي مقدّمتهم الزعيمان فرحات حشاد والهادي شاكر.
وحيث أنّ إصلاحات 4 مارس 1954 .. قد نالت من السّيادة التّونسيّة وأشركت الفرنسيين المقيمين بتونس عملا بمكتوب 15 ديسمبر 1951 الذي نشأت عنه الأزمة الأخيرة
يعلن معارضة الحزب الصريحة (لهذه الإصلاحات) ...»

الصباح 3 **أفريل** 1954. عبد الكريم عزيز : نضال شعب أبي، تونس 1881–1956. مركز النشر الجامعي، تونس، 2001. ص. 580–581

* فوازار هو المقيم العام الجديد الّذي عوّض دي هوت كلوك وبقي في مهمته من 1953 إلى 1954. وتمثّلت إصلاحاته في منح التّونسيين الأغلبيّة في مجلس الوزراء إلحاق الكتابة العامّة للحكومة بالوزير الأكبر وإحداث مجلس تشريعي تونسي يتكوّن من 45 عضوا يضاف إليهم عدد مماثل من النّواب الفرنسيين

التعليمة

■ بالاعتماد على الوثيقة (25) والإضاءات، بيّن ردود فعل السلطات الفرنسيّة إزاء تطوّر الحركة الوطنيّة وموقف الوطنيين منها.

النشاط الثّالث أتعرف إلى حصيلة النّضال الوطني

الموارد

إضاءات

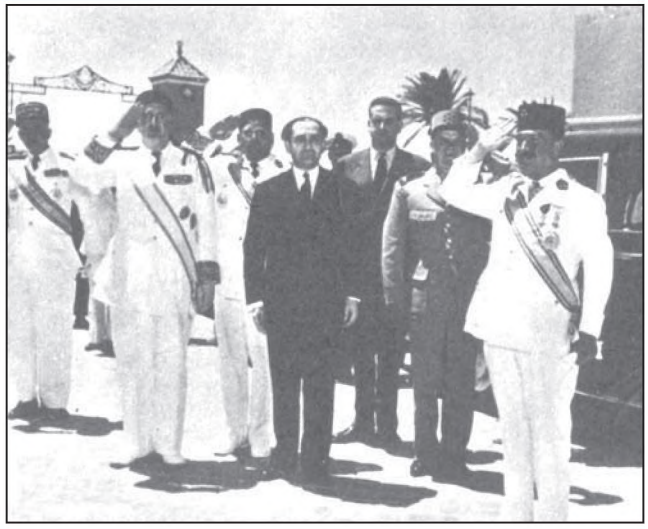

منداس فرانس رئيس الحكومة الفرنسيّة يحل بتونس في جويلية 1954 ويعلن في قرطاج أمام محمد الأمين باي : «فالاستقلال الدّاخلي للدولة التّونسيّة تعترف به الحكومة الفرنسيّة ... وعليه فإنّنا على استعداد لنقل مقاليد السّيادة الداخليّة إلى تونسيين وإلى مؤسّسات تونسيّة.»

ورد في كتاب : في النّصر : 1955، نشر كتابة الدولة للاخبار والإرشاد، ص. 21–26

الوثيقة 25

فصول من اتفاقيّة الاستقلال الداخلي المبرمة بين تونس وفرنسا في 3 جوان 1955 :

«**الفصل الثّاني** : يبقى العمل جاريا بالمعاهدة المبرمة في 12 ماي 1881 ... وبالاتفاقيات المبرمة منذ ذلك التاريخ بين الجمهوريّة الفرنسيّة وجلالة باي تونس، أمّا المادّة الأولى من اتفاقيّة المرسى فقد نسخت.

الفصل الرابع : منذ التّاريخ الّذي تتمّ فيه المصادقة على هذه الاتفاقيات تعترف فرنسا وتعلن الاستقلال الدّاخلي لتونس الّذي لا يكون له من الحدود والتحديد إلاّ ما تنصّ عليه هذه الاتفاقيات والاتفاقيات الجاري بها العمل الآن باعتبار أنّ من المتّفق عليه أنّ شؤون الدّفاع والسّياسة الخارجيّة تبقى على حالتها الرّاهنة ويبقى العمل بها جاريا كما كان ذلك إلى يومنا هذا.

الفصل السّابع : اللّغة العربيّة هي اللّغة الوطنيّة الرسميّة للبلاد التونسيّة واللّغة الفرنسيّة لا تعتبر لغة أجنبيّة في تونس»

الصباح 12 جوان 1955

الوثيقة 26

من خطاب ألقاه بن يوسف في العاصمة أدلى فيه برأيه حول اتفاقيات الحكم الذّاتي

«لقد قلت وأعيد القول الآن، إنّ الاتفاقيات هي خطوة إلى الوراء ... لا شكّ أنّنا كنّا نعيش من قبل تحت حكم استبدادي ... لكنّنا كنّا أحرارا في المطالبة بحقوقنا. إنّ أنصار الاتفاقيات، من أجل أن يرفرف علم تونس فوق المؤسسات العموميّة ومن أجل تكوين حكومة تونسيّة مستقلّة قد فرّطوا في معظم مطالبنا (الوطنيّة) ... ففرنسا هي الّتي تمثّلنا في الخارج وهي الّتي تملك حقّ تكوين جيش مهما كان عدده. ومن النّاحيّة الاقتصاديّة سنبقى نعيش تحت رحمة فرنسا وصدقاتها ... وفي حالة حرب ضدّ إخواننا الجزائريين والمغاربة يمكن لفرنسا استغلال الأماكن الاستراتيجيّة ... داخل التراب التّونسي. فهل التخلّي عن حقوقنا الأساسيّة يمثل خطوة إلى الأمام ؟..»

جريدة Le Petit Matin 18 أكتوبر 1955

صالح بن يوسف صحبة بورقيبة في تونس في سبتمبر 1955

إضاءات

عودة الحبيب بورقيبة إلى تونس يوم 1 جوان 1955 بعد نجاح المفاوضات التّونسيّة الفرنسيّة حول الحكم الذّاتي

من خطاب بورقيبة في القيروان في 30 أكتوبر 1955 : «بفضل الحكم الذّاتي صار بإمكاننا اليوم تكوين حكومة وانتخاب برلمان ومجالس بلديّة دون الخضوع إلى المراقبين المدنيين والكاتب العام للحكومة وغيرهم من موظفي وأعوان السلطات الاستعماريّة الّذين كانوا يديرون شؤون بلادنا إدارة مباشرة. وصارت (الأشغال العامّة والماليّة والتعليم وغيرها ...) من مشمولات السّلطات التّونسيّة. إنّ السيّد بن يوسف عندما ينصّب نفسه عدوا لدودا للاتفاقيات وداعية عنيدا من أجل الاستقلال التّام والعاجل من حقّنا أن نسأله عن القوّة الّتي يملكها لتحقيق هذا الهدف. نحن على استعداد لاتباعه إذا كانت القوّة الّتي يملكها بإمكانها أن تحقق لنا النّصر الحاسم في المعركة، لكن لا شيء من هذه القوّة، فالحجة الرئيسيّة الّتي يستعملها هي أنّ الجزائر والمغرب يواصلان النّضال ...»

ورد في كتاب تاريخ الحركة الوطنيّة التونسيّة، وثائق 15.3. الاستقلال، دار العمل، تونس، 1979

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقتين (25-26) والإضاءات،

- بيّن تطوّر الموقف الفرنسي من المطالب الوطنيّة
- بيّن مختلف ردود فعل القوى الوطنيّة من الاتفاق الفرنسي – التّونسي 3 جوان 1955

الوثيقة 27

البروتوكول التّونسي – الفرنسي 20 مارس 1956

«... وبناء عليه :

تعترف فرنسا علانيّة باستقلال تونس.

وينجم عن ذلك :

أ– أنّ المعاهدة المبرمة بين فرنسا وتونس يوم 12 ماي 1881 لا يمكن أن تبقى تتحكّم في العلاقات الفرنسيّة التّونسيّة.

ب– أنّ أحكام اتفاقيات جوان 1955 الّتي قد تكون متعارضة مع وضع تونس الجديد وهي دولة مستقلّة ذات سيادة سيقع تعديلها أو إلغاؤها.

وينجم عن ذلك أيضا :

ج– مباشرة تونس لمسؤولياتها في مادّة الشؤون الخارجيّة والأمن والدّفاع وكذلك تكوين جيش وطني تونسي.

حرر بباريس في نسختين يوم 20 مارس 1956

عن فرنسا	عن تونس
كريستيان بينو*	الطّاهر بن عمار**

* وزير خارجيّة فرنسا

** رئيس الحكومة التّونسيّة

الصباح 21 مارس 1956

التعليمة

- بيّن الحصيلة النهائيّة للكفاح الوطني حسب هذا البروتوكول.

أستخلص

المقدمة :

مع اندلاع الحرب العالميّة الثانيّة وما تولّد عنها من نتائج دوليّة ومحليّة دخلت الحركة الوطنيّة التونسيّة الحديثة مرحلتها الثّانيّة الّتي بلغت فيها درجة عالية من النّضج والاكتمال على مختلف الأصعدة ودفعتها إلى التجذّر وانتزاع الاستقلال الدّاخلي ثمّ الاستقلال التّام في مارس 1956. ففيم تمثّلت الظّروف الّتي ساعدت الحركة على بلوغ مرحلة النّضج ؟ وما مظاهر هذا النّضج ؟ وما حصيلة النّضال الوطني في هذه المرحلة ؟

I – ظروف داخليّة ودوليّة ملائمة لنضج الحركة الوطنيّة وتجذّرها :

1ـ الظروف الدّاخليّة : [1ـ2ـ3ـ4] : شكّلت الظروف الدّاخليّة عاملا أساسيّا لنضج الحركة الوطنيّة.

أ– تردّي أوضاع التونسيين الاقتصاديّة والاجتماعيّة خلال الحرب وبعدها :

■ *مظاهر أساسيّة لتردّي الوضع الاقتصادي*

تمثّلت في الأضرار الّتي لحقت التجهيزات والأراضي الفلاحيّة وتراجع الإنتاج المنجمي خلال الحرب إضافة إلى الاختلال المتزايد بين النّمو الديمغرافي والنّمو الاقتصادي وخضوع الاقتصاد بصفة واضحة إلى التقسيم الاستعماري للعمل (إنتاج المواد الخام دون تصنيعها) وإلى التبادل غير المتكافئ مع الدول الصناعيّة وتفاقم عجز الميزان التّجاري.

■ *مظاهر تردّي الوضع الاجتماعي للتونسيّين*

– انتشار البطالة واشتداد النّزوح الرّيفي وتواضع القدرة الشرائيّة وعدم مواكبتها لارتفاع الأسعار مع تفشّي المجاعة.

– تفاقم التفاوت بين التّونسيين من جهة والجاليات الأوروبيّة والفرنسيّة من جهة أخرى في التعليم والصحّة والتغذيّة ...

دفع هذا الوضع مختلف القوى الاجتماعيّة التونسيّة إلى التصدّي إلى النّظام الاستعماري وفي طليعته القوى العصريّة.

ب– تعزيز القوى الاجتماعيّة العصريّة والنهضة الثقافيّة :

■ *تعزيز القوى العصريّة التونسيّة*

ازدادت هذه القوى حجما ووزنا في الاقتصاد والمجتمع التونسيين مع توسّع الأنشطة العصريّة وتجذّر وعيها الوطني، أكان ذلك لدى رجال الأعمال أو الموظفين والمثقفين والعمال فضلا عن الشباب والنّساء، وأصبحت في طليعة القوى المنادية بالاستقلال.

■ *بوادر نهضة ثقافيّة*

تجلّت هذه البوادر في عدّة مظاهر منها تطوّر تعليم التونسيين ... وتطوّر الصحافة فبلغ عدد الجرائد والمجلاّت الجديدة الّتي ظهرت بعد الحرب الـ80. وبروز نخبة من المثقفين شرعوا في بناء ثقافة وطنيّة متجذّرة في تراثها العربي والإسلامي ومتفتّحة على الفكر الإنساني وملتصقة بمشاغل التونسيين، شملت كافة مجالات الفكر والأدب والفنون.

2– الظروف الدوليّة : [5ـ6ـ7ـ8ـ9]

يمكن حصرها في أمرين هامّين :

أ– انتصار مبدأ حقّ الشعوب في تقرير المصير.

أصبح أسّا من أسس النّظام الدولي الجديد المنبثق عن الحرب، إذ تبنّته منظّمة الأمم المتّحدة وعاضدته الجامعة العربيّة والقوّتان العظيمتان الأمريكيّة والسوفياتيّة، ونالت بفضل ذلك عدّة دول عربيّة وآسيويّة استقلالها.

مكّن هذا الوضع الدولي الجديد الوطنيين من كسر العزلة الّتي أحاطت بنضالهم في الطور السّابق ومن إنهاء مواجهة فرنسا وجها لوجه دون سند دولي.

ب- انكسار فرنسا السّياسي وتصلّب موقفها الاستعماري.

■ *انكسارها سياسيّا وتراجع وزنها الدولي.*

بدأ ذلك بهزيمتها أمام ألمانيا النازيّة في جوان 1940 ثمّ في عجزها عن التحكّم في إمبراطوريتها الاستعماريّة الّتي أخذت في التفكّك بسبب تدخّل المحور أثناء الحرب ثمّ الحلفاء (خاصّة البريطانيين والأمريكيين)، فاهتزّت بذلك مكانتها العالميّة كقوّة كبرى وتفاقم الأمر مع اشتداد الحرب الباردة فانكشف وهنها وتجرّأت شعوب المستعمرات – مثل الشعب التونسي – على تحدّيها.

■ *تصلّب موقفها الاستعماري*

على عكس الواقع الدولي المناصر لحقّ الشعوب في تقرير المصير، سعت فرنسا إلى المحافظة على إمبراطوريتها الاستعماريّة بكافة الوسائل، ففي تونس، بعد سياسة الترويع والانتقام الّتي مارستها ضدّ التونسيين بتهمة التعاون مع المحور خلال الحرب والّتي بلغت ذروتها بإزاحتها في ماي 1943 للمنصف باي – الباي الوطني ذي النزعة الاستقلاليّة – حاولت الالتفاف على إرادة الشعب التونسي في التحرر بإجراء إصلاحات شكليّة (إصلاحات المقيمين "ماست" و"مونس") اندرجت في إطار مشروع "الاتحاد الفرنسي"، حيث رغم توسيعها لمشاركة التونسيين في إدارة البلاد فقد بقي النفوذ بيد الكاتب العام للحكومة والمقيم العام.

ساهمت هذه العوامل الخارجيّة والداخليّة في اكتساب الحركة الوطنيّة درجة عاليّة من النضج والاكتمال.

II – مظاهر النّضج والتجذّر وردود فعل فرنسا إزاء الحركة الوطنيّة :

1– مظاهر النضج والتجذّر

أ- استقطاب النّضال الوطني لفئات جديدة : [10–11–12]

من هذه الفئات مدرّسو جامع الزيتونة وأفراد العائلة الحسينيّة المالكة والقوى الّتي كانت معروفة بولائها للاستعمار مثل العديد من أعضاء المجلس الكبير، فضلا عن النّساء ... فانحسرت بذلك رقعة الموالين لنظام الحماية، وهو ما سعت إليه الأحزاب الوطنيّة في الطور الأوّل ونجحت فيه إلى حدّ كبير في هذا الطور الثّاني.

وازدادت هذه الظّاهرة أهميّة مع استعادة المنظّمات الوطنيّة لحيويتها وبناء منظمات شعبيّة ومهنيّة جديدة.

ب- إنشاء منظّمات وطنيّة عتيدة : [13–14–15]

■ *إعادة بناء الأحزاب الوطنيّة وتعزيزها*

استعاد الدستور القديم حيويّته رغم تقلّص عدد منخرطيه، وسعى الحزب الشيوعي التّونسي من جهته إلى توسيع نشاطه، أمّا الحزب الدستوري الجديد فقد برهن على قدرة فائقة على الصمود رغم القمع الشديد الّذي تعرّض له منذ أحداث أفريل 1938 وأحكم تنظيم هياكله (إحداث جامعات دستوريّة وخطّة مدير الحزب ...) ووسّع قاعدة منخرطيه ليصبح أهمّ تنظيم سياسي على السّاحة الوطنيّة.

■ *إنشاء منظّمات شعبيّة وطنيّة جديدة.*

ظهرت فكرة تكوين مثل هذه المنظّمات في الطور الأوّل فأحيى الوطنيون بذرتها في هذا الطور الثّاني لتشمل كافة فئات المجتمع التّونسي ولعلّ أهمّ هذه المنظّمات هي الاتحاد العام التّونسي للشغل وعلى رأسه فرحات حشاد والاتحاد العام للفلاحة التّونسيّة والاتحاد التّونسي للصناعة والتّجارة وصوت الطالب الزيتوني (1949) والاتحاد العام لطلبة تونس (1953) والمنظّمات الكشفيّة والنسويّة ...

وخلافا للمرحلة السّابقة، صمدت هذه المنظّمات ضدّ القمع الاستعماري، مثل صمود الاتحاد العام التونسي للشغل في أحداث 5 أوت 1947 بصفاقس.

وربطت هذه المنظّمات بصفة صريحة أهدافها المهنيّة الخاصّة بالأهداف الوطنيّة العامّة (استقلال تونس) مجسّمة بذلك الترابط بين وجهي النّضال الوطني السّياسي منه والنّقابي.
وازداد هذا النّضج اكتمالا ببلورة هذه المنظّمات لمشروع وطني أكثر عمقا رفع شعار الاستقلال.

ج- بلورة المشروع الوطني : الاستقلال : من هدف مضمر وبعيد المنال إلى هدف معلن وقابل للتحقيق [16-17] .
أهمّ العناصر الّتي اشتمل عليها هذا المشروع هي :
■ *الاستقلال :* أصبح هدفا معلنا وقابلا للتحقيق خلافا لما كان عليه الأمر في الطور السابق، وصار مطلب الاستقلال منذ "مؤتمر ليلة القدر" مطلبا جامعا لكافة الفصائل الوطنيّة.
■ إقامة حكم ملكي دستوري ديمقراطي يرتكز على الفصل بين السلطات الثّلاث وتكون فيه الحكومة مسؤولة أمام برلمان منتخب عن طريق الاقتراع العام ويقرّ الحريّات العامّة والفرديّة.
■ استعادة التّونسيين التحكّم في مقدرات البلاد الاقتصاديّة.
■ تحديث المجتمع بنشر التّعليم وتعصيره والنّهوض بالمرأة ... وجعل اللّغة العربيّة لغة البلاد الرسميّة في التعليم والإدارة والحفاظ على الهويّة العربيّة الإسلاميّة للشعب التّونسي ...
شاركت مجمل المنظّمات الوطنيّة في بلورة هذا المشروع، ولئن ركّزت الأحزاب السياسيّة على بعده السّياسي فقد أكّدت المنظّمات الشعبيّة المهنيّة على جوانبه الاقتصاديّة والاجتماعيّة ...
احتاج تحقيق هذا المشروع الطموح إلى تضافر القوى الوطنيّة وهو مظهر آخر بارز لمدى نضج الحركة الوطنيّة في هذا الطور.

د- توحّد الصفّ الوطني [11-14-18-19]
شكّل الوطنيون أطرا مشتركة تبنّت أهدافا سياسيّة واحدة، ("الجبهة الوطنيّة"، "مؤتمر الاستقلال أي مؤتمر ليلة القدر") ... وخاضوا نضالات موحّدة في عدّة مناسبات، ومتّنوا العلاقة بينهم وبين العرش الحسيني (مع المنصف باي ثمّ محمد الأمين باي). وتجاوزوا إلى حدّ تلك الصراعات الّتي استفحلت بينهم في الطور السّابق فتمكّنوا من التصدّي للمقمع الاستعماري ومن إفشال مناوراته.
فدخلت العلاقات الفرنسيّة – التونسيّة مع نهاية الأربعينات في طريق مسدود، وتفطّن الوطنيون إلى ضرورة وضع خطّة نضاليّة متكاملة بدل الاكتفاء بمجرّد ردود الفعل، وهو ما دلّ على درجة النضج الّتي بلغتها حركتهم.

هـ- وضع خطّة نضاليّة ناجعة [20-21-22-23]
اعتمد القادة الوطنيون وأساسا الزّعيم الحبيب بورقيبة لبناء هذه الخطّة على التجارب النّضاليّة السّابقة وتجارب الشّعوب الأخرى وعلى ما بلغته الحركة من نضج، وساندت هذه الخطة أبرز المنظّمات الوطنيّة وقادتها وبالخصوص فرحات حشاد ودعّمها محمد الأمين باي.
وأهم عناصرها هي :
– الدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسيّة على أساس برنامج مطالب معتدل لا يطرح استقلال تونس التام العاجل
– في صورة الفشل القيام بتشديد النّضال في الدّاخل وبتدويل القضيّة.

■ *البرنامج المعتدل وفشل المفاوضات :*
في أفريل 1950 وفي باريس أعلن الحبيب بورقيبة عن برنامجه ذي السبع نقاط الّذي اكتفى فيه بالمطالبة بالاستقلال الدّاخلي، وتجاوبت الحكومة الفرنسيّة مع هذا البرنامج وعيّنت "بيريليي" مقيما عامّا جديدا مهمّته تحقيق الحكم الذّاتي لتونس تدريجيا، ولنفس الغرض، تكوّنت في أوت حكومة تونسيّة تفاوضيّة برئاسة محمد شنيق ومشاركة "صالح بن يوسف" عن الدستور الجديد.
لكن فشلت المفاوضات بسبب معارضة غلاة الاستعمار من المتفوّقين وأصدرت فرنسا مذكّرة 15 ديسمبر 1951 الّتي تمسّكت فيها بالسّيادة المزدوجة وببقاء تونس مرتبطة بها إلى الأبد.

■ *تصعيد النّضال : الكفاح المسلّح :*

تعدّدت مظاهر التصعيد ومنها تواتر الاحتجاجات المشتركة ذات الطّابع السّياسي من مظاهرات وإضرابات واتّخاذها سمة المواجهة مع القوات الاستعماريّة، لكن أبرز هذه المظاهر هي الكفاح المسلّح، وقد برزت إرهاصاته الأولى خلال الحرب (تمرّد "المرازيق" في دوز بالجنوب التّونسي في 1943–1944 وتمرّد مجاهدي "زرمدين" بالساحل في 1943–1948) لكن اتّسع نطاقه تدريجيا ما بين 1952 و1954. وتمكّن الدستور الجديد من ربط علاقات بأهمّ قادة الحركة المسلّحة (الفلاقة) وهو ما أعطى للحركة الوطنيّة زخما لم تشهده من قبل. واستهدفت عمليات المجاهدين القوات الفرنسيّة والمصالح الاستعماريّة والمتعاونين التونسيين.

■ *تدويل القضيّة الوطنيّة :*

خلافا للفترة السّابقة توفّق الوطنيون في كسب التأييد الدولي، فساندتهم الأحزاب الليبراليّة واليساريّة الفرنسيّة وجامعة الدول العربيّة والدول الإسلاميّة (باكستان) وعدّة منظّمات دوليّة مثل الكنفدراليّة العالميّة للنقابات الحرّة ...

وساعدهم ذلك على تسجيل القضيّة التونسيّة في جدول أعمال الجمعيّة العامّة لمنظّمة الأمم المتّحدة ومناقشتها في نوفمبر 1952 إثر الشكوى الّتي تقدّمت بها الحكومة التونسيّة إلى مجلس الأمن الدولي ضدّ الحكومة الفرنسيّة، وأصدرت المنظّمة الدوليّة توصية تدعو إلى مواصلة التفاوض بين تونس وفرنسا من أجل حلّ القضيّة التونسيّة وفقا لمبادئها، بينما دعا "المؤتمر الإفريقي الآسيوي" بـ"باندونغ" إلى منح تونس استقلالها.

سلّط كلّ ذلك ضغطا شديدا على فرنسا دعّم الكفاح الوطني. ولكن كيف واجهت فرنسا هذا الكفاح ؟

2– ردود الفعل الفرنسيّة إزاء النّشاط الوطني : المراوحة بين القمع والمناورة السياسيّة [24]

أ– سياسة القمع للمقيم العام "دي هوت كلوك" (1952–1953) Jean de Hautecloque

اشتهر بها المقيم العام "دي هوت كلوك" شملت مختلف الأطراف الوطنيّة، وتعدّدت مظاهرها : اعتقال القادة الوطنيين مثل بورقيبة أو اغتيالهم مثل فرحات حشاد والهادي شاكر، وترويع الأهالي مثل العمليات الانتقاميّة بتازركة بالوطن القبلي، والضغط على الأمين باي واعتقال أعضاء حكومته ...

ب– سياسة المناورات للمقيم اعام "بيار فوازار" (1953–1954) Pierre Voizard

كان هدفها الأساسي تمرير السيادة المزدوجة، وقد انساق وراءها بعض التونسيين مثل الباي وهددت الصف الوطني بالتصدّع. لكن، خلافا للطور الأول، لم تمنع هذه السياسة الحركة الوطنيّة من تحقيق أهدافها.

III – حصيلة الكفاح الوطني : استقلال تونس. [25–26–27]

بفضل هذه الخطّة النضاليّة صمد الشعب التّونسي أمام سياسة القمع والإرهاب الفرنسيّة كما أفشل مناوراتها السياسيّة، ومع مصاعب فرنسا في بقيّة مستعمراتها (الثورة في المغرب الأقصى سنة 1953وهزيمتها العسكريّة في "ديان بيان فو" في الفيتنام في ماي 1954)، برز في صلب الطبقة السياسيّة الفرنسيّة تيار دعا إلى إيجاد صيغ تفاهم مع الحركات الاستقلاليّة فتأسّست لهذا الغرض حكومة "منداس فرانس" الّذي حلّ بتونس في جويلية 1954 ليعرض على محمد الأمين باي منح تونس الاستقلال الداخلي، تكوّنت حكومة تونسيّة تفاوضيّة جديدة برئاسة الطاهر بن عمار شارك فيها الحزب الدستوري الجديد أيضا، وتوّجت المفاوضات يوم 3 جوان 1955 بإمضاء اتفاقيات الحكم الذّاتي رغم معارضة قسم من الوطنيين لها وعلى رأسهم صالح بن يوسف الكاتب العام للحزب الدستوري الجديد.

ولكن لم يكن ذلك الاستقلال إلاّ خطوة أولى نحو الاستقلال التّام. وبالفعل، مع تفاقم الثورة المسلّحة الجزائريّة الّتي اندلعت منذ نوفمبر 1954 وضغط الأطراف الوطنيّة المنتقدة لاتفاقيات الحكم الذّاتي وعودة الاشتراكيين في فرنسا إلى الحكم في جانفي 1956 ومنح المغرب الأقصى استقلاله التام، استغلّ بورقيبة هذه الظرفيّة للمطالبة بفتح مفاوضات جديدة مع فرنسا توّجت بإمضاء بروتوكول الاستقلال التّام في 20 مارس 1956.

الخاتمة

كان الاستقلال التّام لتونس ثمرة كفاح أجيال من التونسيين من 1881 إلى 1956 شاركت فيه مختلف فئات المجتمع وكافة الأطراف الوطنيّة على مختلف مشاربها الفكريّة والسياسيّة، وكان للزعيم بورقيبة وحزبه بمعاضدة المنظّمات الوطنيّة الأخرى وبالخصوص الاتحاد العام التونسي للشغل دور حاسم في تحقيقه، وغلب على الكفاح الوطني الطابع السياسي السلمي والمرحليّة والبراغماتيّة، وفتح هذا الاستقلال في تونس عهدا جديدا لاستكمال السيادة الوطنيّة وتحقيق التنمية الوطنيّة الشاملة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ...

أركّز معلوماتي : من أحداث الحركة الوطنيّة في طورها الثّاني : [1939–1956]

–1939–1942 : الصمود والمقاومة لسياسة القمع الفرنسية

– جوان 1942 : اعتلاء المنصف باي العرش الحسيني

– جانفي 1943 : المنصف باي يكون وزارة وطنيّة برئاسة محمد شنيق ومشاركة مناضلين وطنيين دون استشارة المقيم العام

– 14 ماي 1943 : إزاحة فرنسا للمنصف باي عن العرش

– 1943–1944 : تمرّد المرازيق بدوز

– 1943–1948 : تمرّد مجاهدي زرمدين

– 1943–1948 : الحركة المنصفيّة : المطالبة بعودة المنصف باي إلى الحكم

– فيفري 1945 : تكوين الجبهة الوطنيّة : الاستقلال الداخلي وإقامة حكم ملكي دستوري

– سبتمبر 1945 : إصلاحات المقيم العام ماست Mast

– 20 جانفي 1946 : تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل

– 23 أوت 1946 : مؤتمر ليلة القدر أو مؤتمر الاستقلال : الاستقلال التّام لتونس

– جويلية 1947 : إصلاحات المقيم العام مونس Mons

– 5 أوت 1947 : الصدام الدموي بصفاقس بين قوات الاحتلال والعمال المضربين في إطار الإضراب العام الّذي دعا إليه الاتحاد العام التونسي للشغل

– سبتمبر 1948 : وفاة المنصف باي

– أفريل 1950 : برنامج السبع نقاط الّذي قدّمه بورقيبة للسلطات الفرنسيّة

– 15 ديسمبر 1951 : مذكّرة وزارة الخارجيّة الفرنسيّة وفشل المفاوضات التونسيّة الفرنسيّة حول الحكم الذاتي.

– جانفي 1952 : الثورة المسلّحة أو حركة الفلاقة

– ديسمبر 1952 : اغتيال فرحات حشاد

– سبتمبر 1953 : اغتيال الهادي شاكر

– 1954 : استفحال الثورة المسلّحة وانتشارها في مختلف أنحاء البلاد

– 31 جويلية 1954 : منداس فرانس يعرض على محمد الأمين باي منح تونس الحكم الذّاتي

– 3 جوان 1955 : توقيع اتفاقيات الحكم الذاتي

– 20 مارس 1956 : بروتوكول الاستقلال التّام.

الدرس الخامس عشر

تونس 1956_1987
التحولات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة

المدخل

مسك الوطنيون بمقاليد الحكم بعد انتصارهم على الاستعمار الفرنسي، فأصبح بإمكانهم تحقيق المشروع الوطني الذي بلوروه خلال فترة النضال، واتخذوا من أجل تحقيق هذا المشروع عدة إجراءات. سأتناول بالدرس تلك الإجراءات لكي أتبين التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها تونس من 1956 إلى 1987.

النشاط الأول

أتبيّن التحولات السياسيّة الّتي شهدتها تونس من 1956 إلى 1987

الموارد

الوثيقة : 1

قرار المجلس القومي التأسيسي* في إعلان الجمهورية

«نحن نواب الأمة التونسية أعضاء المجلس القومي التأسيسي بمقتضى ما لنا من نفوذ كامل مستمد من الشعب، وتدعيما لأركان استقلال الدولة وسيادة الشعب وسيرا في طريق النظام الديمقراطي الذي هو وجهة المجلس في تسطير الدستور نتخذ باسم الشعب القرار التالي النافذ المفعول حالا :

أولا : نلغي النظام الملكي إلغاء تاما.

ثانيا : نعلن تونس دولة جمهورية.

ثالثا : نكلف رئيس الحكومة السيد الحبيب بورقيبة بمهام رئاسة الدولة على حالها الحاضر ريثما يدخل الدستور في حيز التطبيق ونطلق عليه لقب رئيس الجمهورية التونسية.

رابعا : تكلف الحكومة بتنفيذ هذا القرار وباتخاذ التدابير اللازمة لصيانة النظام الجمهوري كما نكلف كلا من رئيس المجلس والأمين العام لمكتب المجلس والحكومة بإبلاغ هذا القرار إلى الخاص والعام.

أصدرناه في قصر المجلس «باردو» يوم الخميس 26 ذي الحجة 1376 وفي 25 جويلية 1957 على الساعة السادسة مساء

جاولي فارس
رئيس المجلس القومي التأسيسي

* **المجلس القومي التأسيسي** : أحدث بقرار من الباي صدر في 29 ديسمبر 1955 وانتخب أعضاؤه في 25 مارس 1956 وفازت قائمة «الجبهة القومية» برئاسة الدستور الجديد والمنظمات المتحالفة معه (الاتحاد العام التونسي للشغل واتحاد الصناعة والتجارة والاتحاد القومي للمزارعين التونسيين) واستمر هذا المجلس إلى 1959. وكانت مهمته وضع دستور للبلاد.

إضاءات

مجلات قانونية حديثة

المجلة	تاريخ إصداها
الجنسية	26 جانفي 1956
الصحافة	9 فيفري 1956
الأحوال الشخصية	3 أوت 1956
الإجراءات المدنية والتجارية	5 أكتوبر 1959
الطرقات	24 ديسمبر 1964
الحقوق العينية	12 فيفري 1965
الشغل	30 أفريل 1966
الإجراءات الجنائية	6 أوت 1968
الاستثمارات	26 جوان 1969

إلغاء الجهاز القضائي القديم واعتماد قضاء تونسي عصري موحد

الجهاز القديم	مجال نظره	تاريخ إلغائه
المحاكم الشرعية المالكية والحنفية	الأحوال الشخصية للتونسيين من المذهبين المالكي والحنفي	3 أوت 1956
محاكم فرنسية	خاصّة بالفرنسيين	7 مارس 1957
محاكم مختلطة تونسية – فرنسية	مثل المحكمة العقارية التي أحدثت سنة 1885	
مجلس الأحبار	الأحوال الشخصية لليهود التونسيين	27 سبتمبر 1957
محاكم تونسية عصرية	في غير الأحوال الشخصية للتونسيين	لم تلغ

تونس : التقسيم الإداري (الولايات) في الستينات

تغيير الجهاز الإداري الجهوي في 21 جوان 1956

الجهاز القديم	الجهاز الجديد
القايد	الوالي (14 ولاية)
الكاهية أو الخليفة	المعتمد

تطوّر التقسيم الإداري 1960–1990

الوحدة الإداريّة/السّنة	1960	1975	1990
الولاية	13	18	23
المعتمديّة	92	136	220

التعليمة

■ بالاعتماد على الوثيقة (1) والإضاءات ، بين مجالات تعصير الحكم بتونس والإجراءات التي اتخذها الوطنيون لتحقيق هذا التعصير واذكر مبرراتها.

إضاءات

تونسة المؤسسات*

المؤسسة	تاريخ
تكوين الحرس الوطني والشرطة	18 أفريل 1956
إحداث الجيش الوطني	24 جوان 1956
تونسة مؤسسة الإذاعة	13 أوت 1956
تعويض المحاكم التونسية العصرية المحاكم الفرنسية	1 جويلية 1957

* تونسة الإدارة : تعويض ما يقارب 12.000 موظف فرنسي بموظفين تونسيين فيما بين 1956 و1960

الوثيقة : 2

تونسة السياسة الخارجية

«... وتدعيم أركان السيادة في الداخل يقابله إعداد الإمكانيات في الخارج لإقامة جهاز ديبلوماسي. وقد اشتملت التشكيلة الوزارية على خطة وزير الخارجية وذلك يقتضي في المرحلة الأولى إرسال من يمثل تونس في الأقطار العربية والدول الأجنبية كما يستلزم تمثيل دولتنا في هيئة الأمم المتحدة...».

خطاب بورقيبة في 17 أفريل 1956 في المجلس القومي التأسيسي ورد في كتاب بورقيبة حياته وجهاده ص 173. نشر كتابة الدولة للأخبار والإرشاد.

- 12 نوفمبر 1956 : انخراط تونس في منظمة الأمم المتحدة.
- 1 أكتوبر 1958 : انخراط تونس في جامعة الدول العربيّة.
- 20 سبتمبر 1961 : ترأس المنجي سليم الجمعيّة العامّة لمنظّمة الأمم المتحدّة.

الوثيقة : 3

من نصّ الرسالة الّتي وجهها بورقيبة إلى الرّئيس الفرنسي «دي غول» في 6 جويلية 1961

«... إنّ هدف تونس هو الحصول على جلاء القوّات الفرنسيّة عن قاعدة بنزرت ومنطقة الحدود بالجنوب وإنّي أعلمكم بقرارنا الحاسم الّذي لا رجوع فيه وهو العمل لإنهاء هذه الحالة الّتي يعارضها الشعب التونسي بالإجماع ...»

ورد هذا المقتطف بكتاب لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري 1934–1974. ص 125. نشر كتابة الدولة للإعلام، تونس، مارس، 1975

إضاءات

من وقائع الكفاح من أجل الجلاء العسكري

- جوان 1956 : بورقيبة يطالب بجلاء القوات الفرنسيّة
- 18 سبتمبر 1957 : مظاهرات شعبيّة تطالب بالجلاء
- 8 فيفري 1958 : الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف
- ماي 1958 : معركة رمادة بين الجيش الوطني وقوات الاحتلال .
- 17 جوان 1958 : قبول فرنسا إجلاء قواتها عن تونس باستثناء قاعدة بنزرت.
- جوان 1961 : بداية معركة بنزرت : 670 شهيدا و1155 جريحا.
- 15 أكتوبر 1963 : جلاء القوات الفرنسيّة عن قاعدة بنزرت

إضاءات

التأييد الدولي

- 22 جويلية 1961 : قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ورفض فرنسا للقرار.
- 24 جويلية 1961 : وصول الأمين العام للأمم المتحدة إلى تونس وتباحثه مع بورقيبة حول مسألة بنزرت.
- 28 جويلية 1961 : وصول عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية لاطلاع على الحالة ببنزرت.
- 5 أوت 1961 : الاتحاد السوفياتي يعرب عن مساندته تونس من أجل تحرير أراضيها تحريرا كاملا.
- 25 أوت : فازت في الجمعية العامة للأمم المتحدة اللائحة الإفريقية – الآسيوية التي تنص على التفاوض بين الحكومتين الفرنسية والتونسية على أساس الجلاء الناجز
- 6 سبتمبر 1961 : ندوة الدول غير المنحازة ببلغراد تطالب بالجلاء حالا عن تونس.

تأهب التونسيين لخوض معركة الجلاء عن بنزرت : مظاهرة ضد الجيش الفرنسي ببنزرت

مغادرة آخر جندي فرنسي تراب الوطن

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقتين (2-3) والإضاءات :

- حدد المجالات التي استكملت فيها تونس سيادتها.
- بين الإجراءات التي اتخذتها لتحقيق ذلك الغرض.
- بين الوسائل السياسية التي اعتمدتها تونس لإرغام فرنسا على الجلاء العسكري.

الوثيقة : 4

مقتطفات من دستور الجمهورية التونسية الصادر عن المجلس القومي التأسيسي في 1 جوان 1959

الفصل 1 : تونس دولة مستقلة ذات سيادة، الإسلام دينها والعربية لغتها والجمهورية نظامها.

الفصل 3 : الشعب التونسي هو صاحب السيادة يباشرها على الوجه الذي يضبطه هذا الدستور.

الفصل 5 : الجمهورية التونسية تضمن حرمة الفرد وحرية المعتقد وتحمي القيام بالشعائر الدينية ما لم تخل بالأمن العام.

الفصل 6 : كل المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات وهم سواء أمام القانون.

الفصل 8 : حرية التفكير والتعبير والصحافة والنشر والاجتماع وتأسيس الجمعيات مضمونة وتمارس حسبما يضبطه القانون، والحق النقابي مضمون.

الفصل 18 : يمارس الشعب السلطة التشريعية بواسطة مجلس نيابي يسمى «مجلس الأمة».

الفصل 19 : ينتخب مجلس الأمة انتخابا عاما حرا مباشرا سريا حسب الطريقة التي يحددها القانون.

الفصل 21 : الترشح لعضوية مجلس الأمة حق لكل ناخب ولد من أب تونسي وبلغ 30 سنة كاملة.

الفصل 39 : الترشح لمنصب رئاسة الجمهورية حق لكل تونسي مولود لأب وجد تونسيين ثلاثتهم تونسيون بدون انقطاع بلغ من العمر 40 سنة ويتمتع بجميع حقوقه المدنية.

الفصل 53 : القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون.

إضاءات

- تنظيم أول انتخابات تشريعية تعددية في تونس المستقلة في 8 نوفمبر 1959 بمشاركة الدستور الجديد والحزب الشيوعي التونسي...
- جانفي 1963 : حظر الحزب الشيوعي وجريدة «منبر التقدم» اليسارية ونشاط جماعة الدستور القديم.
- أكتوبر 1964 : انعقاد المؤتمر السابع للدستور الجديد في بنزرت : تغيير اسمه إلى «الحزب الاشتراكي الدستوري» وإحكام سيطرته على أجهزة الدولة في جميع المستويات والتحكم في المنظمات الشعبية والشبابية...
- محاكمة الماركسيين في 1968 و1974 و1975...

الوثيقة : 5

التعديل الدستوري 19 مارس 1975 :

إسناد الرئاسة مدى الحياة للحبيب بورقيبة

تعديل الفصلين 40 و51 : تمم الفصل 40 من الدستور بالفقرة التالية: «وبصفة استثنائية واعتبارا للخدمات الجليلة التي قدمها المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة للشعب التونسي إذ حرره من ربقة الاستعمار وجعل منه أمة موحدة ودولة مستقلة عصرية كاملة السيادة يعلن مجلس الأمة بإسناد رئاسة الجمهورية مدى الحياة إلى الرئيس الحبيب بورقيبة».

نقحت الفقرة الثانية من الفصل 51 كما يلي : «عند شغور منصب رئاسة الجمهورية لسبب الوفاة أو الاستقالة أو العجز التام يتولى فورا الوزير الأول مهام رئاسة الدولة لما بقي من المدة النيابية الجارية لمجلس الأمة....»

الرائد الرسمي عدد 19 الصادر في مارس 1975

الوثيقة : 6

تعديل الدستور في 8 أفريل 1976

الفصل 37 : رئيس الجمهورية يمارس السلطة التنفيذية بمساعدة حكومة يرأسها وزير أول*.

الفصل 62 : يراقب مجلس الأمة الحكومة في تنفيذ السياسة التي يضبطها رئيس الجمهورية ولمجلس الأمة أن يلفت نظر رئيس الجمهورية إلى نشاط الحكومة بواسطة توصية معللة يقترع عليها بالأغلبية المطلقة لأعضاء المجلس.

وللمجلس أن يعارض الحكومة في مواصلة تحملها لمسؤوليتها وذلك بالاقتراع على لائحة لوم. ولا يمكن تقديم لائحة اللوم إلا إذا كانت معللة وممضاة من طرف ثلث أعضاء مجلس الأمة على الأقل وبعد مضي ثلاثة أشهر على توجيه التوصية المنصوص عليها بالفقرة الثانية من هذا الفصل. ولا يقع الاقتراع على لائحة اللوم إلا بعد مضي 48 ساعة على تقديمها. وإذا وقعت المصادقة على لائحة لوم بأغلبية الثلثين من النواب فعلى الوزير الأول أن يقدم استقالة الحكومة إلى رئيس الجمهورية.

الفصل 63 : يمكن لرئيس الجمهورية بعد استشارة الوزير الأول ورئيس مجلس الأمة أن يحل مجلس الأمة إذا صادق النواب على لائحة لوم ويتحتم أن ينص الأمر المتخذ لحل مجلس الأمة على دعوة الناخبين لإجراء انتخابات جديدة في مدة لا تتجاوز 30 يوما... وإذا صادق المجلس الجديد خلال دورته الأولى على لائحة لوم أخرى في نفس الظروف ولنفس الأسباب التي تمت فيها المصادقة على لائحة اللوم من طرف المجلس السابق يتعين على رئيس الجمهورية أن يقدم استقالته.

الرائد الرسمي الصادر في 9–13 أفريل 1976

* **الوزير الأول** : أحدث هذا المنصب منذ 1970. وتولاه الباهي الأدغم والهادي نويرة منذ نوفمبر 1970 ثم محمد مزالي في أفريل 1980 فرشيد صفر في جويلية 1986 وأخيرا زين العابدين بن علي في أكتوبر 1987.

إضاءات

– السماح بإنشاء الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان في 1977 وجريدة مستقلة «الرأي».
– قمع الإضراب العام للاتحاد العام التونسي للشغل واعتقال العشرات من النقابيين ومحاكمتهم... في جانفي 1978.
– الاعتراف في بداية الثمانينات بأحزاب معارضة : الحزب الشيوعي وحركة الديمقراطيين الاشتراكيين وحزب الوحدة الشعبية والسماح بصدور جرائد ومجلات مستقلة مثل مجلة «أطروحات» و«المغرب» وجريدة «الموقف» و«LE PHARE»... وتنظيم ثاني انتخابات برلمانية تعددية في تونس المستقلة (1981).
– قمع الاتحاد العام التونسي للشغل وقياداته في 1985...

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق (1-4-5-6) والإضاءات :
- بين أوجه الديمقراطية في نظام الحكم التونسي كما تضمنها دستور 1959.
- أبرز السمة التي تميز بها مسار البناء الديمقراطي في تونس المستقلة.

النشاط الثّاني

أتبيّن التحولات الاقتصاديّة والاجتماعيّة الّتي شهدتها تونس من 1956 إلى 1987

الموارد

الوثيقة : 7

صورة عن أوضاع المرأة التونسية قبل الاستقلال

«لا مفر للمرأة أن تقطع بقية حياتها كما بدئت، فهي إذ تخرج من بيت أبيها المجبر تنتقل إلى بيت زوجها المالك لعصمتها المكتسبة بالمهر الذي دفعه! ومادام يطعمها ويكسوها ويسكنها فلا حقّ لها في الكلام.

إن المرأة في هذه الحال قد يقوى فيها عامل السخط فتهمل شؤون بيتها وزوجها، أو حتى بعض شهواته التي لا تلزم ولكنهم أسسوا لها معهدا خاصا بها لعلاجها وهو ما يسمى «دار جواد» : منزل خاص يقيم عليه الشيخ القاضي رجلا قيّما يسمى «جيدا» وامرأته تسمى «جيدة». يضع الرجل زوجه بإذن قاضي الشريعة عندهما في المنزل ويضيّق عليها في طعامها وكسائها وتنام وحدها ليلا ولا تباح زيارتها إلا بإذن ومشقة. كل ذلك لتنزل الوحشة في قلبها فتطلب بنفسها الرجوع إلى بيت الزوجية تائبة مستغفرة معلنة الرضى تملصا من تلك النكايات القاسية عليها... وهكذا كان الأمر ويكون. فالآباء يريدون السعادة لبناتهم بالإكراه والجبر، والأزواج يطلبون تقرير الزوجية ودوامها بالإكراه والجبر. وقد مكنهم القضاء الشرعي من هذا المعهد الإصلاحي لحمل زوجاتهم فيه على الرضى والرغبة في بيت الزوجية بالإكراه والجبر لا بالإقناع والتفاهم.

أما إذا أراد الرجال طلاق زوجاتهم ولو فجأة دون أن يعلمن بالأمر فذلك حلال ميسور في كل وقت. وليكن أن الزواج مر عليه عشرون سنة هلك فيها شباب المرأة في خدمة الزوج وطاعته، وليكن له منها أبناء سواء كانوا صغارا أو كبارا، فإن ذلك لا يقيد من حريته مادام يريد أن يجدد حظه وينوع في لذته بزواج جديد!. والقضاء الشرعي لا ينازعه في ذلك ولا يحكم عليه حتى ولا بتعويض لمطلقته. وبذلك يتم خروجها من الزوجية أيضا بالإكراه والجبر».

الطاهر الحداد : **الأعمال الكاملة**، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، الدار العربية للكتاب، المجلد الثالث، 1999، ص 159–160–161

الوثيقة : 8

مقتطفات من مجلة الأحوال الشخصية 13 أوت 1956

الفصل 3 : لا ينعقد الزواج إلا برضا الزوجين...

الفصل 4 : لا يثبت الزواج إلا بحجة رسمية يضبطها قانون خاص.

الفصل 5 : يجب أن يكون كل من الزوجين خلوا من الموانع الشرعية وزيادة على ذلك فكل من لم يبلغ عشرين سنة كاملة من الرجال وسبع عشرة سنة كاملة من النساء لا يمكنه أن يبرم عقد الزواج...

الفصل 18 : تعدد الزوجات ممنوع...

الفصل 30 : لا يقع الطلاق إلا لدى المحكمة.

إضاءات

تمتع المرأة التونسية بحقوقها السياسية بعد الاستقلال : حق الانتخاب

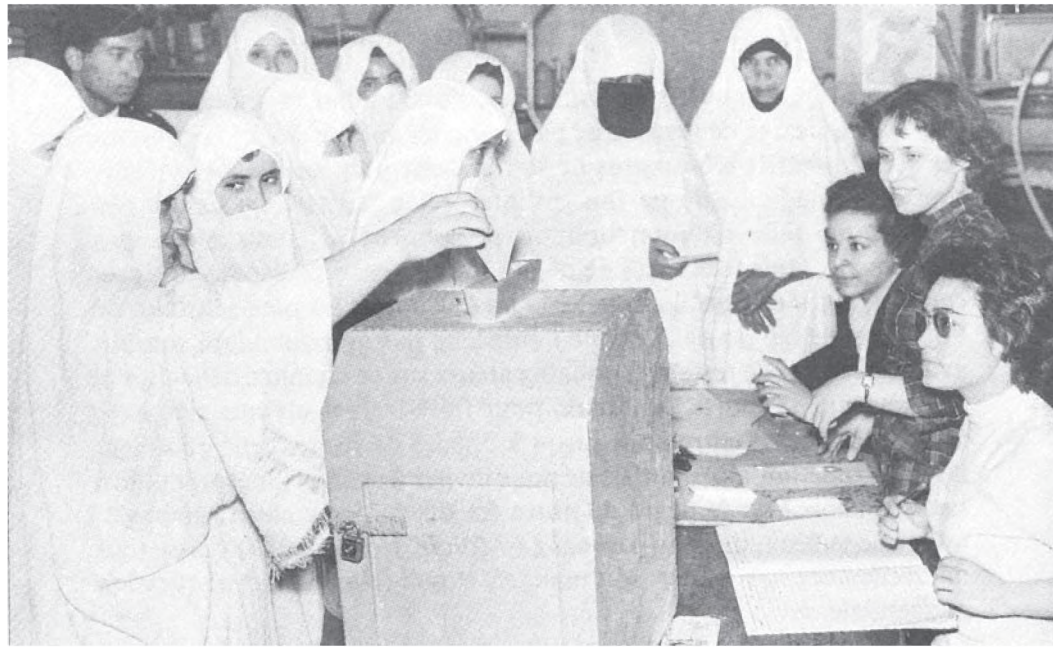

الوثيقة : 9

وضع التعليم قبل الاستقلال

« لم يكن التعليم قبل 1956 موحدا لا على مستوى البرامج ولا على مستوى الهياكل، إذ كان هناك التعليم الزيتوني التقليدي، التعليم الفرنسي العصري، التعليم الصادقي، وكان قائما على تعليم الثقافتين العربية - الإسلامية والفرنسية، المدارس الابتدائية الفرنكو - عربية، مدارس المؤسسات الدينية المسيحية واليهودية.

وقد كانت نسبة الأمية مرتفعة جدا غداة الاستقلال، إذ نجد من بين 1000 ساكن 847 يجهلون القراءة والكتابة باللغة الفرنسية وباللغة العربية أو باللغتين معا. وفي التعليم الابتدائي، لم يكن عدد التلاميذ يتجاوز 241.422 تلميذا فقط من جملة 3.442.000 ساكن في البلاد. ولم تكن نسبة التمدرس تتجاوز 41.3 % بالنسبة إلى الذكور و16.6% بالنسبة إلى البنات و29 % بالنسبة إلى الجنسين. وكانت هناك 652 مدرسة ابتدائية فقط... وعلى مستوى التعليم الثانوي، لم يفتح الاستعمار أمام التونسيين سوى بعض الشعب التقنية البسيطة (فلاحة، صناعات حرفية وتجارة)... أما المدرسة الصادقية، فقد حولها الاستعمار إلى مدرسة لتكوين المترجمين... أما التعليم الثانوي الزيتوني، فقد كان منذ قرون مقتصرا أساسا على تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية والآداب وفق مناهج تعتمد التلقين والحفظ... أما التعليم الثانوي الفرنسي، فلم يكن يؤمه من التونسيين سوى أقلية قليلة جدا... إجمالا، لم يكن هناك في تونس غداة الاستقلال سوى 26.228 تونسيا في التعليم الثانوي. أما بالنسبة إلى التعليم العالي، فيمكن القول إنه كان قبيل الاستقلال جنينيا... بعض العشرات من الطلبة التونسيين فقط في «معهد الدراسات العليا»، وهو النواة الجامعية الوحيدة بالبلاد (منذ 1945)... وقرابة 500 في الجامعات الفرنسية بفرنسا وبعض العشرات من الطلبة في الجامعات العربية بالشرق الأوسط العربي. »

الهادي التيمومي : **خصوصيات مسيرة تونس نحو التحديث** (1846–1964)، من كتاب تونس الأمس وتونس الغد، بيت الحكمة، 2003. ص 106–107.

الوثيقة : 10

مقتطفات من القانون الأساسي للنظام التربوي 4 نوفمبر 1958

الفصل الأول :

التربية والتعليم يهدفان إلى الأغراض الجوهرية التالية :

1– تزكية الشخصية وتنمية المواهب الطبيعية عند جميع الأطفال ذكورا وإناثا بدون أي تمييز بينهم لاعتبار جنسي أو ديني أو اجتماعي.

2– المساهمة في العمل على ترقية العلوم وتمكين جميعَ الأطفال من التمتع بفوائد ذلك الرقي.

3– المساعدة على تنمية الثقافة القومية وتحقيق ازدهارها.

4– إعداد الطفل للقيام بدوره كمواطن وإنسان وتكوين الإطارات الصالحة الكفيلة بنمو النشاط القومي على مختلف وجوهه وفي جميع الميادين.

الفصل الثاني : أبواب التربية والتعليم مفتوحة في وجوه جميع الأطفال من السادسة إلى الثانية عشر من العمر.

الفصل الثالث : التعليم مجان في جميع درجاته والغرض من مجانيته تمكين جميع الأطفال من تكافؤ الفرص أمام التربية والتعليم.

الفصل السابع : التعليم الابتدائي واحد بالنسبة للجميع...

الوثيقة : 11

أ) تطور نسبة التمدرس

السنة	1954	1966	1984
% التمدرس	20.5	59.5	75

خميس طعم الله : الديمغرافية التونسية في القرن العشرين، من تونس الأمس وتونس الغد، ذكر سابقا، ص، 381، ومراجع أخرى.

ب) تطور عدد المدارس الابتدائية

السنة	1958	1978
المدارس	889	2 423
قاعات التدريس	4 495	14 441

استأثرت الأوساط الريفية بين 1956 و1976 بـ 67.6 % من مجموع المدارس الابتدائية المحدثة

أورد هذه المعطيات الهادي التيمومي في كتابه : تونس 1956—1987 دار محمد علي الحامي، تونس، 2006

ج) تطور نسبة الفتيات من مجموع التلاميذ بالمرحلة الثانوية

السنة الدراسيّة	% الفتيات
1957-1956	20.7
1980-1979	36

الإحصاء المدرسي، وزارة التربية والتكوين، السنة الدراسية 2004—2003

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق (7-8-9-10-11) والإضاءات :

- حدد مجالات تحديث المجتمع.
- ابرز المكاسب التي تحققت للمرأة التونسية.
- بيّن أوجه تطور التعليم بتونس.

الوثيقة : 12

مقتطفات من القانون المتعلق بملكية الأراضي الفلاحية في تونس : 12 ماي 1964

الفصل الأول : ابتداء من صدور هذا القانون لا يمكن أن يملك الأراضي الصالحة للفلاحة إلا الأفراد من ذوي الجنسية التونسية.

الفصل الثالث : تحال إلى الأملاك الخاصة للدولة جميع الأراضي الفلاحية [التي كانت على ملك المعمرين].

إضاءات

من الإجراءات التي اتخذتها الدولة لتخليص الاقتصاد من السيطرة الفرنسية

- 81 سبتمبر 1958 : إحداث البنك المركزي التونسي.
- 18 أكتوبر 1958 : إحداث الدينار التونسي بدل الفرنك الفرنسي.
- 02 أوت 1959 : إلغاء الوحدة القمرقية بين تونس وفرنسا
- بين 1956 و1960 : تأميم القطاعات الحوية : السكك الحديدية، الموانيء، شركة توزيع المياه والكهرباء والغاز.
- 9 جويلية 1964 : اتفاقية بين الحكومة والفاتيكان حول استرجاع أغلب أملاك الكنيسة بتونس.

بورقيبة يدشن البنك المركزي التونسي صحبة الهادي نويرة

بورقيبة يوقع على قانون تأميم أراضي المعمرين الفرنسيين على نفس الطاولة التي أمضى عليها محمد الصادق باي معاهدة الحماية يوم 12 ماي 1881

التعليمة

بالاعتماد على الوثيقة (12) والإضاءات :

■ حدد الميادين التي خلصت فيها الحكومة الوطنية الاقتصاد التونسي من النفوذ الاستعماري الفرنسي مبينا الإجراء ات التي اتخذتها في هذا المجال.

الوثيقة : 13

مشروع النمو الاقتصادي للسنوات العشر 1962–1971
الأهداف الأساسية

أ– تخليص الاقتصاد من مظاهر الاستعمار

بإدماج القطاع الاستعماري ضمن الاقتصاد القومي وتونسة ما بقي أجنبيا... (و) بتحقيق اعتدال أوفر في علاقاتنا مع فرنسا حتى يقع القضاء على روابط التبعية المتفاقمة.

ب– النهضة بالإنسان ورفع مستواه

... ضمان الأسباب الكفيلة بتحقيق حياة لائقة لكل مواطن وتوفير إمكانيات النجاح والازدهار توفيرا عادلا لكل تونسي...

ج– إصلاح الأوضاع

ليس المقصود هنا الأوضاع الاقتصادية بإعادة تنظيم السلطة الاقتصادية على أساس ديمقراطي شعبي وبتحوير الجهاز الإداري... فحسب، بل يتناول (الإصلاح) مناهج التفكير حتى يؤهلها لحياة عصرية سليمة من كل جهل وبعيدة عن الظلمات... (و) الأوضاع الاجتماعية بصفة تسمح أن يعم النهوض مختلف الدرجات الاجتماعية حسب جهودها وحاجياتها... (و) القضاء على ما لاحظناه في اقتصادنا من سوء توازن بين الميادين وبين الجهات.

أما التشغيل الكامل فليست الغاية منه سياسية واجتماعية فحسب بل اقتصادية أيضا...

د– النمو الذاتي

تشعر الحكومة التونسية كامل الشعور بأن خضوع اقتصادنا للخارج مرهق جدا سواء أكان في الحقل التجاري وفي ميدان الإعانة المالية والفنية... ولذا (فإنها) ستعمل جاهدة على التخفيف من هذه الإعانة خلال السنوات القادمة... تفضي ببلادنا إلى مرحلة الانطلاق والنهوض الذاتي...

الجمهورية التونسية، كتابة الدولة للتصميم والمالية : مشروع النمو الاقتصادي للسنوات العشر 1962–1971 ص 34–35–36–37–38.

الوثيقة : 14

الاشتراكية الدستورية حسب بورقيبة

«... إن البلاد في حاجة إلى بعث أجهزة إنتاجية تضمن التنمية والتطور... وبحثنا عن طريقة موصلة إلى ذلك... (و) رأينا أن طريق النجاعة... هو أن تتولى الدولة نفسها الاضطلاع بأكبر المهام الاقتصادية وتوجه بواسطة التخطيط كل ما ينجز في البلاد... واستقرينا التاريخ الحديث وآراء علماء الاقتصاد والاجتماع، فإذا النظام الاشتراكي هو الذي تتطور إليه سائر النظم الاقتصادية في العالم... ونحن لا نخفي أن سبيلنا تتميز عن غيرها في مسائل جوهرية أهمها حرب الطبقات التي اتخذتها الماركسية دعامة للثورة... أما الملكية الخاصة فنحن لا نرى تأميمها في كل حال، ذلك أن سياستنا في هذا الميدان هو أن لا نؤمم إلا ما نقدر على الاضطلاع به أحسن من الخواص... ولا يهمنا ما يدعيه البعض من أن الاشتراكية التونسية ليست بالاشتراكية العلمية، فإن كانوا يقصدون أننا لم نتبع المنوال الماركسي فذلك صحيح».

من خطاب بورقيبة في القاهرة في 17 فيفري 1965. نشر كتابة الدولة للإعلام، خطابات بورقيبة، تونس، 1980 الجزء 18. الصفحات بين 226 و239

إضاءات

التعاضدية الفلاحية : قامت الاشتراكية الدستورية على ملكية الدولة وكذلك على الملكية التعاضدية خاصة في الفلاحة، والتعاضدية الفلاحية هي مستغلة كبيرة (معدل 500 هك). تتكون نواتها من الأراضي الدولية تضمّ إليها قطع صغار الفلاحين المجاورة وتستغل بطريقة جماعية.

مخططات التنمية في الستينات

المخطط	المدة الزمنية	تاريخ الإنجاز
1	ثلاثي	1962-1964
2	رباعي	1965-1968
3	رباعي	1968-1972

الوثيقة : 15

نشأة الأقطاب الصناعية في الستينات

«... لقد توسع المجال الصناعي التونسي (بعد الاستقلال) تحت رعاية الدولة في شكل أقطاب إقليمية في السنوات الستين... وتم بعث وحدات صناعية في الداخل (مصنع السكر بباجة، مصنع عجين الورق بالقصرين، مصنع تحويل الصوف بحاجب العيون) ورغم ذلك استفاد الساحل أكثر من غيره وبالأخص بنزرت ومنزل بورقيبة وكذلك سوسة والمنستير وقصر هلال والمكنين».

أ. بالهادي : المجتمع، المجال، التنمية بتونس، تونس، 1992. ص 48

الأقطاب الصناعية في الستينات

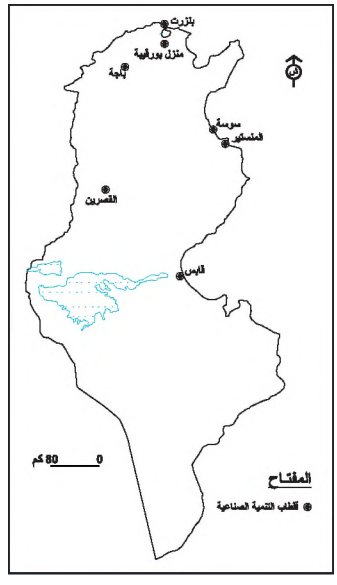

الوثيقة : 16

معارضة الفلاحين للسياسة التعاضدية

«... ولم يلبث أن وقع حدث مؤثّر أنذر بورقيبة بما كان ينطوي عليه وضع البلاد من خطر. ففي جانفي 1969، صدر الأمر إلى سكان البلاد في منطقة الساحل بالتنازل عما كانوا يمتلكونه من أراض وبساتين مثمرة لصالح التعاضدية وبإزالة الطوابي... الفاصلة... بين الممتلكات، فثار السكان وحاولوا التصدي بقوة للجرارات الجارفة، فتدخلت قوات الأمن وأطلقت النار على الأهالي، بحيث اسفر الاشتباك عن قتل نفرين وإصابة العشرات بجروح، وألقي القبض على المئات من المواطنين... وأقيل أيضا الأهالي في بوعرادة والوطن القبلي على قطع أعمدة الأسلاك الكهربائية على غرار ما جرى أيام المقاومة ضد الحكومة الفرنسية...».

الطاهر بالخوجة : الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، شهادة على عصر، تونس، علامات للطباعة والنشر، ص 121–122

الوثيقة : 17

تطور السياسة التنموية التونسية

«فقد كانت الطريق مرسومة أمامنا.. عندما أحرزنا الاستقلال في سنة 1956... وفي ذلك الوقت، كانت أبعاد التخلف والضعف العام للاقتصاد وانعدام الهياكل الضرورية وأكثر من ذلك كان العزم السياسي على التعجيل بتطور المجتمع التونسي، كل هذه العوامل اضطرت الدولة... إلى الانفراد تقريبا بممارسة مسؤولية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وكان من نتيجة ذلك أن غزت الدولة الحياة الاقتصادية وسيطرت عليها بصورة شاملة... وبذلك برزت إلى الوجود بيروقراطية اقتصادية جديدة استشرت على أوسع نطاق وخنقت من حولها كل القوى النشيطة وكل المواهب القادرة على الخلق والابتكار.

كل ذلك أدى بنا منذ بداية السبعينات إلى مراجعة دور الدولة وإلى تعديل تدخلها... في اتجاه يزيد إقحام القطاع الخاص...

ولهذه الأسباب، عمدنا إلى تعديل توزيع الاستثمارات بين الدولة والمؤسسات العمومية، والمشاريع الخاصة، بطريقة تساعدنا على إقحام جميع العاملين الاقتصاديين في مساعي التنمية.»

الهادي نويرة (الأمين العام للحزب الاشتراكي الدستوري والوزير الأول) : الطريق إلى الإنماء بواسطة التشاور : ميثاق الرقي في تونس (محاضرة ألقاها بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية بمعهد فرنسا يوم 26 أفريل 1976)، نشريات كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1976. المطبعة الرسمية، ص 15–16و21

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق (13-14-15-16-17) والإضاءات :

- حدد أهداف السياسة التنمويّة التونسيّة منذ الستينات.
- بين خصوصيات الاشتراكيّة الدستوريّة.
- ابرز بعض نتائجها التنمويّة في الستينات.
- بيّن أسباب تخلّي الدولة عن سياسة التعاضد في سبتمبر 1969.

الوثيقة : 18

من اللائحة الاقتصادية للمؤتمر الثامن للحزب الاشتراكي الدستوري 11–15 أكتوبر 1971

«يسجل المؤتمر بمزيد الارتياح المنعرج الواضح في السياسة الفلاحية والشروع منذ سبتمبر 1969 في النهوض بهذا القطاع مما بعث الثقة في النفوس ويؤكد حق الملكية الخاصة للأراضي الفلاحية».

إضاءات

إجراءات اتخذتها الحكومة لفائدة الخواص

– قانون أفريل 1972 : تقديم امتيازات للمستثمرين الخواص الأجانب والتونسيين في الصناعات التصديرية : إعفاءات من المعاليم القمرقية والتخفيض في الأداء على المداخيل والمرابيح.

– قانون أوت 1974 : خاص بالاستثمارات في الصناعات المعملية : تخفيض على الأداءات القمرقية والمداخيل.

إنشاء هياكل مختصة :

– صندوق التعويض : دعم الأسعار عند الاستهلاك لتجنب ارتفاع أجور العمال

– وكالة النهوض بالصناعات : التكفل بالقيام بالدراسات الفنية والاقتصادية للمشاريع الخاصة.

– صندوق النهوض باللامركزية الصناعية : تقديم حوافز إضافية للباعثين خارج محيط العاصمة.

– الوكالة العقارية الصناعية والوكالة العقارية السياحية : تهيئة الأراضي الصالحة لتركيز المشاريع الصناعية والسياحية.

– الصندوق الخاص للتنمية الفلاحية : تقديم قروض ومساعدات مالية ...

إضاءات

المخططات التنموية في السبعينات والثمانينات

المخطط	المدة الزمنية	تاريخ الإنجاز
4	رباعي	1976-1973
5	خماسي	1981-1977
6	خماسي	1986-1982
7	خماسي	1991-1987

الوثيقة : 19

تطور بعض المؤشرات الاقتصادية حسب % منذ الستينات إلى الثمانينات

المؤشرات	1970-1960	80-1971	1990-1981
الناتج الداخلي الخام	5.31	7.46	3.61
الناتج الداخلي الخام الفردي	3.38	5.27	1.16

عزام محجوب : **تطور تونس الديمغرافي والاقتصادي في القرن العشرين**، من كتاب تونس الأمس وتونس الغد، ذكر سابقا، ص 244

الوثيقة : 20

تطور المداخيل الخارجية في الثمانينات بالمليون دينار

السنة	العائدات النفطية	العائدات السياحيّة	عائدات المهاجرين	نسبتها من مداخيل الدولة الجملية %
1974	142.8	79.1	51.7	44.1
1981	665.4	295.2	178.3	58
1985	603.6	416	225.8	49.1
1986	295	400	210	37.2

تأليف جماعي تحت إشراف ميشال كامو Michel Camau تونس في الحاضر نشر CNRS باريس 1987، ص 178

الوثيقة : 21

مؤشرات عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الفترة 1981–1986

- نسبة نمو الناتج الداخلي الخام : 2.3 %
- نمو الصادرات : 0.7 %
- التضخم المالي : 9.2 %
- الدين الخارجي : 60 % من الناتج الوطني الخام
- تسديد الديون : 30 % من مداخيل الصادرات
- البطالة (1986) : 14% من السكان النشيطين
- الأحداث الدموية : «ثورة الخبز» في جانفي 1984 : سببها المباشر الزيادة في أسعار الخبز.

الهادي التيمومي : تونس 1956–1987 ذكر سابقا، ص 164–165–166

إضاءات

برنامج الإصلاح الهيكلي : جرى اعتماده للخروج من تأزم الأوضاع باتفاق بين الحكومة التونسية وصندوق النقد الدولي والبنك العالمي :

وهو برنامج يهدف إلى تحقيق التوازنات المالية الداخلية والخارجية للدول، ومضمونه الجوهري هو تعميق المنهج الليبرالي (الانفتاح) باتخاذ عدة إجراءات منها :

- خوصصة المؤسسات العمومية أي بيعها للخواص المحليين أو الأجانب
- تحرير المبادلات التجارية الخارجية والتخلي عن الحماية القمرقية
- اعتماد حقيقة الأسعار في السوق الداخلية والتخلي عن سياسة دعم الأسعار عند الاستهلاك (صندوق التعويض)
- توجيه الاقتصاد نحو التصدير
- تصرف صارم في ميزانية الدولة (التقشف في النفقات)

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق (18-19-20-21) والإضاءات،

- ابرز خصوصيات التجربة التنموية الليبرالية للسبعينات والثمانينات
- ابرز بعض مظاهر نجاحها ودور العوامل الداخلية والخارجية في ذلك
- بين كيف انتهت هذه التجربة في أواسط الثمانينات إلى أزمة حادة مبرزا عواملها والحل الذي ارتأته الحكومة لتجاوزها

الوثيقة : 22

تحول البنية الاقتصادية : تطور نسبة النشيطين حسب القطاعات الاقتصادية %

القطاع / السنة	1962	1984
القطاع 1	45.8	28.1
القطاع 2	20.9	36.7
القطاع 3	33.3	35.2

المرجع : عزام محجوب، ذكر سابقا، ص 239

الوثيقة : 23

انخفاض نسبة النمو الطبيعي

السنة	1966	1975	1984
%	2.7	2.6	2.5

المعهد الوطني للاحصاء

الوثيقة : 24

تعصير الفلاحة : تطور عدد الجرارات الفلاحية بتونس

السنة	62-1961	1983	1987
العدد / وحدة	10.000	26 000	29 000

المرجع : الهادي التيمومي : تونس 1956–1987
مرجع سابق، ص 130

الوثيقة : 25

ازدياد وزن السياحة في الاقتصاد التونسي

السنة	1962	1967	1987
عدد النشيطين	1631	7198	40 182
المداخيل / مليون دينار من العملات الأجنبية	1.970	16.433	568 900

المصدر : الديوان الوطني التونسي للسياحة

الوثيقة : 26

من حدود النمو

أ) الميزان التجاري في الثمانينات بالمليون دينار

السنة	الواردات	الصادرات	%التغطية
1981	1884	1229	65.25
1984	2509	1399	55.76
1987	2510	1771	70.57

المصدر : المعهد القومي للإحصاء

ب) الميزان التجاري الفلاحي بالمليون دينار

السنة	1985	1988
الواردات	380	629
الصادرات	152	275
الحصيلة	228 -	354 -

المرجع : وثيقة منهجية للسنة السادسة من التعليم الثانوي جغرافيا، الرمز 602. 606 ص 53

ج) تطور الدين الخارجي بالمليون دينار

السنة	قيمة الدين	% التداين	خدمة الدين
1985	3180	46.5	541
1988	4975	56.9	957

المصدر : البنك المركزي التونسي

د) عدد الأسرة بالمستشفيات لكل 1000 ساكن بالأقاليم سنة 1975

الإقليم	الشمال الشرقي	الوسط الشرقي	الجنوب الشرقي	الشمال الغربي	الوسط الغربي	الجنوب الغربي
الأسرة	10.4	7.5	3.0	6.4	2.4	5.1

المعهد الوطني للإحصاء 1996 : الهجرة الداخلية والتنمية الجهوية، دراسة استراتيجية، ص 65

التعليمة

■ بالاعتماد على الوثائق (22-23-24-25-26) . ابرز حصيلة التجارب التنموية التي خاضتها تونس من 1956 إلى 1987.

أستخلص

المقدمة :

كان على الوطنيين بعد نيل الاستقلال السياسي استكمال السيادة وتجسيد المشروع الوطني الذي صاغوه خلال فترة النضال الوطني بتحقيق الديمقراطية السياسية وإنجاز النهضة الاقتصادية والاجتماعية فخاضوا من أجل ذلك عدة تجارب تنموية انطلقت بالخصوص منذ بداية الستينات إلى أواسط الثمانينات شهدت بفضلها تونس تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية كبرى. فإلى أي مدى نجحوا في ذلك؟

I – التحوّلات السياسيّة :

تعدّدت هذه التحولات.

1 ـ تعصير الحكم [1]

تجسّد هذا التعصير في :

– إلغاء الحكم الملكي وإقامة النظام الجمهوري في 25 جويلية 1957 بقرار من المجلس القومي التأسيسي.

– تعصير الإدارة الجهوية بتعويض الهياكل القديمة (القيادات والخليفليك نسبة للخليفة) بالولايات والمعتمديات، وقسّمت البلاد إلى 13 ولاية. وفي ماي 1957. جرى انتخاب المجالس البلدية.

– توحيد القضاء وتعصيره بإلغاء المحاكم الشرعية ومجالس الأحبار واعتماد محاكم تونسية موحدة وإصدار العديد من المجلات القانونية وقد اعتمد المشرعون في وضع القوانين الحديثة على الشريعة الإسلامية مع استلهام القوانين الوضعية الأوروبية.

2 ـ استكمال السيادة السياسية : الجلاء العسكري التام عن التراب التونسي في 15 أكتوبر 1963 [2ـ3]

تعدّدت الإجراءات التي اتخذتها الدولة الوطنية لاستكمال سيادتها في الميدان السياسي : تونسة الإدارة في مجالات عدّة مثل الأمن والقضاء والدفاع والإعلام (الإذاعة...) كما مارست سيادتها الخارجية بإحداث كتابة الدولة للشؤون الخارجية وبانخراطها في منظمة الأمم المتحدة والجامعة العربية وتعيين ممثليها في عدة دول من العالم. ولكن يبقى أهمّ إجراء هو إنهاء الوجود العسكري الفرنسي بتونس الذي يعود إلى 1881. وقد تم هذا الجلاء عبر مراحل. ففي 1958 تمّ الجلاء عن كامل البلاد باستثناء قاعدة بنزرت الحربية البحرية وذلك بعد الشكوى التي تقدّمت بها تونس ضدّ فرنسا إثر اعتدائها على ساقية سيدي يوسف في فيفري 1958 بدعوى ملاحقة الثوار الجزائريين. واستكمل في 15 أكتوبر 1963 بالجلاء عن قاعدة بنزرت بفضل النضال الشعبي والدعم الدولي.

3 ـ السير نحو الديمقراطية وصعوباته [1ـ4ـ5ـ6]

سعى الوطنيون إلى إرساء الديمقراطية في تونس المستقلة وفق ما كانوا يطالبون به خلال فترة النضال الوطني، غير أن البناء الديمقراطي قد شهد فترات مدّ وفترات جزر.

* ففي الخمسينات انطلق البناء الديمقراطي بإصدار المجلس التأسيسي في جوان 1959 دستورا تميز بطابع ديمقراطي واضح (النظام الجمهوري والفصل بين السلطات وإقرار الحريات الفردية والعامة...) وبتنظيم أول انتخابات رئاسية وتشريعية متعددة (مشاركة الحزب الشيوعي والدستور الجديد...)، رغم ما رافق هذه الانطلاقة من قمع لأنصار بن يوسف والموالين له (الجامعة العامة للفلاحة التونسية وصوت الطالب الزيتوني) وإحداث محكمة أمن الدولة...

* أما في الستينات وخاصة بعد محاولة الانقلاب الفاشلة التي تعرض لها رئيس الدولة سنة 1962. فقد شهد المسار الديمقراطي فترة جزر حادة من علاماته انتصاب نظام الحزب الواحد (الحزب الاشتراكي الدستوري) بعد حظر نشاط الحزب الشيوعي وهيمنة الحزب الاشتراكي على أجهزة الدولة والمنظمات الشعبية مثل الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد العام لطلبة تونس... ومحاكمة مجموعات من الشباب الطالبي اليساريين...

* أما في السبعينات والثمانينات فتأرجح البناء الديمقراطي بين المدّ والجزر. ففي بداية السبعينات تعددت محاكمات قوى اليسار ومنح الزعيم بورقيبة رئاسة الجمهورية مدى الحياة، ثم عدل الدستور ليمنح مجلس النواب صلاحيات أوسع لمراقبة أعمال الحكومة بينما كانت من قبل مسؤولة أمام رئيس الدولة فحسب وسمحت الحكومة بصدور صحف مستقلة (جريدة الرأي والموقف LE PHARE ...) لكنها في نفس الوقت واجهت الإضراب العام الذي شنه الاتحاد العام التونسي للشغل في جانفي 1978 بقمع شديد ثم تعود في الثمانينات إلى الإقرار بالتعددية الحزبية وتنظم ثاني انتخابات تشريعية متعددة في تونس المستقلة سنة 1981 ولكنها تقمع من جديد الاتحاد العام التونسي للشغل سنة 1985 ...

* ولعل هذا المد والجزر الذي تميز به البناء الديمقراطي يرجع إلى عوامل دفع وعوامل كبح له. فمن ناحية أولى، كانت الدولة الوطنية وخاصة الزعيم بورقيبة يخشى الفتنة الداخلية وانهيار الدولة التي بناها ومشروعه في تحديث المجتمع التونسي منذ استفحال المعارضة اليوسفية ومحاولة الانقلاب التي تعرض لها والصراع على السلطة الذي برز بعد تدهور صحته منذ أواخر الستينات وتواصل طيلة السبعينات والثمانينات... ومن ناحية ثانية، أفرزت السياسة التنموية معطيات جديدة أبرزها انتشار التعليم وتشكل فئة من المثقفين الشبان متفتحة على التيارات الفكرية والسياسية في العالم وتوسع قاعدة الفئات المتوسطة... وأصبحت هذه الفئات الفتية والمنظمات الشعبية ترفض احتكار النفوذ والقرار وتطالب بحقها في المشاركة في صياغته وتنفيذه

II – التحولات الاقتصادية والاجتماعية

تمثلت أساسا في تحديث المجتمع والتقليص من تبعية الاقتصاد لفرنسا وخوض تجارب تنموية حققت نتائج هامة رغم محدوديتها في بعض الميادين.

1- تحديث المجتمع [7-8-9-10-11] :

تمثل هذا التحديث في جانبين رئيسيين :

أ- تحرير المرأة بإصدار مجلة الأحوال الشخصية في 13 أوت 1956

ومن أهم ما تضمنته المجلة هو منع تعدد الزوجات ومنحها حق طلب الطلاق وتحديد سن الزواج وإقرار الطلاق العدلي... وتمتعت بفضل قانون مارس 1957 بالحقوق السياسية (حقها في الانتخاب والترشح للانتخابات) كما أقرت الدولة مساواتها بالرجل في التعليم والشغل... ومنذ 1963 بدأ العمل بسياسة التنظيم العائلي. واقتحمت المرأة التونسية شيئا فشيئا مختلف ميادين العمل.

ب- توحيد التعليم وتعصيره ومجانيته بإصدار قانون نوفمبر 1958

ألغت الدولة التعليم الزيتوني التقليدي في مرحلتيه الابتدائية والثانوية وجعلت مرحلته العليا من مشمولات كلية الشريعة وأصول الدين التابعة للجامعة التونسية التي تأسست منذ مارس 1960. واعتمدت النموذج الصادقي وفتحته أمام جميع الأطفال البالغين السادسة من العمر وخصصت نسبة هامة من ميزانية الدولة لفائدته (الربع) فحققت نتائج كبيرة بارتفاع نسبة المتعلمين في مختلف الأوساط الاجتماعية ذكورا وإناثا وتطور عدد المؤسسات التربوية في كامل جهات الجمهورية في الأرياف والمدن وأدخلت على التعليم تحويرات عديدة لملاءمته مع مقتضيات التنمية وتطور المعارف العلمية والتكنولوجية.

2ـ تقليص النفوذ الاقتصادي الفرنسي : تأميم أراضي المعمرين في 12 ماي 1964 [12]

سعت الدولة الوطنية إلى تحرير الاقتصاد التونسي من الهيمنة الفرنسية في عدّة مجالات : ماليا (إحداث الدينار التونسي بدل الفرنك الفرنسي) وتجاريا (إلغاء الوحدة القمرقية مع فرنسا)، لكن يبقى تأميم أراضي المعمرين الفرنسيين في ماي 1964 أهم إجراء في هذا المجال بل اعتبر آنذاك مظهرا أساسيا من مظاهر استكمال السيادة.

3ـ التجارب التنموية وحصيلتها

انطلقت مع بداية الستينات عندما وضعت الدولة «المخطط العشري للتنمية» سنة 1962. ورمت إلى النهوض بالإنسان التونسي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وإلى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة بين القطاعات والجهات والفئات مع تجاوز مخلفات الاستعمار وتقليص التبعية إلى الخارج.

واعتبرت الدولة أن التصنيع هو الأداة الرئيسية لتحقيق هذه التنمية الشاملة وتعصير البلاد. واعتمدت من أجل ذلك الرأسمالية وقد جربت نموذجين منها : رأسمالية الدولة أو الاقتصاد الموجه وقد عرف بالاشتراكية الدستورية، والرأسمالية الليبرالية.

أ- **التجربة الأولى** : الاقتصاد الموجه في الستينات [13-14-15-16-17]

من مميزات هذه التجربة هو التدخل المكثف للدولة في التنمية دون معاداة للخواص الذين عملت على الإحاطة بهم.

ومن أوجه تدخل الدولة :

-وضع مخططات التنمية : المخطط العشري للتنمية وفي إطاره نفذت الدولة 3 مخططات خلال الستينات.

- تمويل المشاريع الاقتصادية : وفر القطاع العمومي 80 %من مجموع الاستثمارات في تلك الفترة.

- التحكم في التجارة الخارجية وحماية السوق الداخلية بالحواجز القمرقية.

- تكفل الدولة برعاية الفئات المعوزة وتوفير التعليم المجاني... واعتماد سياسة التنظيمي العائلي.

ومن مميزات هذه التجربة أيضا هو اعتماد الملكية التعاضدية خاصة في الفلاحة والتجارة إلى جانب المؤسسات العمومية.

من أهم إنجازات هذه الفترة هو بعث قاعدة صناعية هامة متكونة من صناعات أساسية بالخصوص وبعث أقطاب صناعية في عدة جهات من الجمهورية.

لكن واجهت هذه التجربة صعوبات عدة طبيعية (الجفاف) وسياسية (رفض عدة أطراف لها خاصة عند اتخاذ قرار تعميم التعاضد عام 1969). فوضعت الدولة حدّا لها في سبتمبر 1969 لاعتماد المنهج الليبرالي.

ب- **التجربة الثانية** : الاقتصاد الليبرالي منذ بداية السبعينات [18-19-20-21]

لم تتخل الدولة عن دورها الاقتصادي والاجتماعي في هذه المرحلة، فقد بقيت أهم مستثمر وواصلت امتلاكها للمؤسسات العمومية ذات الصبغة الاستراتيجية في رأيها (الطاقة والمناجم...) كما واصلت الإحاطة بضعاف الحال والمجالات الاجتماعية. فتمثلت الليبرالية جوهريا في تشجيع الخواص وفسح مجال أكبر لهم لتحقيق التنمية، ومن مظاهر ذلك :

- حل التعاضديات الفلاحية والتجارية وإعادة الملكيات لأصحابها وإلغاء احتكار الدولة للتجارة الخارجية في عدة قطاعات لفائدة الخواص.

- التفويت في جزء من الأراضي الدولية وفي بعض المؤسسات الصناعية العمومية للخواص.

- تشجيع الخواص ماليا وجبائيا وقانونيا وتأطيرهم عبر هياكل مختصة بل وتحمل الدولة جزء من كلفة اليد العاملة بواسطة دعم الأسعار عند الاستهلاك بفضل صندوق التعويض.

فارتفعت مساهمتهم في الاستثمارات من 28 % إلى 45 % من الاستثمارات الجملية خلال العشرية الثانية للتنمية، ومن مظاهر تدعيم الليبرالية أيضا ازدياد انفتاح الاقتصاد التونسي ماليا وتجاريا على العالم الحر الرأسمالي.

أعطت هذه التجربة دفعا كبيرا للتنمية من مظاهره البارزة ارتفاع نسق النمو ومعدل إحداث مواطن الشغل خاصة في الصناعة.
لكن ارتكز هذا النموذج التنموي بصفة كبيرة على أهمية مداخيل الدولة الخارجية (عائدات السياحة وصادرات النفط والعمال المهاجرين)، ولذلك ما إن تراجعت هذه المداخيل حتى أصيب بالعطب، بل وشهدت البلاد أزمة حادة في أواسط الثمانينات التجأت الدولة بسببها إلى المؤسسات المالية الدولية التي وجهتها نحو اعتماد برنامج الاصلاح الهيكلي بداية من صيف 1986.

ج- الحصيلة [22-23-24-25-26]

■ *اقتصاديا*

أفضت السياسة التنموية إلى تحول عميق في بنية الاقتصاد التونسي، حيث انتقل من اقتصاد فلاحي - منجمي إلي اقتصاد متنوع تقلصت فيه مكانة الفلاحة في الناتج الخام وفي تشغيل اليد العاملة مقابل ازدياد وزن الصناعة والخدمات والسياحة، كما تطور الإنتاج وتنوع في الفلاحة والصناعة وتطورت البنية التحتية للبلاد.
ولكن بقي التكامل بين القطاعات الاقتصادية محدودا واستمرت تبعية تونس إلى الخارج ماليا وتجاريا وخضوعها إلى التقسيم الدولي للعمل كما استمر عجز الميزان التجاري و لم يتحقق الاكتفاء الذاتي الغذائي...

■ *اجتماعيا*

حققت تونس نجاحا هاما من مظاهره بداية التحكم في النمو الديمغرافي وتوسع الظاهرة الحضرية وتحسن مستوى العيش وتوسع قاعدة الطبقة المتوسطة في المجتمع.
لكن بقي التفاوت قائما في مستوى العيش بين الفئات وبين الجهات الساحلية والداخلية والوسطين الريفي والحضري، كما برزت الفئات المهمشة من الشباب العاطل عن العمل والنازحين إلى المدن والعاملين في القطاعات غير المهيكلة، وتواصلت ظاهرة البطالة، فتعددت الاضطرابات الاجتماعية في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات...

الخاتمة :

لا شك أن تونس قد حققت تقدما ملموسا في مختلف المجالات وأصبحت حسب المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية من بين الدول متوسطة النمو بل وفاقت مثيلاتها من دول العالم الثالث لكن انتهت الأوضاع في سنة 1986 إلى أزمة حادة على جميع المستويات كانت من أسباب تحول السابع من نوفمبر 1987.

أركز معلوماتي :

من أبرز أحداث تونس 1956–1987

- 25 جويلية 1957 : إعلان الجمهورية
- 31 أوت 1957 : صدور مجلة الأحوال الشخصية
- أكتوبر 1958 : إحداث الدينار التونسي الذي بدأ استعماله فعلا في 4 نوفمبر
- 4 نوفمبر 1958 : صدور قانون التعليم
- 1 جوان 1958 : إصدار الدستور
- 20 أوت 1959 : إلغاء الاتحاد القمرقي بين تونس وفرنسا
- 1962 : إعداد مشروع التنمية العشري وبداية تطبيق المخطط الثلاثي الأول 1962–1964
- ديسمبر 1962 : الإعلان عن إفشال مؤامرة استهدفت رئيس الدولة
- جانفي 1963 : حظر الحزب الشيوعي وتكريس نظام الحزب الواحد
- 15 أكتوبر 1963 : جلاء آخر جندي عن بنزرت وتراب الوطن
- 12 ماي 1964 : قانون تأميم أراضي المعمرين
- أكتوبر 1964 : المؤتمر السابع للحزب الحر الدستوري (الجديد) : تبني الاشتراكية الدستورية وتغيير اسمه إلى الحزب الاشتراكي الدستوري التونسي وإحكام سيطرته على أجهزة الدولة والمنظمات الوطنية.
- سبتمبر 1969 : إنتهاء العمل بسياسة التعاضد ومحاكمة مهندسها أحمد بن صالح
- نوفمبر 1970 : تعيين الهادي نويرة وزيرا أول وبداية التجربة الليبرالية
- مارس 1975 : تعيين بورقيبة رئيسا مدى الحياة
- أفريل 1976 : تعديل الدستور : تدعيم دور مجلس النواب
- جويلية 1981 : إعادة الاعتراف بالحزب الشيوعي وبداية إنهاء العمل بنظام الحزب الواحد
- نوفمبر 1983 : الاعتراف القانوني بحزبين آخرين : حركة الديمقراطيين الاشتراكيين وحزب الوحدة الشعبية
- جويلية 1986 : تعين رشيد صفر وزيرا أوّل وإقرار سياسة التعديل الهيكلي (برنامج الإصلاح الهيكلي)
- 7 نوفمبر 1987 : تحول السابع من نوفمبر ونهاية الحكم البورقيبي.

الدرس السّادس عشر

القضيّة الفلسطينيّة

المدخل

ما انفكت القضية الفلسطينية تشغل الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي. سأبحث في جذور هذه القضية وأتعرّف إلى الأطوار التي مرّت بها إلى سنة 1993.

النشاط الأول

أتبيّن جذور القضيّة الفلسطينيّة

الموارد

الوثيقة : 1

خريطة المشرق العربي

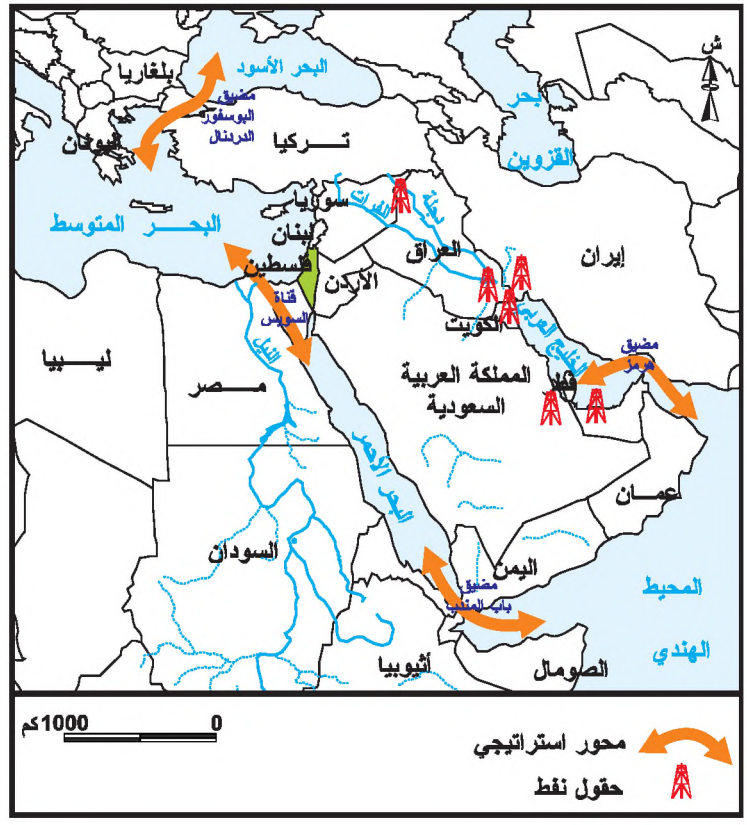

الوثيقة 2

مقتطفات من تقرير لجنة كامبل باثرمان* البريطانية سنة 1907

«إن الخطر الذي يهدّد الاستعمار يكمن في البحر المتوسط الذي يقيم على شواطئه شعب واحد يتميّز بكل مقومات الوحدة والترابط، ويجب أن تعمل الدّول الاستعماريّة على تجزئته وتفكّكه وإقامة حاجز بشري قوي وغريب يمكن للاستعمار أن يستخدمه أداة في تحقيق أغراضه...».

أورده محمد عبد الحافظ القيسي : وعد بلفور في ظل التوسع الاستعماري، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1990. ص 73

* رئيس وزراء بريطانيا سنة 1907.

الوثيقة 3

من قرارات المؤتمر الصهيوني الأول 1897

حدد المؤتمر الصهيوني* الأول هدف الصهيونية بما يلي :

"إن غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام.

أما وسائل تحقيق الهدف الصهيوني فهي :

1- تشجيع الهجرة والاستيطان في فلسطين بطرق منظمة مع الاستحواذ على مرافق الحياة (الزراعية والصناعية والمالية والاقتصادية)

2- تنظيم الحركة اليهودية في منظمات محلية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد مع ربط هذه المنظمات بعضها ببعض.

3- تعبئة الجماهير اليهودية وتوعيتها لتقبل الأفكار الصهيونية لنيل مساهمتهم.

4- العمل على كسب تأييد وموافقة الحكومات التي يعنيها الأمر لتحقيق غاية الصهيونية."

ورد في المصدر السابق، ص 52 - 53

* الحركة الصهيونية : حركة يهودية ظهرت بأوروبا في النصف الثاني من القرن XIX وسميّت هكذا نسبة إلى صهيون وهو اسم جبل بجوار القدس، وهي حركة سياسية رغم ما تحمله من طابع ديني. بلور الفكرة الصهيونية الصحفي اليهودي «تيودور هرتزل» (1860 - 1904) في كتاب له أصدره في 1896 بعنوان «الدولة اليهوديّة» أكّد فيه أن حلّ مشكلة اليهود المضطهدين في العالم هو إنشاء دولة خاصة بهم، وأشرف على عقد المؤتمر الصهيوني الأول في أوت 1897 بمدينة «بازل» السويسرية.

الوثيقة 4

تصريح بلفور وزير خارجية بريطانيا في 2 نوفمبر 1917 إلى الرأسمالي اليهودي «روتشيلد»

يسرني جدّا أن أبلّغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونيّة، وقد عرض على الوزارة وأقرته :

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قوميّ للشّعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية. على أن يفهم جليّا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينقص من الحقوق المدنية أو الدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى...».

المصدر السابق، ص 72 - 73

الوثيقة 5

صك الانتداب* الصادر عن جمعية الأمم في 24 جويلية 1922

«لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على أن يعهد بإدارة فلسطين التي كانت فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعيّنها تلك الدول إلى دولة منتدبة تختارها الدول المشار إليها تنفيذا لنصوص المادة 22 من ميثاق جمعية الأمم... ولما كانت دول الحلفاء قد اختارت صاحب الجلالة البريطانية ليكون منتدبا على فلسطين... لذلك فإن مجلس جمعية الأمم بعد تأييده الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يلي :

– **المادة الأولى** : يكون للدولة المنتدبة السلطة القطعية في التشريع والإدارة باستثناء ما يكون قد قيد في نصوص هذا الصك

– **المادة الثانية** : تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وفقا لما جاء بيانه في ديباجة هذا الصك... وتكون مسؤولة أيضا عن صياغة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس والدين...».

أورده علي المحجوبي في كتابه : **جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين**، سراس للنشر، تونس 1990، ص 122–123.

* **الانتداب** : مبدأ ورد في ميثاق جمعية الأمم مكّن الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى من السيطرة على بعض المناطق مثل المشرق العربي بدعوى أنّ شعوب هذه المناطق غير مؤهلة بعد لتسيير شؤونها بنفسها.

التعليمات

- حدد انطلاقا من الوثيقة (1) الأهمية الجغرا ـ استراتيجية لموقع فلسطين.
- وضح من خلال الوثيقة (2) الخطر الذي يهدد الاستعمار في البحر المتوسط حسب لجنة «كامبل باثرمان» وبين المقترح الذي قدمته هذه اللجنة لمواجهة هذا الخطر.
- بين من خلال الوثيقة (3) والإضاءات هدف الحركة الصهيونية ووسائل تحقيق هذا الهدف.
- باعتماد الوثيقة (4)، من أصدر وعد بلفور؟ ما هو محتواه الأساسي؟ فيم تكمن خطورته؟
- حدد من خلال الوثيقة (5) المهمّة الأساسية التي أوكلتها جمعية الأمم لبريطانيا في فلسطين.
- حرّر في خاتمة هذا النشاط فقرة موجزة تبرز فيها الأسباب العميقة للقضية الفلسطينية.

النشاط الثاني أتعرّف إلى ظروف قيام دولة إسرائيل وإلى ردود الفعل العربيّة

الموارد

الوثيقة 6

تطور عدد سكان فلسطين ما بين 1922 و1946

السنة	المسلمون	اليهود	المسيحيون	المجموع (مع احتساب الأقليات)
1992	486.000	83.000	71.000	649.000
1931	693.000	174.000	88.000	966.000
1941	906.000	474.000	125.000	1.518.000
1946	1.076.000	608.000	145.000	1.845.000

الكتاب المدرسي : من الإمبريالية إلى التحرر، الجزء الثاني، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967

إضاءات

الثورة الفلسطينية الكبرى (1936–1939)

لقد ازداد الوضع توترا بفلسطين في الثلاثينات إذ بلغت تناقضات الشعب الفلسطيني مع البريطانيين والصهاينة درجة من الحدّة أسفرت على انفجار عارم انطلق من مدينة نابلس في منتصف أفريل 1936. فعرفت البلاد إضرابات عامة وقامت المظاهرات في العديد من المدن وامتنع السكان العرب عن دفع الضرائب لسلطات الانتداب ثم أخذت الاصطدامات مع الصهاينة والبوليس البريطاني تشتد شيئا فشيئا حتى أصبحت عنيفة ومسلحة. وقد دامت هذه الثورة حتى مارس 1939.

الوثيقة 7

مقتطفات من الكتاب الأبيض الثالث الصادر عن بريطانيا في 17 ماي 1939

«... إن حكومة جلالته تصرح الآن بعبارة لا لبس فيها ولا إبهام أنه ليس من سياستنا أن تصبح فلسطين دولة يهودية. وهي تعتبر في الواقع أنه مما يخالف الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب، والتأكيدات التي أعطيت للشعب العربي فيما مضى أن يُجْعَلَ سكان فلسطين العرب رعايا دولة يهودية خلافا لإرادتهم... وبشأن الهجرة تقدّم حكومة جلالته المقترحات التالية :

1– تكون الهجرة اليهودية خلال السنوات الخمس التالية بمقدار من شأنه أن يزيد عدد السكان اليهود في فلسطين إلى ما يقرب من ثلث مجموع سكان البلاد، بشرط أن تسمح قدرة الاستيعاب الاقتصادية بذلك. فإذا أخذت بعين الاعتبار الزيادة الطبيعية المتوقع حصولها في عدد السكان العرب واليهود وحسب حساب عدد المهاجرين اليهود غير الشرعيين الموجودين الآن فإن ذلك يسمح بإدخال نحو 75.000 مهاجر يهودي خلال السنوات الخمس التالية.

2– لدى انقضاء السنوات الخمس المشار إليها لا يسمح بهجرة يهودية أخرى إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد للقبول بها...».

أوردها علي المحجوبي، ذكر سابقا، ص 132 و138

التعليمات

- بين من خلال الوثيقة (7) تغيّر موقف بريطانيا من الحركة الصهيونية.
- فسّر بالاعتماد على الإضاءات وعلى مكتسباتك حول الوضع في أوروبا في أواخر الثلاثينات هذا التحول في الموقف البريطاني.

الوثيقة 8

تصريح صحفي رسمي لرئيس الولايات المتحدة «فرانكلين روزفلت» بشأن الكتاب الأبيض لسنة 1939.

صدر في واشنطن يوم 16 مارس 1944

« لم تعط الحكومة الأمريكية قط موافقتها على الكتاب الأبيض لسنة 1939 وأن الرئيس سعيد لأن أبواب فلسطين مفتّحة اليوم أمام اللاجئين اليهود. وعندما يتم الوصول إلى قرارات في المستقبل فسوف يُنْصَفُ أولائك الذين ينشدون وطنا قوميا يهوديا، وهو ما كانت تشعر نحوه حكومتنا والشعب الأمريكي، واليوم أكثر من أي وقت مضى، بالعطف العميق، نظرا للنكبة المحزنة التي حلت بمئات الألوف من اللاجئين اليهود الذين لا وطن لهم».

وثائق فلسطين، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، 1987. ص 167

التعليمات

- بين من خلال الوثيقة (8) موقف الولايات المتحدة من الحركة الصهيونية.
- وضح أسباب هذا الموقف.

إضاءات

حول المواجهة البريطانيّة الصهيونيّة إثر صدور الكتاب الأبيض الثالث

«إثر صدور الكتاب الأبيض الثالث دخل الصهاينة في حرب عصابات ضد جهاز الانتداب. فقاموا بنسف دوائر الهجرة وبمهاجمة دوائر البوليس، كما اغتالوا بعض الضباط والجنود البريطانيين. وفي 8 أوت 1944 حاولوا اغتيال المندوب السامي، وفي 6 نوفمبر من نفس السنة نجحوا في اغتيال وزير الدولة البريطاني بالقاهرة. وكانت الغاية من هذه المواجهة العنيفة هي إرغام بريطانيا على التخلي عن سياسة الكتاب الأبيض الثالث ثم حملها على الرحيل من فلسطين. أمام هذه الضغوط قررت الحكومة البريطانية في فيفري 1947 التخلي عن الانتداب بفلسطين وأوكلت أمر البلاد إلى جمعية الأمم المتحدة التي اتخذت قرارا بتقسيم فلسطين إلى دولتين، دولة عربية ودولة يهودية في 29 نوفمبر 1947.»

الوثيقة 9

تقسيم فلسطين حسب القرار الدولي 181 في 29 نوفمبر 1947

الوثيقة 10

إعلان رؤساء الحكومات العربية ردا على قرار التقسيم

ردا على قرار تقسيم فلسطين، عقد رؤساء الحكومات العربية اجتماعا بالقاهرة في 8–12–1947. أعلنوا في نهايته: «أن الحكومات العربية لا تقر قرار الأمم المتحدة، وتعتبر التقسيم باطلا من أساسه، وهي تقف إلى جانب استقلال فلسطين وسيادتها، وستتخذ من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بإحباط مشروع التقسيم، وخوض المعركة من أجل ذلك».

ورد لدى د. عدنان السيد حسين : التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، دار النفائس، بيروت، 1989، ص 36.

الوثيقة 11

إعلان قيام دولة إسرائيل في 14 ماي 1948

«نحن أعضاء المجلس القومي الممثل لشعب يهود بلاد إسرائيل، والحركة الصهيونية العالمية، والذين نعقد اليوم، يوم انتهاء الانتداب البريطاني، مجمعا احتفاليا، وبموجب الحقوق الطبيعية والتاريخية للشعب اليهودي، وبموجب قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة، نعلن تأسيس الدولة اليهودية... التي ستحمل اسم دولة إسرائيل».

ورد لدى د. عدنان السيد حسين، ذكر سابقا، ص 36.

الوثيقة 12

خريطة فسطين بعد حرب 1948

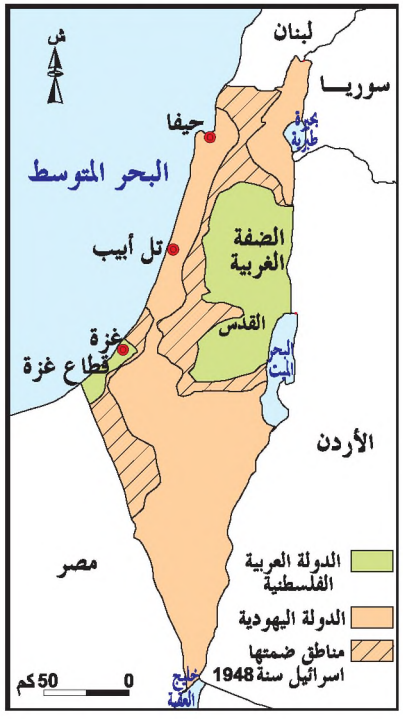

إضاءات

تشريد الفلسطينيين

نجم عن هزيمة الجيوش العربية في حرب 1948 تشريد مئات الآلاف من الشعب الفلسطيني إلى الأقطار العربية المجاورة خاصة سوريا التي استقبلت 200 ألف لاجئ ولبنان 120 ألف لاجئ والأردن وقد تم إيواؤهم في مخيمات في ظروف قاسية تسهر عليهم وكالة غوث اللاجئين التابعة لمنظمة الأمم المتحدة.

التعليمات

حرر في خاتمة النشاط فقرة موجزة تبين فيها :

- الظروف التي أدت إلى قيام دولة إسرائيل.
- ردة فعل الدول العربية وما نتج عنها.

النشاط الثالث أدرس تطوّر المقاومة الفلسطينيّة للكيان الصهيوني

الموارد

الوثيقة 13

خريطة فسطين بعد حرب جوان 1967

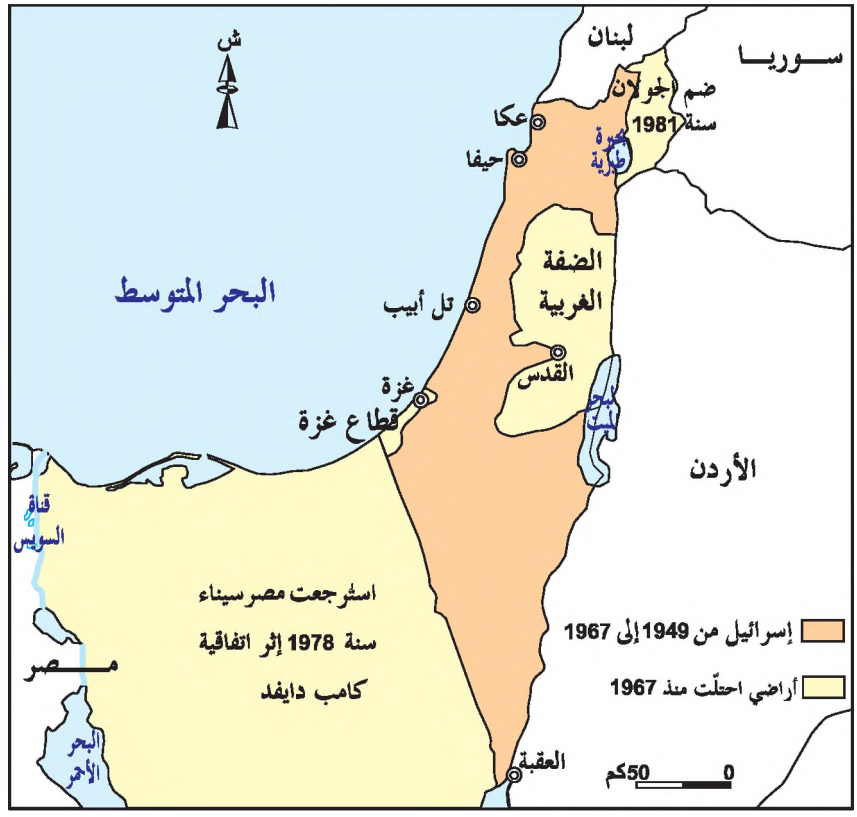

إضاءات

بعض منظمات المقاومة الفلسطينية

اسم المنظمة	تاريخ تأسيسها	من أبرز زعمائها
حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)	1957	ياسر عرفات ـ صلاح خلف ـ خليل الوزير
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	1967	جورج حبش
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة	1968	أحمد جبريل
الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	1968	نايف حواتمة

الوثيقة 14

إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية

«إيمانا بحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المقدس فلسطين، وتأكيدا لحتمية معركة تحرير الجزء المغتصب منه وعزمه وإصراره على إبراز كيانه الثوري الفعال وتعبئة طاقاته وإمكانياته وقواه المادية والعسكرية والروحية، تحقيقا لأمنية أصيلة من أماني الأمة العربية ممثلة في قرارات جامعة الدول العربية ومؤتمر القمة العربي الأول، نُعلِنُ بعد الاتكال على الله باسم المؤتمر العربي الفلسطيني الأول المنعقد بمدينة القدس في 28 ماي 1964 : قيام منظمة التحرير الفلسطينية قيادة معبّئة لقوى الشعب العربي الفسطيني لخوض معركة التحرير ودرعا لحقوق شعب فلسطين وأمانيه وطريقا للنصر...».

هيئة الموسوعة الفلسطينية : الموسوعة الفلسطينية، المجلد 4. دمشق، 1984. ص 314.

إضاءات

رؤساء منظمة التحرير منذ تأسيسها

- أحمد الشقيري من 1964 إلى 1967
- يحيى حمودة من 1968 إلى 1969
- ياسر عرفات من 1969 إلى 2005

التعليمات

بالاعتماد على الوثيقتين (13-14) والإضاءات

- بين الظروف التي أحاطت بالمقاومة الفلسطينية في الخمسينات والستينات
- ابرز مظاهر تطور المقاومة الفلسطينية خلال هذه الفترة.

الوثيقة 15

مقطتفات من الميثاق الوطني الفلسطيني الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني (البرلمان الفلسطيني) في دورته المنعقدة من 10 إلى 17جويلية 1968.

«المادة 1 : فلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني وهي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي...

المادة 2 : فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة إقليمية لا تتجزأ.

المادة 3 : الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ويقرر مصيره بعد أن يتم تحرير وطنه وفق مشيئته وبمحض إرادته واختياره.

المادة 5 : الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون إقامة دائمة في فلسطين حتى عام 1947 سواء من أخرج منها أو بقي فيها، وكل من ولد من أب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ داخل فلسطين أو خارجها هو فلسطيني.

المادة 6 : اليهود الذين كانوا يقيمون إقامة عادية في فلسطين حتى بدء الغزو الصهيوني لها يعتبرون فلسطينيين.

المادة 9 : الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكا ويؤكد الشعب العربي الفلسطيني تصميمه المطلق وعزمه الثابت على متابعة الكفاح المسلح والسير قدما نحو الثورة الشعبية المسلحة لتحرير وطنه والعودة إليه وعن حقه في الحياة الطبيعية فيه وممارسة حق تقرير مصيره فيه والسيادة عليه.

المادة 19 : تقسيم فلسطين الذي جرى عام 1947. وقيام إسرائيل باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن...».

دائرة الثقافة. منظمة التحرير الفلسطينية، وثائق فلسطين، 1987. ص 343 - 344 - 345.

الوثيقة 16

من البرنامج السياسي المرحلي الذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثامنة المنعقدة بالقاهرة من 28 فيفري إلى 5 مارس 1971 يوضح الدولة الفلسطينية التي ينشد الفلسطينيون إقامتها بعد التحرير

«الدولة الديمقراطية الفلسطينية : ليس الكفاح الفلسطيني المسلح كفاحا عرقيا أو مذهبيّا ضد اليهود. ولهذا فإن دولة المستقبل في فلسطين المتحررة من الاستعمار الصهيوني هي الدولة الفلسطينية الديمقراطية التي يتمتع الراغبون في العيش فيها بسلام بنفس الحقوق والواجبات....»

وثائق فلسطين، ذكر سابقا، ص 374

الوثيقة 17

من مقررات مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد بالرّباط من 26 إلى 29 أكتوبر 1974

«ثالثا : اعتماد منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني

إن مؤتمر القمة العربي السابع يقرر ما يأتي :

1– تأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه وتقرير مصيره.

2– تأكيد حق الشعب الفلسطيني في إقامة السلطة الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني على أية أرض فلسطينية يتم تحريرها، وتقوم الدول العربية بمساندة هذه السلطة عند قيامها في جميع المجالات وعلى جميع المستويات»

موقع جامعة الدول العربيّة : http://www.arableagueonline.org/arableague/index

الوثيقة 18

قرار الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة رقم 3236 بتاريخ 22 - 11 - 1974 حول «الحقوق الثابتة لشعب فلسطين»

«1– تؤكد (الجمعية العامة) من جديد الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في فلسطين وبخاصة

أ) الحق في تقرير مصيره دون تدخل خارجي

ب) الحق في الاستقلال والسيادة الوطنيين

3– وتشدد على أن الاحترام الكلي للحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني هذه وإحقاق هذه الحقوق أمران لا غنى عنهما لحل قضية فلسطين».

الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، ذكر سابقا، ص 256

ياسر عرفات على منبر منظمة الأمم المتحدة في 1974

التعليمات

بالاعتماد على الوثائق (15-16-17-18)

- بين ما تميزت به المقاومة الفلسطينية منذ نهاية الستينات إلى الثمانينات من حيث الأهداف وأشكال النضال.
- أبرز المكاسب السياسية التي حققتها هذه المقاومة.

إضاءات

مؤتمر كامب دافيد Camp David: جمع الرئيس الأمريكي «جيمي كارتر» والرئيس المصري أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل «منحيم بيغن» Menahem Begin من 5 إلى 18 سبتمبر 1978 وانتهى بإمضاء اتفاقيتين سميت الأولى «إطار عمل للسلام في الشرق الأوسط» والثانية «إطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل».

معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية : وقّعها عن مصر الرئيس أنور السادات وعن إسرائيل رئيس الوزراء «منحيم بيغن» في واشنطن يوم 26 مارس 1979 : إنهاء حالة الحرب بين الطرفين وإقامة سلام بينهما وانسحاب إسرائيل من سيناء.

إضاءات

من أبرز الأحداث المرتبطة بالقضية الفلسطينية منذ نهاية السبعينات إلى بداية التسعينات

مارس 1978 : اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان
سبتمبر 1978 : اتفاقيات كامب دافيد
سبتمبر 1982 : اجتياح إسرائيل للبنان ودخولها بيروت وطرد قيادة منظمة التحرير الفلسطينية منها وعلى رأسها عرفات فاستقرت بتونس
1990–1991 : حرب الخليج الثانية وانسحاب الجيش العراقي من الكويت
1991 : انحلال الاتحاد السوفياتي وحل حلف فرصوفيا

الوثيقة 19

مقتطفات من قرارات المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في الجزائر في دورته التاسعة عشر من 12 إلى 15 نوفمبر 1988

«في المجال السياسي يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على :

1– ضرورة انعقاد المؤتمر الدولي الفعال الخاص بقضية الشرق الأوسط، وجوهرها القضية الفلسطينية، تحت إشراف الأمم المتحدة وبمشاركة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي وجميع أطراف الصراع في المنطقة بما فيه منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وعلى قدم المساواة، آخذين بالاعتبار أن المؤتمر الدولي ينعقد على قاعدة قراري مجلس الأمن رقم 242*، ورقم 338**، وضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في تقرير المصير عملا بمبادئ وأحكام ميثاق الأمم المتحدة بشأن حق تقرير المصير للشعوب...

2– انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي الفلسطينية والعربية التي احتلتها منذ العام 1967 بما فيها القدس العربية».

مركز المعلومات الوطني الفلسطيني : http://www.pnie.gov.pas/index.html

* القرار 242 : صدر عن مجلس الأمن الدولي عقب حرب جوان 1967 بين إسرائيل والدول العربية.

** القرار 338 : صدر عن نفس المجلس عقب حرب أكتوبر 1973 بين اسرائيل والدول العربية.

وهما يدعوان إسرائيل إلى الجلاء عن الأراضي العربية المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة في فلسطين وسيناء المصرية وهضبة الجولان السورية).

الوثيقة 20

مقتطفات من ندوة صحفية لعرفات يوم 14-12-1988

«كان واضحا في خطابي أمس أمام الأمم المتحدة أننا تحدثنا عن حق شعبنا في الحرّية والاستقلال وعن جميع الأطراف في الوجود بسلام بما في ذلك دولة فلسطين ودولة إسرائيل وجيرانهما».

كتاب التاريخ والجغرافيا، السنة الثالثة، هاشات، ص 111

الوثيقة 21

صورة انتفاضة الحجارة بالضفة الغربية وقطاع غزة منذ 1987

الوثيقة 22

مقتطفات من نص إعلان مبادئ (اتفاق أوسلو) حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية

«المادة 1 : إن هدف المفاوضات الإسرائيلية ـ الفلسطينية ضمن عملية السلام الحالية للشرق الأوسط* هو من بين أمور أخرى، إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية... للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية لا تتجاوز الخمس سنوات وتؤدي إلى تسوية دائمة تقوم على أساس قراري مجلس الأمن 242 و338...»

ممدوح نوفل : قصّة اتفاق أوسلو، عمان 1995. ص 329.

* إشارة إلى مؤتمر مدريد للسلام بالشرق الأوسط الذي انطلق في أكتوبر 1991 تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الفدرالية وحضرته دولة إسرائيل والدول العربية المجاورة لها وكذلك ممثلون عن منظمة التحرير الفلسطينية.

الوثيقة 23

خريطة مناطق السلطة الفلسطينيّة حسب اتفاقيات أوسلو

مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني

تم توزيع الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية و قطاع غزة حسب اتفاقيات القاهرة ماي 1994 و طابا سبتمبر 1995 إلى

منطقة أ

مستقلة، خاضعة كليّا للسلطة الفلسطينية و هي تغطي المدن السبع الكبرى في الضفة الغربية و 3/4 قطاع غزة

منطقة ب

تضم 450 قرية فلسطينية 27 % من المساحة و 66 % من السكان تخضع مدنيا للسلطة الفلسطينية و أمنيا لإسرائيل

منطقة ج

تضم المستوطنات اليهودية و المناطق العسكرية الإسرائيلية و الأراضي غير المأهولة 70 % من الضفة الغربية وهي خاضعة كليا لإسرائيل

التعليمات

من خلال الوثائق (19-20-21-22-23) والإضاءات حرر فقرة تبين فيها :

- تطور موقف الفلسطينيين من حل قضيتهم انطلاقا من الثمانينات.
- تطور أشكال نضالهم.
- عوامل هذا التطور.

أستخلص

المقدمة :

عرف المشرق العربي منذ بداية القرن العشرين أزمة حادة بسبب اغتصاب الصهاينة للأرض الفلسطينية في ظل الانتداب البريطاني ثم قيام دولة اسرائيل بتزكية من المجتمع الدولي. فبرزت القضية الفلسطينية التي ما زالت تفاعلاتها تسيطر على المنطقة إلى الآن. فما هي جذورها؟ وكيف تطورت إلى غاية 1993 ؟

I – جذور القضيّة الفلسطينيّة :

تعود جذور القضية الفلسطينية إلى القرن التاسع عشر، فهي نتيجة للأطماع الاستعمارية الأوروبية ولنشأة الحركة الصهيونية التي سعت إلى تنفيذ مخططها الصهيوني في الأرض الفلسطينية مستفيدة في مناسبات عديدة من الظرفية العالمية. كما أنها نتيجة لمظالم سلطتها على سكان فلسطين جمعية الأمم في مرحلة أولى (مبدأ الانتداب) ثم هيئة الأمم المتحدة في مرحلة ثانية (قرار التقسيم).

1 – الأطماع الاستعماريّة : [1-2]

ارتبطت الأطماع الاستعمارية في فلسطين بأهمية موقعها كجزء من المشرق العربي الذي يحتل مكانة استراتيجية نظرا لتوسطه مفارق الطرق بين القارات القديمة (آسيا - إفريقيا - أوروبا) ولثرواته الطاقية.

وقد سعت القوى الاستعمارية الأوروبية (فرنسا وبريطانيا خاصة) منذ القرن الثامن عشر إلى استغلال أهمية موقع فلسطين لبسط نفوذها على منطقة الشرق العربي والسيطرة عليه فتحول بذلك دون قيام وحدة عربية.

استخدمت الأوساط الاستعمارية يهود أوروبا وذلك بإغرائهم بإقامة وطن لهم بفلسطين ودفعهم إلى التجمع فيها قصد استغلالهم كوسيلة لتحقيق الأطماع الاستعمارية، فكان بروز الفكرة الصهيونية في إطار سياسة التوسع الاستعماري.

2 - الحركة الصهيونية [3]

أ – نشأتها :

نشأت الحركة الصهيونية في أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي حركة تدعو إلى خلق دولة يهودية بفلسطين، وقد ارتبط ميلادها بعاملين أساسيين : الاستعمار واللاسامية. فلئن كانت الأوساط الاستعمارية الفرنسية والبريطانية خاصة قد شجعت بروز الفكرة الصهيونية خدمة لمصالحها، فإن العامل المباشر الذي دعمها هو بروز تيار اللاسامية المعادي لليهود في المجتمعات الأوروبية ممّا أدى إلى اضطهادهم في أوروبا الشرقية أولا ثم أوروبا الغربية.

ب – تطورها وتنظيمها

بعد ظهور الفكرة الصهيونية، تم تنظيمها وضبط خطة عملها لتحقيق هدفها عن طريق «تيودور هرتزل» (1860–1904) اليهودي النمساوي الذي أصدر سنة 1896 كتابا تحت عنوان «الدولة اليهودية» أكد فيه أن «الحل لجميع مشكلات اليهود المضطهدين في العالم هو قيام الدولة اليهودية على رقعة متسعة من الأرض»، ثم أشرف على عقد المؤتمر الصهيوني الأول في أوت 1897 بمدينة «بازل» بسويسرا، فحدد المؤتمر هدف الحركة وبرنامج عملها وأنشأ «المنظمة الصهيونية العالمية» لتحقيق هذا الهدف. فسهرت هذه المنظمة على حث اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين وإقامة المستوطنات بها، من جهة، وكسب مساندة الدول الكبرى، من جهة أخرى. كانت نتيجة هذا النشاط هزيلة بسبب مقاومة الفلسطينيين إلى أن أفرزت الحرب العالمية الأولى معطيات جديدة بالشرق العربي استغلتها الحركة الصهيونية لتحقيق أهدافها بمساعدة القوى الاستعمارية.

3- الحرب العالمية الأولى : وعد بلفور والانتداب البريطاني على فلسطين [4-5]

أوجدت الحرب العربيّة الأولى ظروفا ملائمة جدا لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية وذلك بصدور وعد بلفور في 2 نوفمبر 1917 من جهة وبإقرار مبدأ الانتداب وفرضه على سكان المشرق العربي إثر انهيار الإمبراطورية العثمانية من جهة ثانية.

أ- **وعد بلفور** : أصدرت الحكومة البريطانية في 2 نوفمبر 1917 التصريح المعروف بوعد بلفور نسبة إلي وزير خارجيتها، ويمنح التصريح للحركة الصهيونية أرض فلسطين لتؤسس بها وطنا قوميا للشعب اليهودي. وقد كرس هذا التصريح التحالف بين المصالح الاستعمارية البريطانية في المشرق ومشروع الحركة الصهيونية في فلسطين. فهو يمثل خطوة هامة على طريق تأسيس دولة يهودية بفلسطين، ويمكن بريطانيا من الحصول على درع شرقي لحماية قناة السويس (الدولة اليهودية الحليفة) وضمان مساعدة الأوساط الصهيونية السياسية والمالية لها في حربها ضد ألمانيا.

ب- **الانتداب البريطاني على فلسطين** : مكن انهيار الإمبراطورية العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى فرنسا وبريطانيا من تحقيق أطماعهما الاستعمارية في المشرق العربي تحت غطاء نظام الانتداب الذي وقع إدراجه ضمن ميثاق «جمعية الأمم» لإعطائه صبغة «الشرعية الدولية». فبعد أن قرر مجلس الحلفاء المجتمع بمدينة «سان ريمو» الإيطالية في أفريل 1920. وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، صدر صك الانتداب عن جمعية الأمم في 24 جويلية 1922 مؤكدا على مسؤولية بريطانيا في خلق الظروف الملائمة لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

توفر إذن في أعقاب الحرب العالمية الأولى المناخ الملائم لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية في فلسطين في ظل الانتداب البريطاني الذي نشّط حركة الهجرة اليهودية نحو فلسطين والاستحواذ على الأراضي الفلاحية لفائدة اليهود [6].

مكن إذن التحالف البريطاني الصهيوني من الإعداد إلى قيام الكيان الصهيوني إثر الحرب العالمية الثانية.

II – تأسيس الكيان الصهيوني وحرب 1948

1- تغير تحالفات الحركة الصهيونية [7-8]

في 17 ماي 1939 أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الثالث الذي أكد أن سياستها في فلسطين لا ترمي إلى إنشاء دولة يهودية بل دولة فلسطينية مستقلة يتقاسم فيها العرب واليهود السلطة، كما أقر تحديد الهجرة خلال الخمسة أعوام القادمة ثم منعها بعد ذلك. جاءت محتويات الكتاب الأبيض الثالث نسبيا لصالح الفلسطينيين نتيجة عاملين أساسيين:

– العامل الأول : تصاعد النضال الفلسطيني الذي بلغ أوجه في الثورة الفلسطينية الكبرى ما بين 1936 و1939.

– العامل الثاني : سعي بريطانيا إلى كسب ود العرب حتى لا يتحالفوا مع ألمانيا خاصة وأن شبح الحرب العالمية الثانية أصبح يهدد أكثر فأكثر الدول الأوروبية.

أثار صدور الكتاب الأبيض الثالث غضب الصهاينة فدخلوا في مواجهة مع بريطانيا، تطورت من حملة دعائية لإثنائها عن سياسة الكتاب الأبيض إلى موجة من العنف والإرهاب ضد السلطات البريطانية.

كما سعت الحركة الصهيونية إلى كسب تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لمشروعها في فلسطين مقابل دعمها لمصالح الأمريكيين في الشرق الأوسط الذين كانوا يبحثون بدورهم عن مناطق نفوذ جديدة، وبذلك ظهر تحالف جديد ضد الشعب الفلسطيني، التحالف الصهيوني الأمريكي، واصل المسار الذي بدأته بريطانيا منذ الحرب العالمية الأولى.

وقد أدى الدعم الأمريكي للحركة الصهيونية إلى جانب مجابهة الصهاينة لسلط الانتداب، إلى اتخاذ بريطانيا قرار التخلي عن الانتداب بفلسطين ورفع القضية الفلسطينية إلى منظمة الأمم المتحدة (فيفري 1947).

2ـ قرار التقسيم وتأسيس الكيان الصهيوني [9ـ10ـ11]

على إثر قرار بريطانيا بالتخلي عن الانتداب الفلسطيني، أرسلت منظمة الأمم المتحدة لجنة أممية في أفريل 1947 للتحقيق في شأن الوضع القائم في فلسطين. وقد رفعت اللجنة الأممية تقريرا ينص على تقسيم فلسطين إلى دولتين : دولة يهودية ودولة عربية مع إبقاء القدس منطقة دولية. وبتشجيع ودعم كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 29 نوفمبر 1947 على القرار 181 القاضي بتقسيم فلسطين.

عارض الفلسطينيون قرار التقسيم بتصعيد مقاومتهم للاستعمار الصهيوني كما عقد رؤساء الحكومات العربيّة اجتماعا بالقاهرة في 8 ديسمبر 1947 أعلنوا في نهايته رفضهم للتقسيم ووقوفهم إلى جانب الفلسطينيين.

كان هذا القرار أول ضربة موجهة من منظمة الأمم المتحدة إلى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بعد ما مكنت جمعية الأمم الانتداب البريطاني من مصادرة هذا الحق وتمكين الحركة الصهيونية من اغتصاب فلسطين بالقوّة.

أما الحركة الصهيونية فقد تذرعت بصدور قرار التقسيم واتخذته سندا قانونيا لِتُعْلِنَ عن قيام دولة إسرائيل في 14 ماي 1948 أي في نفس اليوم الذي سحبت فيه بريطانيا قواتها من فلسطين، فكان ذلك إيذانا باندلاع الحرب العربية الصهيونية الأولى.

3ـ الحرب العربيّة الصهيونية الأولى [12]

اندلعت الحرب العربيّة الصهيونية الأولى في 15 ماي 1948 إثر الإعلان عن قيام دولة إسرائيل، فتدخلت جيوش الدول العربية المجاورة (مصر ـ الأردن ـ سوريا ـ لبنان ـ العراق) لوضع حد لاستيلاء الصهاينة على فلسطين.

تمت الحرب على مرحلتين :

أ– **المرحلة الأولى** : تواصلت إلى 11 جوان 1948 كسبت خلالها الجيوش العربية عدة انتصارات، فتدخلت القوى العظمى المساندة للصهيونية وأعلنت في نطاق مجلس الأمن وقف القتال لمدة أربعة أسابيع لتمكن القوات الصهيونية من تنظيم صفوفها وتدعيم عتادها العسكري.

ب– **المرحلة الثانية** : تواصلت من 9 جويلية 1948 إلى جانفي 1949 وأصبح خلالها ميزان القوى لصالح القوات الصهيونية التي تهاطلت عليها المساعدات العسكرية من جانب القوى الكبرى، فتمكنت من الانتصار على الجيوش العربية وفرض الهدنة على الأنظمة العربية التي كانت تعيش التبعية والخضوع للدول الكبرى.

أدت هزيمة الجيوش العربية إلى نتيجتين خطيرتين على مستقبل الفلسطينيين خاصة والمشرق العربي بصفة عامة :

– النتيجة الأولى : اتساع رقعة الكيان الصهيوني.

– النتيجة الثانية : اتباع الكيان الصهيوني لسياسة استعمارية استيطانية ضد الفلسطينيين من خلال طرد العدد الكبير منهم من أراضيهم ومن خلال سياسة الإبادة التي يمارسها ضدهم كما حدث في مذبحة قرية دير ياسين قرب القدس حيث عمد الصهاينة في 9 أفريل 1948 إلى قتل 254 من سكان القرية دون تمييز بين الشيوخ والنساء والأطفال ثم تكررت العملية في مذبحة قرية كفر قاسم في 29 أكتوبر 1956.

لكن رغم ذلك تواصل النضال الفلسطيني بدون هوادة ضد الكيان الصهيوني.

III – المقاومة الفلسطينية للكيان الصهيوني

بدأت هذه المقاومة مع بداية الهجرة اليهودية إلى فلسطين في القرن التاسع عشر وتوسعت بعد الانتداب وبالخصوص في الثلاثينات (الثورة الفلسطينية الكبرى 1936 ـ 1939) وإثر قرار التقسيم الدولي، غير أنها ازدادت عمقا بعد قيام الكيان الصهيوني وخاصة بعد نشأة المنظمات الفلسطينية الحديثة وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية. وعرفت هذه المقاومة تطورات كبرى منذ الخمسينات إلى توقيع اتفاقية أوسلو بين دولة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

1ـ المقاومة منذ الخمسينات إلى نهاية الستينات

أ– الظروف الجديدة للمقاومة [13]

يمكن اختزالها في النقاط التالية :

– بروز المد القومي العربي بعد قيام الثورة في مصر سنة 1952 وتعاظم مكانته بعد تأميم قناة السويس وصموده أمام العدوان الثلاثي عليه سنة 1956 ...

– موجة استقلال المستعمرات وانتشار الكفاح المسلح كأسلوب لتحقيق التحرر (الجزائر وفيتنام).

– فشل الأنظمة العربية والقيادات الفلسطينية التقليدية في مواجهة المشروع الصهيوني وفي القضاء على الكيان الصهيوني سنة 1948 وقد تأكد هذا الفشل من جديد عندما ألحقت إسرائيل بالدول العربية هزيمة جديدة في حرب جوان 1967 حيث استكملت احتلال باقي الأراضي الفلسطينية (غزة والضفة الغربية لنهر الأردن) وتوسعت على حساب مصر (إحتلال سيناء) وعلى حساب سوريا (احتلال هضبة الجولان).

تبين للفلسطينيين وخاصة لنخبهم الوطنية الشابة عندئذ أن لا نجاح لقضيتهم إلا بالتعويل على أنفسهم وتجديد قواعد النضال الوطني الفلسطيني.

ب– تأسيس التنظيمات الجديدة للمقاومة وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية [14]

■ تأسيس المنظمات الفلسطينية

شهدت هذه الفترة تكوين عدة منظمات ومن أهمها :

– حركة «فتح» (حركة التحرير الوطني الفلسطيني) عام 1957 على يد مجموعة من الشباب الفلسطيني أبرزهم ياسر عرفات وصلاح خلف.

– الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بزعامة جورج حبش.

– الجبهة الديمقراطية بقيادة نايف حواتمة.

■ إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ماي 1964

في 13 جانفي 1964 انعقد مؤتمر القمة العربي الأول بالقاهرة للرد على اعتزام إسرائيل تحويل مياه نهر الأردن لفائدتها، وقرر المؤتمر إبراز الكيان الفلسطيني في مواجهة الكيان الصهيوني، وتبعا لذلك أعلن المؤتمر الفلسطيني الأول المنعقد بالقدس في ماي 1964 عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية كجبهة جمعت مختلف القوى الفلسطينية. لكن الانطلاقة الحقيقية لهذه المنظمة كانت بعد حرب جوان 1967 عندما انخرطت بها منظمات المقاومة الجديدة وتزعمت قيادتها منظمة «فتح» وبعد تولي ياسر عرفات رئاستها منذ 1969 وإحكام تنظيم أجهزتها.

2ـ النضال الفلسطيني منذ نهاية الستينات إلى الثمانينات [15ـ16]

أ– بلورة المشروع الوطني الفلسطيني : تحرير كامل فلسطين وإقامة دولة علمانية تضم الفلسطينيين والمسيحيين واليهود

في عام 1968 تبنت منظمة التحرير الفلسطينية برنامجا جمع مختلف فصائل المقاومة وعرف بالميثاق الوطني الفلسطيني، وأكد هذا الميثاق على :

– استقلالية القرار الفلسطيني

– تحرير كامل فلسطين وإقامة دولة عربية ديمقراطية علمانية يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود بحقوق وواجبات متساوية.

– اعتماد الكفاح المسلح طويل الأمد أسلوبا لتحقيق هذا المشروع.

ب- الكفاح المسلح

بدأ هذا الكفاح منذ الخمسينات بالقيام بعمليات فدائية انطلاقا من غزة وأكدت عليه منظمة التحرير عند إنشائها ولكن انطلاقته الحقيقة تعود إلى جانفي 1965 على يد «العاصفة» الجناح العسكري لحركة «فتح». وتدعم مع تأسيس القوات المسلحة للثورة الفلسطينية وتولي عرفات قيادتها العامة منذ 1971. تركزت العمليات الفدائية داخل الأراضي الفلسطينية انطلاقا من الدول العربية المجاورة (مصر والأردن ولبنان...) وتواصل هذا الكفاح حتى بعد طرد القوات الفلسطينية من الأردن سنة 1970.

ج- الحصيلة السياسية لهذه المرحلة [17-18]

بفضل الكفاح المسلح والنضال السياسي الذي خاضته منظمة التحرير ومختلف فصائلها فرضت المنظمة نفسها على الساحة الدولية، فاعترفت بها الدول العربية وعدة دول أخرى خاصة من المعسكر الاشتراكي ومن كتلة دول عدم الانحياز باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وتمكن عرفات رئيس المنظمة من مخاطبة العالم عبر منبر المنتظم الدولي الذي منحت جمعيته العامة مركز ملاحظ لمنظمة التحرير الفلسطينية. وتحولت القضية الفلسطينية من مجرد قضية لاجئين إلى قضية شعب مناضل من أجل تحقيق المصير.

لكن منذ نهاية السبعينات وخلال الثمانينات تغيرت الظروف الإقليمية والدولية مما حمل المنظمة الفلسطينية على تعديل برنامجها النضالي وأسلوب كفاحها.

3- المقاومة منذ الثمانينات :

أ- الظرفية الجديدة

جدت عدة أحداث دولية زادت في اختلال ميزان القوى بين الثورة الفلسطينية والكيان الصهيوني ومن أبرزها :

- الاحتلال الصهيوني لجنوب لبنان سنة 1978
- عقد اتفاقية الصلح المنفرد بين مصر وإسرائيل (كامب دافيد) مقابل انسحابها من سيناء سنة 1979.
- اجتياح الصهاينة لبنان سنة 1982 وطرد منظمة التحرير ورئيسها ياسر عرفات من بيروت وانتزاع أسلحة قواتها واضطرارها إلى الاستقرار بتونس بعيدًا عن الأرض الفلسطينية.
- انهيار المجموعة الاشتراكية والاتحاد السوفياتي سنة 1991.

ب- تعديل برنامج المنظمة وتغيير أشكال النضال [19-20-21]

أمام هذه الوضعية اضطرت المنظمة إلى تعديل ميثاق 1968. فقبلت بمقررات المنظمة الدولية حول القضية الفلسطينية مثل قرار التقسيم عدد 181 لسنة 1947 والقرار 242 لسنة 1967 والقرار 383 لسنة 1973 التي تقر بوجود إسرائيل... وفي سنة 1988. أعلنت المنظمة عن تأسيس دولة فلسطين التي قبلت إقامتها على الأراضي المحتلة عام 1967 فحسب (الضفة الغربية وقطاع غزة).

ج- تغيير أشكال النضال

أصبحت المنظمة تركز على النضال السياسي الديبلوماسي بهدف كسب تأييد الدول الكبرى الموالية لإسرائيل خاصة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية الغربية.

وفي نفس الوقت حاولت الضغط على إسرائيل عبر المقاومة في الأراضي المحتلة التي تجسدت في انتفاضة الحجارة بالضفة الغربية وقطاع غزة انطلاقا من عام 1987.

د- الحصيلة السياسية لهذه المرحلة [22-23]

أفضت هذه الظرفية الجديدة إلى عقد مؤتمر السلم بمدريد سنة 1991 تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وجَمَعَ دولة إسرائيل والدول العربية المجاورة لها ومنظمة التحرير الفلسطينية، انعقد هذا المؤتمر على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام. لكن في نفس الوقت جرت مفاوضات سرية بين دولة إسرائيل ومنظمة التحرير انتهت في الأخير بإمضاء معاهدات أوسلو سنة 1993 حول تقرير المصير للأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 وتقضي بإنشاء سلطة فلسطينية تشرف على إدارة بعض المناطق المحدودة في انتظار أن تجري مفاوضات الحل النهائي في ظرف أربع سنوات لإقامة الدولة الفلسطينية. وفي سنة 1996 ألغت منظمة التحرير البنود الواردة في الميثاق الفلسطيني التي تنص على عدم الاعتراف بدولة إسرائيل. ومكنت هذه الاتفاقيات القيادة الفلسطينية من الانتصاب داخل فلسطين بغزة والضفة الغربية بعد أن كانت مبعدة عنها وتمتعت باعتراف دولي واسع من قبل الدول الموالية لإسرائيل بل ومن إسرائيل ذاتها بعد أن كانت تعتبرها مجرد منظمة إرهابية.

الخاتمة

ما انفكّت إسرائيل تتلكأ في تطبيق هذه الاتفاقيات مع الفلسطينيين وترفض رفضا قطعيا عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم داخل دولة إسرائيل حسب القرار الدولي 194 لسنة 1948 والتخلي عن القدس التي تعتبرها عاصمة إسرائيل الأبدية وإجلاء مستوطناتها الكبرى بالضفة الغربية وبالتالي ترفض العودة إلى حدود 1967 وذلك رغم إبرام اتفاقيات جديدة معها خاصة منها «خارطة الطريق» التي تقر فيها المنظمة الدولية ولأوّل مرّة منذ نشأة القضية الفلسطينية بضرورة إقامة الدولة الفلسطينية.

أقيم مكتسباتي : دراسة وثائق تارخية

الموضوع : ردود الفعل الوطنيّة تجاه اتفاقيات الحكم الذاتي سنة 1955

جدول أحداث

سنة 1954
31 جويلية: خطاب « منداس فرانس » بقرطاج: منح تونس الحكم الذاتي
7 أوت: تكوين حكومة تونسية تفاوضية برئاسة الطاهر بن عمار
13 سبتمبر: انطلاق المفاوضات بين تونس و فرنسا في باريس حول الحكم الذاتي لتونس

سنة 1955
22 أفريل: تحرير بروتوكول الاتفاقيات التونسية–الفرنسية حول الحكم الذاتي
1 جوان: عودة الحبيب بورقيبة إلى تونس و إعلان تأييده لاتفاقيات الحكم الذاتي
3 جوان: توقيع الاتفاقيات
13 سبتمبر: عودة صالح بن يوسف الكاتب العام للحزب الدستوري الجديد و إعلان رفضه لاتفاقيات الحكم الذاتي
12 أكتوبر: قرار الديوان السياسي بإبعاد صالح بن يوسف عن منصب الكتابة العامة للحزب الدستوري الجديد
15–18 نوفمبر: انعقاد مؤتمر صفاقس للمستور الجديد وتأييده لاتفاقيات الحكم الذاتي و لقرار رفت صالح بن يوسف من الحزب
8 جانفي 1963: تحجير الحزب الشيوعي التونسي والصحف الناطقة باسم مجموعة الدستور القديم

الوثيقة 1

مقتطفات من البلاغ الصادر عن المكتب السياسي للحزب الشيوعي التونسي

نشرته «لو بتي متان» Le Petit Matin 28 أفريل 1955

«انتهت مؤخّرا المفاوضات الفرنسية–التونسية بإمضاء بروتوكول اتّفاق يستدعي منّا تقديم الملاحظات التالية بشأنه:
2– لا تتمتّع الدولة التونسية «المتمتعة بالحكم الذاتي» بصلاحيات الشرطة فقد بقيت هذه الصلاحيات بيد الإمبريالية الفرنسية لمدّة 22 سنة عل الأقل.
3– الإبقاء على القضاء الفرنسي لمدّة 20 سنة على الأقل.
5– في الميدان الاقتصادي والمالي، تبقى الوحدة القمرقية عائقا كبيرا أمام نموّ الاقتصاد التونسي الّذي سيصبح خاضعا تماما للإمبريالية الفرنسية، فلا يحقّ للشعب التونسي استعادة أراضيه وثرواته الوطنية التي يحتكرها كبار المستوطنين و الشركات الفرنسية الكبرى.
6– تمنح الاتفاقيات اللغة الفرنسية كافة مقومات اللغة الرسمية للدولة وتُبقي أهمّ مؤسسات التعليم تحت نظر المصالح الثقافية الفرنسية لا غير ولا تخضع لإشراف الدولة التونسية.
7– وفيما يتعلّق بحقوق المستوطنين المدنية فإنّ الاتفاقيات تثبّت مبدأ السّيادة المزدوجة التي رفضها الشعب التونسي بالإجماع... فهي تنصّ على تمثيل الفرنسيين في البلديات بعدد من النوّاب يفوق حجمهم العددي الحقيقي.
إنّ هذه الاتفاقيات، ليست كما يدّعي قادة الدستور الجديد «بداية عهد جديد» إنّما هي مجرّد ترميم لنظام الحماية. ولا يصحّ القول بأنّ ميزان القوى يجبر شعبنا على القبول بها، فالواقع أنّ شعبنا يتمتّع بدعم الأغلبية الساحقة من البشرية، فإلى جانب الاتحاد السوفياتي... و الديمقراطيات الشعبية بأوروبا (أقطار أوروبا الشرقية) يلقى شعبنا دعم شعوب إفريقيا وآسيا التي انتهت مؤخّرا من عقد ندوة باندونغ... كما يمكن لشعبنا أن يعتمد في فرنسا ذاتها على دعم الطبقة العمّالية وعلى دعم الجماهير الشعبية الواسعة بها. فمستقبل بلادنا هو إذن رهن اتّحاد شعبنا وكفاحه جوهريا. »

المصدر: تاريخ الحركة الوطنيّة التونسية، الوثائقXIV،دار العمل، تونس، 1979، ص 595–596–597–598

الوثيقة 2

مقتطفات من خطاب صالح بن يوسف بتونس العاصمة

نشرتها «لو بتي متان» 18 أكتوبر 1955

«لقد قلت و أعيد القول الآن، إنّ الاتّفاقيات (اتّفاقيات الحكم الذاتي) هي خطوة إلى الوراء... لا شكّ أنّنا كنّا نعيش من قبل تحت حكم استبدادي، حكم فرض علينا بالقوّة، لكنّنا كنّا أحرارا في المطالبة بحقوقنا.
إنّ أنصار الاتّفاقيات، من أجل أن يرفرف علم تونس فوق المؤسّسات العموميّة و من أجل تكوين حكومة تونسية مستقلة قد فرّطوا في معظم مطالبنا، لكن لا يمكن لهذا العلم أن يرفرف خارج بلادنا، ففرنسا هي الّتي تمثّلنا في الخارج و هي التي تملك حقّ تكوين جيش مهما كان عدده.
ومن الناحية الاقتصادية، سنبقى نعيش تحت رحمة فرنسا وصدقاتها...
وفي حالة حرب ضدّ إخواننا الجزائريين و المغاربة يمكن لفرنسا استغلال الأماكن الاستراتيجية التي تمنحها لها الاتفاقيات داخل التّراب التّونسي. فهل التّخلّي عن حقوقنا الأساسية يمثّل خطوة إلى الأمام ؟...»

نفس المصدر، الوثائق XV ، ص 177

الوثيقة 3

مقتطفات من خطاب الحبيب بورقيبة في القيروان يوم 30 أكتوبر 1955

« ... جرت المفاوضات على أساس اعتراف فرنسا بسيادتنا مقابل التزامنا بضمان أمن الفرنسيين المقيمين بتونس وبعدم اتّخاذ أيّ إجراء يمسّ من أوضاعهم القائمة و تمكين فرنسا من الإشراف على أماكن استراتيجية مثل بنزرت والمناطق الحدودية.
وبقبولنا هذا الاتفاق كان هدفنا الحصول على الاعتراف بتونس كبلد ذي سيادة و لكي نتمكّن من بناء دولتنا في ظروف سليمة...
بفضل الحكم الذاتي صار بإمكاننا اليوم تكوين حكومة، و انتخاب برلمان و مجالس بلدية دون الخضوع إلى المراقبين المدنيين والكاتب العام للحكومة و غيرهم من موظفي السلطات الاستعمارية الذين كانوا يديرون شؤون بلادنا إدارة مباشرة. وصارت (الأشغال العامة و المالية و التعليم و غيرها من المصالح) من مشمولات السلطات التونسية.
إن السيد بن يوسف عندما ينصّب نفسه عدوّا لدودا للاتفاقيات وداعية عنيدا من أجل الاستقلال التام والعاجل من حقّنا أن نسأله عن القوّة الّتي يملكها لتحقيق هذا الهدف. نحن على استعداد لاتّباعه إذا كانت القوّة الّتي يملكها بإمكانها أن تحقّق لنا النّصر الحاسم في المعركة. لكن لاشيء من هذه القوّة، فالحجّة الرئيسية الّتي يستعملها بن يوسف هي أنّ الجزائر والمغرب يواصلان النّضال... »

المصدر السابق، ص 252–254–255–256

الأسئلة

ادرس الوثائق دراسة مسترسلة مستعينا بالجدول المصاحب لها والأسئلة التالية:

1- قدّم الوثائق
2- اتّفاقيات الحكم الذاتي خطوة إلى الأمام في نظر بورقيبة، بيّن من خلال الوثائق المكاسب الّتي حقّقتها هذه الاتفاقيات للقضيّة التونسية مبرزا مبرّرات هذا الموقف البورقيبي.
3- استخرج من الوثائق مآخذ كلّ من الحزب الشيوعي التونسي وصالح بن يوسف على هذه الاتفاقيات موضّحا مبرّرات موقف كلّ منهما.
4- ادرس كيف تطوّرت العلاقات بين بورقيبة من جهة والشيوعيين وصالح بن يو سف من جهة ثانية حتّى بداية الستينات.

الفهرس

التصدير: 3

المحور الأول : التحولات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية في أوروبا في العصر الحديث (القرن الثامن عشر والتاسع عشر) 4

– مقدمة المحور. 5
– الدرس الأول : فكر التنوير. 6
– الدرس الثاني : الثورة الفرنسية وانتصار المبادئ الجديدة. 18
– الدرس الثالث : الثورة الصناعية : أهم مظاهرها. 33
– الدرس الرابع : التحولات الاقتصادية والاجتماعية في أوروبا الغربية في القرن التاسع عشر. 43
– الدرس الخامس : التيارات الفكرية والسياسية في أوروبا الغربية في القرن التاسع عشر. 54
– الدرس السادس : التوسع الاستعماري واقتسام العالم في القرن التاسع عشر. 65

المحور الثاني : أزمة الإيالة التونسية في القرن التاسع عشر 77

– مقدمة المحور. 78
– الدرس السابع : الأزمة في تونس و محاولات الإصلاح. 79
– الدرس الثامن : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس وردود الفعل الأولى. 93

المحور الثالث : أزمات القرن العشرين وتحولاته. 108

– مقدمة المحور. 109
– الدرس التاسع : الحرب العالمية الأولى. 110
– الدرس العاشر: توتر العلاقات الدولية بين الحربين العالميتين. 123
– الدرس الحادي عشر : نتائج الحرب العالمية الثانية. 141
– الدرس الثاني عشر : تحرر الشعوب المستعمرة. 159
– تمهيد لدراسة تونس من 1920الى 1956:الأطوار الكبرى للحركة الوطنية التونسية. 175
– الدرس الثالث عشر : الحركة الوطنية التونسية قبل الحرب العالمية الثانية : طور التأسيس.
■ الجزء الأول : الحركة الوطنية التونسية في العشرينات. 176
■ الجزء الثاني : الحركة الوطنية التونسية في الثلاثينات. 193
– الدرس الرابع عشر : الحركة الوطنية التونسية منذ الحرب العالمية الثانية إلى الاستقلال التام 1956: طور النضج والحسم. 209
– الدرس الخامس عشر : تونس من 1956 إلى 1987 237
– الدرس السادس عشر : القضية الفلسطينية. 257

المصادر والمراجع باللغة العربية

- البار صوبول : تاريخ الثورة الفرنسية.عويدات بيروت 1982
- ف.فولغين : فلسفة الأنوار .ترجمة عبودي. دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت 1981
- بيار رينوفان : مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية . نشر عويدات بيروت 1989
- بيار رينوفان : تاريخ العلاقات الدولية، هاشات 1958
- ايريك هوبسباوم : عصر رأس المال. ترجمة مصطفى كريم– الفارابي 1996
- لينين : الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية.دار التقدم موسكو 1983
- محمد بيرم الخامس : صفوة الاعتبار لمستودع الأمصار و الأقطار. دار صادر بيروت
- احمد بن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان. الدار التونسية للنشر 1990
- علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس. سيراس للنشر 1986
- علي المحجوبي : جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين.سيراس للنشر – تونس 1990
- علي المحجوبي: الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، 1986
- عدنان المنصر وعميرة علية الصغير: المقاومة المسلحة في تونس–المعهد الأعلى للحركة الوطنية – 1997
- خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. الدار التونسية للنشر 1972
- وثائق فلسطين : منظمة التحرير الفلسطينية. دائرة الثقافة 1987
- محمد عبد الحافظ القيسي : وعد بلفور في ظل التوسع الاستعماري. الشركة التونسية للتوزيع 1990
- موريس كروزي : تاريخ الحضارات العام، العهد المعاصر، ج 7. بيروت 1988
- حمدي حافظ : المشكلات العالمية المعاصرة، القاهرة 1968
- عبد العزيز الثعالبي : تونس الشهيدة، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1988
- الطاهر الحداد : العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية التونسية، الدار التونسية للنشر، النشرة الثالثة، 1972
- الحبيب بورقيبة : بين تونس و فرنسا، وزارة الإعلام، 1985
- احمد توفيق المدني : حياة كفاح (مذكرات) 3 أجزاء، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.
- الهادي التيمومي : تاريخ تونس الاجتماعي 1881–1956. دار محمد علي الحامي، صفاقس– تونس، 1997
- الهادي التيمومي : تونس 1881–1956. دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، 2006
- عبد السلام بن حميدة : الحركة النقابية الوطنية للشغيلة بتونس، جزءان، دار محمد علي الحامي، صفاقس– تونس، 1984

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

- N.Hampson : le siècle des lumières .Ed.seuil Paris 1972
- Michel Denis : Le XVIII.A.Colin Paris 1970
- J.P.Rioux :La Révolution industrielle .Ed.Seuil 1971
- J.Tulard : Les Révolutions .Fayard 1988
- J.Poncet-A.Raymon : La Tunisie- Que sais-je ? n 318.Ed.P.U.F. Paris 1971
- Mohamed salah Lejri : Evolution du mouvement national -2e vol-M.T.D. 1974
- Ahmed Kassab : Histoire de la Tunisie : l époque contemporaine-S.T.D.-1976
- Hassine Raouf Hamza : Communisme et Nationalisme en Tunisie- de la "Libération" à l'indépendance (1943-1956)- université de Tunis 1-1994